

الحمد لله الحي القيوم الذي لا يستولي على كنه قيامه وصف واصف الجليل الذي لا يحيط بصفة جلاله معرفة عارف العزيز الذي لا عزيز إلا وهو بقدم الصغار على عتبة عزه عاكف الماجد الذي لا ملك إلا وهو حول سراق مجده طائف الجبار الذي لا سلطان إلا وهو لنفحات عفوه راج وسطوات سخطه خائف المتكبر الذي لا ولي إلا وقلبه على محبته وقف وقلبه لخدمته واقف الرحيم الذي لا شيء إلا وهو ممتط متن الخطر في هول المواقف لولا ترصده لرحمته بوعده السابق السالف المنعم الذي إن يردك بخير فليس لفضله راد ولا صارف المنتقم الذي إن يمسسك بضر فما له سواه كاشف جل جلاله وتقديست اسماءه فلا يغره موالف ولا يضره مخالف وعز سلطانه فلا يكيدته مرواغ ولا يناوته مكاشف خلق الخلق أحزبا وأحسابا ورتبهم في زخارف الدنيا أردالا وأشرافا وقربهم في حقائق الدين ارتباطا وانحرافا وجهلة وعرافا وفرقهم في قواعد العقائد فرقا وأصنافا يتطابقون إبتلافا ويتقاطعون اختلافا فافترقوا في المعتقدات جمودا واعترافا وتعسفا وانصافا واعتدالا وإسرافا كما تباينوا أصلا وأوصافا هذا غني يتضاعف كل يوم ما له أضعافا وهو يأخذ جزافا وينفق جزافا وهذا ضعيف يعول ذرية ضعافا يعوزه قوت يوم حتى سأل الناس إلخافا وهذا مقبول في القلوب لا يلقي في حاجته إلا إجابة وإسعافا وهذا مبغض للخلق تهتمم حقوقه ضيما وإجحافا وهذا تقي موفق يزداد كل يوم في ورعه وتقواه إسرافا وإشراقا وهذا مخنول يزداد على مر الأيام

في غيه وفساده تماديا واعتسافا ذلكم تقدير ربكم القادر الحكيم الذي لا يستطيع سلطان عن قهره انحرافا القاهر العليم الذي لا يملك احد لحكمه خلافا رغما لأنف الكفرة الباطنية الذين انكروا أن يجعل الله بين أهل الحق اختلافا ولم يعلموا ان الاختلاف بين الأمة يتبعه الرحمة كما تتبع العبرة اختلافهم مراتب وأوصافا وشكرا لله الذي وفقنا للإعتراف بدينه إعلانا وإسرارا وسدنا للإنقياد لحكمه إظهارا وإضمارا ولم يجعلنا من ضلال الباطنية الذين يظهرون باللسان إقرارا ويضمرون في الجنان تماديا وإصرارا ويملمون من الذنوب اوقارا ويعلمون في الدين تقوى ووقارا ويحتقبون من المظالم أوزارا لانهم لا يرجون الله وقارا ولو خاطبهم دعاة الحق ليلا ونهارا لم يزداهم دعاؤهم إلا فرارا فإذا أطل عليهم سيف أهل الحق آثروا الحق إيثارا وإذا انقشع عنهم ظله أصروا واستكبروا استكبارا فנסأل الله أن لا يدع على وجه الأرض منهم ديارا ونصلي على رسوله المصطفى وعلى آله وخلفائه الراشدين من بعده صلوات بعدد قطر السحاب تهمى مدرارا وتزداد على ممر الأيام استمرارا وتتجدد على توالي الأعوام تلاحقا وتكرارا

أما بعد فإني لم أزل مدة المقام بمدينة السلام متشوقا إلى أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية ضاعف الله جلالها ومد على طبقات

الخلق ظلالتها بتصنيف كتاب في علم الدين أفضى به شكر النعمة وأقيم به رسم الخدمة واجتني بما اتعاطاه من الكلفة ثمار القبول والزلفة لكني جنحت الى التواني لشحري في تعيين العلم الذي اقصده بالتصنيف وتخصيص الفن الذي يقع موقع الرضا من الرأي النبوي الشريف فكانت هذه الحيرة تغبر في وجه المراد وتمنع القريحة عن الإذعان والإنقياد

حتى خرجت الاوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهيرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية  
مشمتم على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم وفنون مكرهم واحتياهم ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهاهم  
وإيضاح غوائلهم في تلييسهم وخداعهم وانسلاهم عن ربة الإسلام وانسلاهم وانخلاعهم وإبراز فضائهم  
وقبائحهم بما يفضي الى هتك أستارهم وكشف أغوارهم فكانت المفاتحة بالإستخدام في هذا المهم في الظاهر نعمة  
اجابت قبل الدعاء ولبت قبل النداء وإن كانت في الحقيقة ضالة كنت أنشدها وبغية كنت أقصدها فرأيت الامتثال  
حتما والمسارة الى الإرتسام حزما وكيف لا أسارع اليه وان لاحظت جانب الأمر ألفيته أمرا مبلغه رعيم الأمة  
وشرف الدين ومنشؤه

ملاذ الأمم أمير المؤمنين وموجب طاعته خالق الخلق رب العالمين إذ قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي  
الأمر منكم

وإن الفت إلى المأمور به فهو ذب عن الحق المبين ونضال دون حجة الدين وقطع لدابر الملحدين وإن رجعت إلى  
نفسى وقد شرفت بالخطاب به من بين سائر العالمين رأيت المسارعة إلى الإذعان والامتثال في حقي من فروض  
الأعيان إذ يقل على بسيط الأرض من يستقل في قواعد العقائد بإقامة الحججة والبرهان بحيث يرقبها من حضيض  
الظن والحسبان الى يفاع القطع والاستيقان فانه الخطب الجسيم والأمر العظيم الذي لا تستقل بأعيانه بضاعة  
الفقهاء ولا يضطلع بأركانه إلا من تخصص بالمعضلة الزبء لما نجم في أصول الديانات من الأهواء  
واختلط بمسالك الأوائل من الفلاسفة والحكماء فمن بواطن غيهم كان استمداد هؤلاء فانهم بين مذاهب الثنوية  
والفلاسفة يترددون وحول حدود المنطق في مجادلاتهم يدنون ولقد طال تفتيشي عن شبه خصمه لما تقدر على  
قمعه وخصمه وفي مثل ذلك أنشد ... عرفت الشر لا للشر ... لكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر ... من الناس  
يقع فيه

تظهرت علي أسباب الإيجاب والإلزام واستقبلت الآتي بالاعتناق والإلتزام وبادت الى الامتثال والارتسام وانتدبت  
لتصنيف هذا الكتاب مبني على عشرة ابواب سائلا من الله سبحانه التوفيق لشاكلة والصواب وسميته فضائح  
الباطنية وفضائل المستظهيرية والله تعالى الموفق لإتمام هذه النية وهذا ثبت الأبواب  
الباب الأول في الإعراب عن المنهج الذي استنهجته في سياق هذا الكتاب  
الباب الثاني في بيان ألقابهم والكشف عن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة المضلة  
الباب الثالث في بيان درجات حيلهم في التلييس والكشف عن سبب الإغترار بحيلهم مع ظهور فسادها  
الباب الرابع في نقل مذهبهم جملة وتفصيلا  
الباب الخامس في تأويلاتهم لظواهر القرآن واستدلالهم بالأمر العديدة وفيه فصلان الفصل الأول في تأويلهم  
للظواهر والفصل الثاني في استدلالهم بالأعداد والحروف  
الباب السادس في إيراد أدلتهم العقيلة على نصره من مذهبهم والكشف  
عن تلييساتهم التي زوقوها بزعمهم في معرض البرهان على إبطال النظر العقلي  
الباب السابع في إبطال استدلالهم بالنص على نصب الامام المعصوم  
الباب الثامن في مقتضى فتوى الشرع في حقهم من التكفير والنخطنة وسفك الدم  
الباب التاسع في إقامة البرهان الفقهي الشرعي على أن الإمام الحق في عصرنا هذا هو الإمام المستظهر بالله حرس  
الله ظلاله

الباب العاشر في الوظائف الدينية التي بالمواظبة عليها يدوم استحقاق الإمامة

هذه ترجمة الأبواب والمقترح على الرأي الشريف النبوي مطالعة الكتاب جملة ثم تخصيص الباب التاسع والعاشر لمن يريد استقصاء ليعرف من الباب التاسع قدر نعمة الله تعالى عليه وليستين من الباب العاشر طريق القيام بشكر تلك النعمة ويعلم ان الله تعالى إذا لم يرض أن يكون له على وجه الأرض عبد أرفع رتبة من أمير المؤمنين فلا يرضى أمير المؤمنين ان يكون لله على وجه الأرض عبد أعبد وأشكر منه نسأل الله تعالى أن يمدّه بتوفيقه ويسدده لسواء طريقه هذه جملة الكتاب والله المستعان على سلوك جادة الحق واستنهاج مسلك الصدق

### الباب الأول في الإعراب عن المنهج الذي استنهجته في هذا الكتاب

لتعلم أن الكلام في التصانيف يختلف منهجه بالإضافة إلى المعنى غوصا وتحقيقا وتساهلا وتزويقا وبالاضافة الى اللفظ إطنابا وإسهابا واختصارا وإيجازا وبالاضافة الى المقصد تكثيرا وتطويلا واقتصارا وتقليلا فهذه ثلاثة مقامات ولكل واحد من الأقسام فائدة وآفة

وأما المقام الاول فالغرض في الغوص والتحقيق والتعمق في أسرار المعاني الى أقصى الغايات التوقي من إزراء الخققين وقدح الغواصين فانهم إذا تأملوه فلم يصادفوه على مطابقة أوضاع الجدال وموافقة حدود المنطق عند النظر استركوا عمل المصنف واستغثوا كلامه واعتقدوا فيه التقاعد عن شأو التحقيق في الكلام والإخراط في سلك العوام ولكن له آفة وهي قلة جدواه وفائدته في حق الأكثرين فإن الكلام إذا كان على ذوق المرء والجدال لا على مساق الخطاب المقنع لم يستقل بدركه

إلا الغواصون ولم يتفطن لمغاصاته إلا المحققون وأما سلوك المسلك التساهل والاقتصار على فن من الكلام يستحسن في المخاطبات ففائدته أن يستلذ وقعه في الأسماع ولا تكل عن فهمه والنفطن لمقاصده أكثر الطبايع ويحصل به الإقناع لكل ذي حجي وفطنة وان لم يكن متبحرا في العلوم

وهذا الفن من جوالب المدح والإطراء ولكن من الظاهريين وآفته أنه من دواعي القدح والإزراء ولكن من الغواصين فرأيت أن أسلك المسلك المقتصد بين الطرفين ولا أخلى الكتاب عن أمور برهانية يتفطن لها الخققون ولا عن كلمات إقناعية يستفيد منها المتوهمون فان الحاجة الى هذا الكتاب عامة في حق الخواص والعوام وشاملة جميع الطبقات من أهل الاسلام وهذا هو الأقرب إلى المنهج القويم فلطالما قيل ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم ...

المقام الثاني في التعبير عن المقاصد إطنابا وإيجازا وفائدة الإطناب الشرح والايضاح المغني عن عناء التفكير وطول التأمل وآفته الإملاط وفائدة الإيجاز جمع المقاصد وترصيفها وايصالها إلى الأفهام على التقارب وآفته الحاجة الى شدة التصفح والتأمل لاستخراج المعاني الدقيقة من الألفاظ الوجيهة الرشيقة والرأى في هذا المقام الاقتصار بين طرفي التفريط والإفراط فإن الإطناب لا ينفك عن إملاط والإيجاز

لا يخلو عن إخلال فالأولى الميل الى الاختصار فلرب كلام قل ودل وما أمل المقام الثالث في التقليل والتكثير ولقد طالعت الكتب المصنفة في هذا الفن فصادفتها مشحونة بفنين من الكلام فن في تواريخ أخبارهم وأحوالهم من بدء امرهم الى ظهور ضلالهم وتسمية كل واحد من دعائمهم في كل قطر من الاقطار وبيان وقائعهم فيما انقضى من الأعصار فهذا فن أرى التشاغل به اشتغالا بالأسمار وذلك أليق بأصحاب التواريخ والأخبار فأما علماء الشرع

فليكن كلامهم محصورا في مهمات الدين وإقامة البرهان على ما هو الحق المبين فلكل عمل رجال والفن الثاني في إبطال تفصيل مذاهبهم من عقائد تلقوها من الثنوية والفلاسفة وحررونها عن اوضاعها وغيروا

ألفاظها قصدا للتغطية والتليس هذا أيضا لا أرى التشاغل به لان الكلام عليها وكشف الغطاء عن بطائنها بايضاح حقيقة الحق وبرهانها ليس يختص بالطائفة الذين هم نابتة الزمان فتجريد القصد الى نقل خصائص مذهبهم التي تفرقوا باعتقادها عن سائر الفرق هو الواجب المتعين فلا ينبغي أن يؤم المصنف في كتابه الا المقصد الذي يبيغه والنحو الذي يرومه وينتجيه فمن حسن إسلام المرء ترك ما لا يعنيه وذلك مما لا يعنيه في هذا المقام وان كان الخوض فيه على الجملة ذبا عن الاسلام ولكن لكل مقال مقام فلنقتصر في كتابنا على القدر الذي يعرب عن خصائص مذهبهم وينبه على مدارج حيلهم ثم نكشف عن بطلان شبههم بما لا يبقى للمستبصر ريب فيه فتنجلي عن وجه الحق كدورة التمويه

ثم نختم الكتاب بما هو السر واللباب وهو إقامة البراهين الشرعية على صحة الإمامة للمواقف القدسية النبوية المستظهرية بموجب الأدلة العقلية والفقهية على ما أفصح عن مضمونه ترجمة الأبواب الباب الثاني في بيان ألقابهم والكشف عن السبب الداعي لهم على نصب هذه الدعوة وفيه فصلان الفصل الأول في الألقاب التي تداولتها الألسنة على إختلاف الأعصار والأزمنة وهي عشرة ألقاب الباطنية والقرامطة والقمرطية والخرمية والحرمينية والإسماعيلية والسبعية والبابكية والخمسة والتعليمية ولكل لقب سبب أما الباطنية فانما لقبوا بما لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر وأما بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جليلة وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الحفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأهتال وأرادوا بالأغلال التكليفات

الشرعية فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المرادون بقوله تعالى ٨٨ ونضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم الآية وربما موهوا بالاستشهاد عليه بقولهم إن الجهال المنكرين للباطن هم الذين اربلوا بقوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الإنسلاخ عن قواعد الدين إذا سقطت الثقة بموجب الالفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه

وأما القرامطة فانما لقبوا بما نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط كان احد دعائهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية وكان المسمى حمدان قرمط رجلا من اهل الكوفة ماتلا الى الزهد فصادفه احد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الداعي وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله أراك سافرت عن موضع بعيد فأين مقصدك فذكر موضعا هو قرية حمدان فقال له حمدان اركب بقرة من هذه البقر لتستريح عن تعب المشي فلما رآه ماتلا الى الزهد والديانة اتاه من حيث رآه ماتلا اليه فقال اني لم اوامر بذلك فقال حمدان وكأنك لا تعمل الا بامر

قال نعم قال حمدان وبأمر من تعمل فقال الداعي بامر مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة فقال حمدان ذلك إذن هو رب العالمين فقال الداعي صدقت ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء قال حمدان وما غرضك في البقعة التي انت متوجه اليها قال امرت أن ادعو اهلها من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ومن الشقاوة الى السعادة وان استغذهم من ورطات الدل والفقر واملكتهم ما يستغنون به عن الكد والتعب فقال له حمدان اتقذني انقذك الله

وأفضل علي من العلم ما يجبني به فما أشد احتياجي الى مثل ما ذكرته فقال الداعي وما امرت بان اخرج السر المخزون لكل احد الا بعد الثقة به والعهد عليه فقال حمدان وما عهدك فاذكره لي فاني ملتزم له فقال الداعي ان تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ان لا يخرج سر الإمام الذي ألقيته اليك ولا تمشي سري أيضا فالتزم حمدان سره ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استدبره واستغواه واستجاب له في جميع ما دعاه ثم انتدب حمدان للدعوة وصار اصلا من أصول هذه الدعوة فسمى اتباعه القرمطية

وأما الخرمية فلقبوا بها نسبة لهم الى حاصل مذهبهم وزبدته فانه راجع الى طي بساط التكليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين وتسييل الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات وقضاء الوطر من المباحات والخرمات وخرم لفظ اعجمي ينسب عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان اليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته وقد كان هذا لقباً للمزدكية وهم اهل الإباحة من الجوس الذين نبغوا في ايام قباذ وأباحوا النساء وان كن من المحارم وأحلوا كل محظور وكانوا يسمون خرمدينية فهو لاء ايضا لقبوا بها لمشابهم ايلهم في اخر المذهب وان خالفوهم في المقدمات وسوابق الحيل في الاستدراج وأما البابكية فاسم لطائفة منهم بايعوا رجلا يقال له بابك الخرمي وكان خروجه في بعض الجبال بناحية أذربيجان في أيام المعتصم بالله واستفحل أمرهم واشتدت شوكتهم وقاظم افشين صاحب حبس المعتصم مداها له في قتاله ومتخاذلا عن الجد في قمعه إضمارا موافقته في ضلاله فاشتدت وطأة البابكية على جيوش المسلمين حتى مزقوا جند المسلمين وبددوهم منهزمين الى أن هبت ريح النصر واستولى عليهم المعتصم المترشح للإمامة في ذلك العصر فصلب بابك وصلب أفشين يازائه وقد بقي من البابكية جماعة يقال إن لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونسائهم ويطفنون سرجهم وشوعهم ثم يتهايون النساء فيشب كل رجل إلى امرأة فيظفر بها ويزعمون ان من استولى على امرأة استحلبها بالاصطياد فإن الصيد من أطيب المباحات ويدعون مع هذه البدعة نوبة رجل كان من ملوكهم قبل الاسلام يقال له شروين

ويزعمون أنه كان افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن سائر الأنبياء قبله وأما الاسماعيلية فهي نسبة لهم الى ان زعيمهم محمد بن إسماعيل ابن جعفر ويزعمون ان أدوار الإمامية انتهت به اذ كان هو السابع من محمد ص - وأدوار الإمامية سبعة سبعة عندهم فأكبرهم يشنون له منصب النبوة وإن ذلك يستمر في نسبه وأعقابيه وقد اورد اهل المعرفة بالنسب في كتاب الشجره أنه مات ولا عقب له وأما السبعيه فأما لقبوا بها لأمرين أحدهما اعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الإنتهاء الى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامه وأن تعاقب هذه الادوار لا آخر لها قط والثاني قولهم إن تدابير العالم السفلي اعني ما يحويه مقعر فلك القمر منوطة بالكواكب السبعة التي اعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر وهذا المذهب مسترق من ملحدة المنجمين وملتفت الى مذهب الثنوية في ان النور يدبر اجزائه المتمترجة بالظلمة بهذه الكواكب السبعة فهذا سبب هذا التقليل

وأما الحمرة فقيل لهم لقبوا به لانهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ولبسوها وكان ذلك شعارهم وقيل سببه انهم يقررون ان كل من خالفهم من الفرق واهل الحق حمير والاصح هو التأويل الاول وأما التعليمية فانهم لقبوا بها لأن مبدأ مذهبهم ابطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق الى التعليم من الامام المعصوم وانه لا مدرك للعلوم الا التعليم ويقولون في مبتدأ مجادلتهم الحق اما ان يعرف بالرأي وإما ان يعرف بالتعلم وقد بطل التعويل على الرأي لعراض الراء وتقابل الالهواء واختلاف ثمرات نظر العقلاء فبين الرجوع الى

التعليم والتعلم وهذا اللقب هو الالقيق بباطنية هذا العصر فان تعويلهم الاكثر على الدعوة الى التعليم وابطال الرأي ويجاب اتباع الامام المعصوم وتنزيله في وجوب التصديق والاقضاء به منزلة رسول الله صلى الله عليه و سلم

### الفصل الثاني في بيان السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة وإفاضة هذه

#### البدعة

ما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة ان هذه الدعوة لم يفتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضد بنبوّة فان مساقها يقاد الى الانسال من الدين كانسال الشجرة من العجين ولكن تشاور جماعة من الجوس والمردكية وشرذمة من الثنوية الملحدون وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نأجهم من استيلاء اهل الدين وينفس عنهم كربة ما دهاهم من امر المسلمين حتى اخرسوا السنهم عن النطق بما هو معتقدهم من انكار الصانع وتكذيب الرسل ووجد الحشر والنشر والمعاد الى الله في آخر الامر وزعموا انا بعد ان عرفنا ان الانبياء كلهم مخرقون ومنمسون فأنهم يستعبدون الخلق بما يخيلونه اليهم فنون الشعبذة والزررق وقد تفاقم ام محمد واستطارت في الاقطار دعوته واتسعت ولايته واتسقت اسابه وشوكنته حتى استولوا على ملك اسلافنا وأنهمكوا في التنعيم في الولايات مستحققرين عقولنا وقد طبقوا وجه الارض ذات الطول والعرض ولا مطمع في مقاومتهم بقتال ولا سبيل الى استنزاهم عما اصرروا عليه الا بمكر واحتيال ولو شافهناهم بالدعاء الى مذهبنا لتنمروا

علينا وامتنعوا من الإصغاء الينا فسبيلنا ان نتحل عقيدة طائفة من فرقههم هم اركهم عقولا واسخفهم رأيا وألينهم عريكة لقبول المحالات واطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات وهم الروافض وتنحصن بالانتساب إليهم والاعتراء الى اهل البيت عن شرهم وتودد اليهم بما يلائم طبيعهم من ذكر ما تم على سلفهم من الظلم العظيم والذل الهائل وتباكي لهم على ما حل بآل محمد صلى الله عليه و سلم ونوصل به الى تطويل اللسان في أئمة سلفهم الذين هم اسوقم وقدمهم حتى اذا قبحنا أحوالهم في أعينهم وما ينقل إليهم شرعهم بنقلهم وروايتهم اشتد عليهم باب الرجوع الى الشرع وسهل علينا استدراجهم الى الانخلاع عن الدين وان بقي عندهم معتصم من ظواهر القرآن ومتواتر الاخبار أو همنا عندهم ان تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وان امارة الاحق الاتخاذ بظواهرها وعلامة الفطنة اعتقاد بواطنها ثم نبث ايهم عقائدنا ونزعم انما المراد بظواهر القرآن ثم اذا تكثرتنا بهؤلاء سهل علينا استدراج سائر الفرق بعد التحيز الى هؤلاء والتظاهر بنصرهم

ثم قالوا طريقنا ان نختار رجلا ممن يساعدنا على المذهب ونزعم انه من اهل البيت وانه يجب على كافة الخلق مبايعته وتعيين عليهم طاعته فانه خليفة رسول الله ومعصوم عن الخطأ والزلل من جهة الله تعالى ثم لا نظهر هذه الدعوة على القرب من جوار الخليفة الذي وسمناه بالعصمة فان قرب الدار ربما يهتك هذه الاستار واذا بعدت الشقة وطالت المسافة فمتى يقدر المستجيب الى الدعوة ان يفتش عن حاله وان يطلع على حقيقة امره ومقصلهم بذلك كله الملك والاستيلاء والتبسط في اموال المسلمين وحرمانهم والانتقام منهم فيما اعتقدوا فيهم وعاجلهم به من النهب والسفك وافاضوا عليهم من فنون البلاء فهذه غاية مقصدهم ومبدأ امرهم ويتضح لك مصداق ذلك بما سنجليه من خبائث مذهبهم وفضائح معتقدهم

### الباب الثالث في درجات حيلهم وسبب الاغترار بما مع ظهور فسادها وفيه

فصلان الفصل الاول في درجات حيلهم

وقد نظموها على تسع درجات مرتبة ولكل مرتبة اسم اولها الزرق والتفريس ثم التأسيس ثم التشكيك ثم التعليق ثم الربط ثم التندليس ثم التليس ثم الخلع ثم السلخ ولينين الآن تفصيل كل مرتبة من هذه المراتب ففي الاطلاع على هذه الحيل فوائد جمة لجماهير الامة

اما الزرق والتفريس فهو اهم قالوا ينبغي أن يكون الداعي فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة متفطنا للواطن بالنظر الى الشمائل والظواهر وليكن قادرا على ثلاثة امور الاول وهو اهمها ان يميز بين من يجوز ان يطمع في استدراجه ويوثق بلين عريكته لقبول ما يلقي اليه على خلاف معتقده قرب رجل جمود على ما سمعه لا يمكن ان ينتزع من نفسه ما يرسخ فيه فلا يضيع الداعي كلامه مع مثل هذا وليقطع طمعه منه وليتمس من فيه انفعال وتأثر بما يلقي إليه من الكلام وهم الموصوفون بالصفات التي سنذكرها في الفصل الذي يلي هذا الفصل

وينبغي ان نقى بكل حال بث البذر في السبخ والدخول الى بيت فيه سراج يعني به الزجر عن دعوة العباسية مد الله دولتهم إرغاما لأنوف أعدائها فان ذلك لا ينغرس أبد الدهر في نفوسهم كما لا ينغرس البذر في الأرض السبخة بزعمهم ويزجرون أيضا عن دعوة الأذكياء من الفضلاء وذوي البصائر بطرق الجدال ومكان الاحتيال وبه يعنون الزجر عن بيت فيه سراج

الثاني أن يكون مشتعل الحدس ذكي الخاطر في تعبير الظواهر وردها الى المواطن اما اشتقاقا من لفظها او تلقيا من عددها او تشبيها لها بما يناسبها وبالجملة فإذا لم يقبل المستجيب منه تكذيب القرآن والسنة فينبغي ان يستخرج من قلبه معناه الذي فهمه ويترك معه اللفظ منزلا على معنى يناسب هذه البدعة فانه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه الثالث من الزرق والتفريس ألا يدعوا كل أحد إلى مسلك

واحد بل يبحث أولا عن معتقده وما اليه ميله في طبعه ومذهبه فاما طبعه فان رآه مائلا الى الزهد والتشفي والتقوى والتنظف دعاه الى الطاعة والانقياد واتباع الأمر من المطاع وزجره عن اتباع الشهوات وندبه الى وظائف العبادات وتأدية الامانات من الصدق وحسن المعاملة والاخلاق الحسنة وخفض الجناح لذوي الحاجات ولزوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان كان طبعه مائلا الى الجون والخلاعة قرر في نفسه ان العبادة بلة وان الورع حماقة وان هؤلاء المعدين بالتكاليف مثالم مثل الحمر المعناة بالأحمال الثقيلة وانما الفطنة في اتباع الشهوة ونيل اللذة وقضاء الوطر من هذه الدنيا المنقضية التي لا سبيل الى تلافى لذاتها عند اقضاء العمر وأما حال المدعو من حيث المذهب فان كان من الشيعة فلنفاخته بان الأمر كله في بغض بني تيم وبني عدي وبني امية وبني العباس وأشياعهم وفي التبري منهم ومن اتباعهم وفي تولي الأئمة الصالحين وفي انتظار خروج المهدي وان كان المدعو ناصبيا ذكر له ان الامة انما اجمعت على ابي بكر وعمر ولا يقدم الا من قدمته الامة حتى اذا اطمان اليه قلبه ابتداء بعد ذلك يبث الاسرار على سبيل الاستدراج المذكور بعد وكذلك ان كان من اليهود والنصارى حاوره بما يضاهاي مذهبهم من معتقداته فان معتقد الدعاء ملتقط من فنون

البدع والكفر فلا نوع من البدعة الا وقد اختاروا منه شيئا ليسهل عليهم بذلك مخاطبة تلك الفرق على ما سنحكي من مذهبهم

اما حيلة التأسيس فهو ان يوافق كل من هو بدعوته في أفعال يتعاطاها هو ومن تميل اليه نفسه واول ما يفعل الانس بالمشاهدة على ما يوافق اعتقاد المدعو في شرعه وقد رسموا للدعاة والمأذونين ان يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد

من المستجيبين ويجتهدون في استصحاب من له صوت طيب في قراءة القرآن ليقراً عندهم زماناً ثم يتبع الداعي ذلك كله بشئ من الكلام الرقيق واطراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب ثم يردف ذلك بالطعن في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام ويذكر ان الفرج منتظر من كل ذلك ببركة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فيما بين ذلك يبكي احياناً ويتنفس الصعداء واذا ذكر آية او خبراً ذكر ان الله سرا في كلماته لا يطلع عليها إلا من اجتباه الله من خلقه وميزه بمزيد لطفه فان قدر على ان يتهجده بالليل مصلياً وباكياً عند غيبة صاحب البيت بحيث يطلع عليه صاحب البيت ثم اذا احس بانه اطلع عليه عاد الى ميته واضطجع كالذي يقصد اخفاء عبادته وكل ذلك ليستحكم الانس به ويميل القلب الى الاصغاء الى كلامه فهذه هي مرتبة التأنيس وأما حيلة التشكيك فمعناه ان الداعي ينبغي له بعد التأنيس ان يجتهد في تغيير اعتقاد المستجيب بان يزلزل عقيدته فيما هو مصمم عليه وسيله ان يبتدئه بالسؤال عن الحكمة في مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن المتشابه من الايات وكل ما لا يتقدح فيه معنى معقول فيقول في معنى المتشابه ما معنى الر وكهيعص وحم عسقى الى غير ذلك من اوائل السور ويقال أترى ان تعين هذه الحروف جرى وفقاً بسبق اللسان او قصد تعيينها لاسرار هي مودعة تحتها لم تصادف في غيرها وما عندي ان ذلك يكون هزلاً وعبثاً بلا فائدة ويشكك في الاحكام

ما بال الحائض تقضي الصوم دون الصلاة ما بال الاغتسال يجب من المني الطاهر ولا يجب من البول النجس ويشككه في أخبار القرآن فيقول ما بال ابواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وما معنى قوله ويجعل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله تعالى ٨٨ عليها تسعة عشر ٨٨ أفرى ضاقت القافية فلم يكمل العشرين أو جرى ذلك وفقاً بحكم سبق اللسان أو قصداً لهذا التقييد ليخيل أن تحته سرا وأنه في نفسه لسر ليس يطلع عليه إلا الأنبياء والأئمة الراسخون في العلم ما عندي أن ذلك يخلو عن سر وينفك من فائدة كامنة والعجب من غفلة الخلق عنها لا يثمرون عن ساق الجد في طلبها ثم يشككه في خلقه العالم وجسد الآدمي ويقول لم كانت السموات سبعة دون ان تكون ستة او ثمانية ولم كانت الكواكب

السيارة سبعة والبروج اثني عشر ولم كان في رأس الآدمي سبع ثقوب العينان والاذنان والمنخران والفم وفي بدنه ثقبان فقط ولم جعل رأس الآدمي على هيئة الميم ويدها إذا مدتها على هيئة الحاء والعجز على هيئة الميم والرجلان على هيئة الدال بحيث إذا جمع الكل يشكل بصورة محمد أفرى أن فيه تشبيهاً ورمزاً ما أعظم هذه العجائب وما أعظم غفلة الخلق عنها ولا يزال يورد عليه هذا الجنس حتى يشككه ويقدم في نفسه أن تحت هذه الظواهر أسراراً سدت عنه وعن اصحابه وينبعث منه شوق الى طلبه وأما حيلة التعليق فبأن يطوي عنه جوانب هذه الشكوك إذا هو استكشفه عنها ولا ينفس عنه أصلاً بل يتركه معلقاً ويهول الامر عليه ويعظمه في نفسه ويقول له لا تعجل فان الدين اجل من ان يبعث به او ان يوضع في غير موضعه ويكشف لغير أهله هيئات هيئات ... جنتماني لتعلمنا سر سعدي ... تجداني بسر سعدي شحيحاً

ثم يقول له لا تعجل ان ساعدتك السعادة سنبت اليك سر ذلك أما سمعت قول صاحب الشرع ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهر أبقى وهكذا لا يزال يسوقه ثم يدافعه حتى إن رآه أعرض عنه واستهان به وقال مالي ولهذا الفضول وكان لا يحيك في صدره حرارة هذه الشكوك قطع الطمع عنه وان رآه متعطشاً اليه وعده في وقت معين وأمره بتقديم الصوم والصلاة والتوبة قبله وعظم امر هذا السر المكتوم حتى اذا وافى الميعاد قال له ان هذه الاسرار مكتومة لا تودع الا في سر محصن فحصن حرزك واحكم مداخلك حتى اودعه فيه فيقول



المستجيب وما طريقه فيقول ان آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع فانه الدر الثمين والعلق النفيس وادنى درجات الراغب فيه صيانته عن التضييع وما اودع الله هذه الاسرار انبياءه الا بعد أخذه عهدهم وميثاقهم وتلا قوله تعالى وإذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الاية وقال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وأما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفشه الا بعد أخذ العهد على الخلفاء واخذ البيعة على الانصار تحت الشجرة فان كنت راغبا فاحلف لي على كتمانته وانت بالخيرة بعده فان وفقت لدرك حقيقته سعدت سعادة عظيمة وان اشأزت نفسك عنه فلا غرو فان كلا ميسر لما خلق له ونحن نقدر كانك لم تسمع ولم تحلف ولا ضير عليك في يمين صادقة فان أبي الحلف خلاه وإن انعم وأجاب فيه وجه الحلف واستوفاه

وأما حيلة الربط فهو ان يربط لسانه بأيمان مغلظة وعهود مؤكدة لا يجسر على المخالفة لها بحال وهذه نسخة العهد يقول الداعي للمستجيب جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه و ذمة رسوله عليه السلام و ما أخذ الله على النبيين من عهد و ميثاق أنك تسر ما سمعته مني وتسمعه وعلمته وتعلمه من امري وامر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الامام المهدي وامور اخوانه واصحابه وولده واهل بيته وامرو المطيعين له على هذا الدين ومخالصة المهدي ومخالصة شيعته من الذكور والاناث والصغار والكبار ولا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا تدل به عليه الا ما اطلقت لك ان تتكلم به او اطلق لك صاحب الامر المقيم في هذا البلد او غيره ففعل بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعداه جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك وألزمته نفسك في حال الرغبة والرغبة والغضب والرضا وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه ان تبني وجميع من اسميه لك وأبينه عندك مما تمتع منه نفسك وان تنصح لنا وللأمام ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا والا تخون الله ولا وليه ولا احدا من إخوانه وأوليائه ومن يكون منه ومنا بسبب من اهل ومال ونعمة وانه لا رأي ولا عهد تتناول على هذا العهد بما يبطله

فان فعلت شيئا من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته فانت بريء من الله ورسوله الأولين والآخريين ومن ملأنته المقربين ومن جميع ما انزل من كتبه على انبيائه السابقين وانت خارج من كل دين وخارج من حزب الله وحزب اوليائه وداخل في حزب الشيطان وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النعمة والعقوبة ان خالفت شيئا مما حلفتك عليه بتأويل او بغير تأويل فان خالفت شيئا من ذلك فله عليك ان تحج الى بيته ثلاثين حجة نذرا واجبا ماشيا حافيا وان خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم وكل مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه فهم احرار وكل امرأة تكون لك او تزوجها في قابل فهي طالق ثلاثا بنة ان خالفت شيئا من ذلك وان نويت او اضمرت في يميني هذه خلاف ما قصدت فهذه اليمين من اولها الى آخرها لازمة لك والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك وكفى بالله شهيدا ببني وبينك قل نعم فيقول نعم

فهذا هو الربط

واما حيلة التدليس فهو انه بعد اليمين وتأكيده العهد لا يسمح ببث

الاسرار اليه دفعة واحدة ولكن يتدرج فيه ويراعى امورا الأول انه يقتصر في اول وهلة على ذكر قاعدة المذهب ويقول منار الجهل تحكيم الناس عقولهم الناقصة وآرائهم المتناقضة واعراضهم عن الاتباع والتلقي من اصفياء الله وائتمته وواتاد أرضه والذين هم خلفاء رسوله من بعده فمنهم الذي اودعه الله سره المكنون ودينه المخزون وكشف لهم بواطن هذه الظواهر واسرار هذه الامثلة وان الرشد والنجاة من الضلال بالرجوع الى القران واهل البيت

ولذلك قال عليه السلام لما قيل ومن أين يعرف الحق بعدك فقال ألم اترك فيكم القرآن وعترتي وأراد به اعقابه فهم الذين يطلعون على معاني القرآن ويقتصر في اول وهلة على هذا القدر ولا يفصح عن تفصيل ما يقوله الإمام الثاني ان يحتمل لإبطال المدرك الثاني من مدارك الحق وهو ظواهر القرآن فان طالب الحق إما أن يفرغ الى الفكر والتأمل والنظر في مدارك العقول كما أمر الله سبحانه وتعالى به فيفسد نظر العقل عليه بإيجاب التعلم والاتباع او يفرغ الى ظواهر القرآن والسنة ولو صرح له بانه تلبيس ومحدث لم يسمع منه فليسلم له لفظه ولينزع عن قلبه معناه بان يقول هذا الظاهر له باطن هو اللباب والظاهر قشر بالاضافة اليه يقنع به من تقاعد به القصور عن درك الحقائق حتى لا يبقى له معتصم من عقل ومستروح من نقل

الثالث ألا يظهر من نفسه انه مخالف للأمة كلهم وانه منسلخ عن الدين والنحلة إذ تنفر القلوب عنه ولكن يعزري إلى ابعد القرق عن المسلك المستقيم وأطوعهم لقبول الخرافات ويتستر بهم ويتجمل بحب اهل البيت وهم الروافض الرابع هو أن يقدم في اول كلامه أن الباطل ظاهر جلي والحق دقيق بحيث لو سمعه الأكثرون لأنكروه ونفروا عنه وان طلاب الحق والقائلين به من بين طلاب الجهل أفراد وآحاد ليهون عليه التمييز عن العامة في إنكار نظر العقل وظواهر ما ورد به النقل

الخامس إن رآه نافرا عن التفرد عن العامة فيقول له إني مفش إليك سرا وعليك حفظه فإذا قال نعم قال إن فلانا وفلانا يعتقدون هذا المذهب ولكنهم يسرونه ويذكر له من الأفاضل من يعتقد المستجيب فيه الذكاء والفتنة وليكن ذلك المذكور بعيدا عن بلده حتى لا يتيسر له المراجعة كما جعلوا الدعوة بعيدة عن مقر امامهم ووطنه فانهم لو أظهروها في جواره لافتضحوا بما يواتر من أخباره واحواله

السادس ان يمينه بظهور شوكة هذه الطائفة وانتشار أمرهم وعلو رأيهم وظفر ناصر به بأعدائهم واتساع ذات يدهم ووصول كل واحد منهم الى مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدنيا والاخرة ويعزى بعض ذلك الى النجوم وبعضه الى الرؤيا في المنام إن امكنه وضع منامات تنتهي الى المستجيب على لسان غيره السابع ألا يطول الداعي إقامته ببلد واحدة فانه ربما اشتهر امره وسفك دمه فينبغي ان يحايط في ذلك فيليس على الناس امره ويعرف الى كل قوم باسم واخر وليغير في بعض الاوقات هيئته ولبسته خوف الآفات ليكون ذلك ابلغ في الاحتياط

ثم بعد هذه المقدمات يتدرج قليلا قليلا في تفصيل المذهب للمستجيب وذكره له على ما سنحكي من معتقده وأما حيلة التلبيس فهو ان يواطئه على مقدمات يتسلمها منه مقبولة الظاهر مشهورة عند الناس ذائعة ويرسخ ذلك في نفسه مدة ثم يستدرجه منها بنتائج باطلة كقوله ان اهل النظر لهم أقاويل متعارضة الأحوال متساوية وكل حزب بما لديهم فرحون والمطلع على الجوهر الله ولا يجوز أن يخفى الله الحق ولا يوجد احد كل الأمر الى الخلق يتخبطون فيه خبط العشواء ويقتحمون فيه العمياء الى غير ذلك من مقدمات يت مستعصلة وأما حيلة الخلع والسلخ وهي هما متفقان وانما يفترقان في ان الخلع يخص بالعمل فإذا أفضوا بالمستجيب إلى ترك حدود الشرع وتكاليفه يقولون وصلت الى درجة الخلع أما السلخ فيخصص بالاعتقاد الذي هو خلع الدين فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا وسميت هذه الرتبة البلاغ الأكبر فهذا تفصيل تدرجهم الخلق واستغوائهم فليتنظر الناظر فيه وليستغفر الله من الضلال في دينه

الفصل الثاني في بيان السبب في رواج حيلتهم وانتشار دعوتهم مع ركافة

حجتهم وفساد طريقتهم

فإن قيل ما جليتموه من العظام لا يتصور ان يخفي على عاقل وقد رأينا خلقا كثيرا وجما غفيرا من الناس يتابعونهم في معتقدهم وتابعوهم في دينهم فلعلكم ظلمتموهم بنقل هذه المذاهب عنهم في خلاف ما يعتقدونه وهذا هو القريب الممكن فانهم لو أظهروا هذه الاسرار نفرت القلوب عنهم واطلعت النفوس على مكرهم وما باحوا بما الا بعد العهود والمواثيق وسانوها إلا عن موافق لهم في الاعتقاد فمن اين وقع لكم الاطلاع عليها وهم يسترون ديانتهم ويستنبطون بعقائدهم قلت أما الإطلاع على ذلك فانما عثرنا عليه من جهة خلق كثير تدينوا بدينهم واستجابوا لدعوتهم ثم تنبهوا لضلالتهم فرجعوا عن غوايتهم الى الحق المبين فذكروا ما ألقوا اليهم من الأقاويل واما سبب انقياد الخلق اليهم في بعض أقطار الأرض فانهم لا يفشون هذا الامر الا الى بعض المستجيبين لهم ويوصون الداعي ويقولون له إياك ان تسلك بالجميع مسلكا واحدا فليس كل من يحتمل قبول هذه المذاهب يحتمل الخلع والسلخ ولا كل من يحتمل الخلع يحتمل السلخ فليخاطب الداعي الناس على قدر عقولهم فهذا هو السبب في تعلق هذه الحيل ورواجها

فإن قيل هذا أيضا مع الكتمان ظاهر البطلان فكيف ينخدع بمثله عاقل قلنا لا ينخدع به الا المائلون عن اعتدال الحال واستقامة الرأي فللعقلاء عوارض تعمى عليهم طرق الصواب وتقضي عليهم بالانخداع بلامع السراب وهي ثمانية أصناف

الصف الاول طائفة ضعفت عقولهم

وقلت بصائرهم وسخفت في امور الدين آراؤهم لما جبلوا عليه من البله والبلادة مثل السواد وأفجاج العرب والأكراد وجفأة الأعاصم وسفهاء الأحداث ولعل هذا الصف هم أكبر الناس عددا وكيف يستبعد قبولهم لذلك ونحن نشاهد جماعة في بعض المدائن القريبة من البصرة يعبدون أناسا يزعمون أنهم ورثوا الربوبية من آبائهم المعروفين بالشباسبية وقد اعتقدت طائفة في علي رضي الله عنه انه إله السموات والارض رب العالمين وهم خلق كثير لا يحصرهم عدد ولا يحويهم بلد فلا ينبغي أن يكسر التعجب من جهل الإنسان إذا استحوذ عليه الشيطان واستولى عليه الخذلان

الصف الثاني طائفة انقطعت الدولة عن أسلافهم بلولة الاسلام كأبناء الأكاسرة والدهاقين وأولاد الجوس المستطيلين فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم كالداء الدفين فإذا حركته تخايل المبطلين اشتعلت نيرانه في صدورهم فأذعنوا لقبول كل محال تشوقا الى درك ثأرهم وتلافي امورهم

الصف الثالث طائفة لهم هم طامحة الى العلياء متطلعة الى التسلط والاستيلاء إلا انه ليس يساعدهم الزمان بل يقصر بهم عن الأتراب والأقران طوارق الحدثنان فهؤلاء إذا وعدوا بنيل امانهم وسول لهم الظفر بأعاديتهم سارعوا الى قبول ما يظنونهم مفضيا الى مآربهم وسالكا الى أوطارهم ومطالبهم فلطالما قيل حبك الشيء يعمي ويصم ويشترك في هذا كل من دهاه من طبقة الاسلام أمر يلم به وكان لا يتوصل الى الإنتصار

ودرك الثأر الا بالاستظهار بمؤلاء لاغبياء الأغمار فتتوفر دواعيه على قبول ما يرى الأمنية فيه

الصف الرابع طائفة جبلوا على حب التميز عن العامة والتخصص عنهم ترفعا عن مشابهمهم وتشرفا بالتحيز الى فئة خاصة تزعم انها مطلعة على الحقائق وان كافة الخلق في جهالتهم كالحمر المستنفرة والبهائم المسبية وهذا هو الداء العضال للمستولي على الأذكيا فضلا عن الجهال الاغبياء وكل ذلك حب للنادر الغريب ونفرة عن الشائع المستفيض وهذه سجية لبعض الخلق على ما شهدت به التجربة وتدل عليه المشاهدة

الصف الخامس طائفة سلكوا طرق النظر ولم يستكملوا فيه رتبة الاستقلال وان كانوا قد ترقوا عن رتبة الجهال فهم أبدا متشوقون الى التكاثر والتغافل وإظهار التفطن لدرك أمور تتخيل العامه بعدها وينفرون عنها لا سيما إذا نسب الشيء الى مشهور بالفضل فيغلب على الطبع التشوق الى التشبه به فكم من طوائف رأيتهم اعتقدوا محض الكفر تقليدا لافلاطن وأرسططاليس وجماعة من الحكماء قد اشتهروا بالفضل وداعيتهم الى ذلك التقليد وحب التشبه بالحكماء والتحيز الى غمارهم والتحيز عمن يعتقد انه في الذكاء والفضل دونهم فهؤلاء يستجرون الى هذه البدعة بإضافتها الى من يحسن اعتقاد المستجيب فيه فيبادر الى قبوله تشفعا بالتشبه بالذي ذكر انه من منتحليه الصف السادس طائفة اتفق نشؤوهم بين الشيعة والروافض واعتقدوا التدين بسب الصحابة ورأوا هذه الفرقة تساعدهم عليها فمالت نفوسهم الى المساعدة لهم والاستئناس بهم وانجرت معهم الى ما وراء ذلك من خصائص مذهبهم

الصف السابع طائفة من ملحدة الفلاسفة والثوية والمتحيرة في الدين اعتقدوا أن الشرائع نواميس مؤلفة وان المعجزات مخاريق مزخرفة فإذا رأوا هؤلاء يكرمون من ينتمي إليهم ويفيضون ذخائر الأموال عليهم اتدبوا لمساعدتهم طلبا لحطام الدنيا واستحقارا لامر العقبي وهذه الطائفة هم الذين لفقوا لهم الشبه وزينوا لهم بطريق التمويه الحجاج وسووها على شروط الجدول وحدود المنطق من حيث الظاهر وغبوا مكان التليس والمغالطة فيها تحت ألفاظ مجملة وعبارات كلية مبهمه قلما يهتدي الناظر الضعيف الى فك تعقيها وكشف الغطاء عن ممكن تدليسها على ما سنورد ما لفقوه ونبه على المسلك الذي سلكوه وهجوه ونكشف عن فساده من عدة وجوه الصف الثامن طائفة استولت عليهم الشهوات فاستدرجتهم متابعة اللذات واشتد عليهم وعيد الشرع وثقلت عليهم تكاليفه فليس يتنهأ عيشهم إذا قرفوا بالفسق والفجور وتوعدوا بسوء العقاب في الدار الآخرة فإذا صادفوا من يفتح لهم الباب ويرفع عنهم الحجز والحجاب ويحسن لهم ما هم مستحسنون له بالطبع تسارعوا الى التصديق بالرغبة والطوع وكل انسان مصدق لما يوافق هواه ويلائم غرضه ومنه هؤلاء ومن يجري مجراهم هم الذين عدموا التوفيق فالتدعوا بهذه المخاريق وزاغوا عن سواء الطريق وحلود التحقيق

#### الباب الرابع في نقل مذاهبهم جملة وتفصيلا

أما الجملة فهو أنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لما يعترها من الشبهات ويتطرق الى النظر من الاختلافات واليجاب لطلب الحق بطريق التعليم والتعلم وحكم بان المعلم المعصوم هو المستبصر وانه مطلع من جهة الله على جميع اسرار الشرائع يهدي الى الحق ويكشف عن المشكلات وان كل زمان فلا بد فيه من امام معصوم يرجع اليه فيما يستبهم من امور الدين

هذا مبدأ دعوتهم ثم انهم بالآخرة يظهرون ما يناقض الشرع وكأنه غاية مقصدهم لان سبيل دعوتهم ليس بمتعين في فن واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفروا منهم بالانقياد لهم والموالة لامامهم فيوافقون اليهود والنصارى والنجوس على جملة معتقداتهم ويقرونها عليها فهذه جملة المذاهب وأما تفصيله فيتعلق بالالهيات والنبوات والإمامة والحشر والنشر وهذه أربعة أطراف وأنا مقتصر في كل طرف على نبذة يسيرة من حكاية

مذهبهم فإن النقل عنهم مختلف وأكثر ما حكي عنهم إذا عرض عليهم انكروه وإذا روجع فيه الذين استجابوا

لدعوتهم جحدوه والذي قدمناه في جملة مذهبهم يقتضي لا محالة ان يكون النقل عنهم مختلفا مضطربا فانهم لا يخاطبون الخلق بمسلك واحد بل غرضهم الاستبعا والاحتيايل فلذلك تختلف كلمتهم ويتفاوت نقل المذهب عنهم فان ما حكي عنهم في الخلع والسلخ لا يظهر وانه إلا مع من بلغ الغاية القصوى بل ربما يخاطبون بالخلع من ينكرون معه السلخ فلنرجع إلى بيان أطراف المذهب

الطرف الاول في معتقدهم في الالهيات وقد اتفقت أقاويل نقله المقالات من غير تردد أنهم قائلون بالهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا ان احدهما علة لوجود الثاني واسم العلة السابق واسم المعلول التالي وان السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه وقد يسمى الاول عقلا والثاني نفسا ويزعمون ان الأول هو التام بالفعل والثاني بالاضافة اليه ناقص لانه معلوله وربما لبسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه كقوله تعالى إنا نحن نزلنا و نحن قسمنا وزعموا ان هذه إشارة الى جمع لا يصدر عن واحد ولذلك قال سبحانه اسم ربك الاعلى إشارة الى السابق من الالهين فانه الاعلى ولولا ان معه لها آخر له العلو أيضا لما انتظم إطلاق الأعلى وربما

قالوا الشرع سماهما باسم القلم واللوح والأول هو القلم فان القلم مفيد واللوح مستفيد متأثر والمفيد فوق المستفيد وربما قالوا اسم التالي قدر في لسان الشرع وهو الذي خلق الله به العالم حيث قال إنا كل شئ خلقناه بقدر ثم قالوا السابق لا يوصف بوجود ولا عدم فان العدم نفى والوجود سببه فلا هو موجود ولا هو معدوم ولا هو معلوم ولا هو مجهول ولا هو موصوف ولا غير موصوف وزعموا أن جميع الاسمي منتفية عنه وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع فانهم لو قالوا إنه معدوم لم يقبل منهم بل منعوا الناس من تسميته موجودا وهو عين النفي مع تعبير العبارة لكنهم تحذقوا فسموا هذا النفي تنزيها وسوا مناقضه تشبيها حتى تميل القلوب الى قبوله ثم قالوا العالم قديم أي وجوده ليس مسبوقا بعدم زماني بل حدث من السابق التالي وهو اول مبدع وحدث من المبدع الاول النفس الكلية الفاشية جزئيا في هذه الابدان المركبة وتولد من حركة النفس الحرارة ومن سكونها البرودة ثم تولد منهما الرطوبة واليوسة ثم تولدت من هذه الكيفيات الاستقصات الاربع وهي النار والهواء والماء والأرض ثم اذا امتزجت على اعتدال ناقص حدثت منها المعادن فإن زاد قربها من الاعتدال وأهدم صرفية التضاد منها تولد منها النبات وان زاد تولد الحيوان فان ازداد قربا تولد الانسان وهو منتهى الاعتدال

فهذا ما حكي من مذهبهم الى امور اخر هي افحش مما ذكرناه لم نر تسويد البياض بنقلها ولا تبيان وجه الرد عليها لمعنيين احدهما أن المخدعين بخداعهم وزورهم والمتدلين بحيل غرورهم في عصرنا هذا لم يسمعوا هذا منهم فينكرون جميع ذلك إذا حكي من مذهبهم ويحدثون في انفسهم أن هؤلاء انما خالفوا لانه ليس عندهم حقيقة مذهبنا ولو عرفوها لوافقونا عليها فترى ان نشغل بالرد عليهم فيما اتفقت كلمتهم وهو إبطال الرأي والدعوة الى التعلم من الامام المعصوم فهذه عمدة معتقلهم وزبدة محضهم فلنصرف العناية اليه وما عداه فمستقم الى هديان ظاهر البطلان وإلى كفر مسترق من الثنوية والنجوس في القول بالالهين مع تبديل عبارة النور والظلمة ب السابق والتالي الى ضلال منتزع من كلام الفلاسفة في قولهم ان المبدأ الاول علة لوجود العقل على سبيل اللزوم عنه لا على سبيل القصد والاختيار وانه حصل من ذاته بغير واسطة سواه نعم يشبتون موجودات قديمة يلزم بعضها عن بعض ويسموها عقولا ويجيلون وجود كل فلك على عقل من تلك العقول في خبط لهم طويل قد استقصينا وجه الرد عليهم في ذلك في فن الكلام ولسنا نشغل في هذا الكتاب الا بما يخص هذه الفرقة وهو إبطال الرأي واثبات التعليم

الطرف الثاني في بيان معتقلهم في النبوات والمنقول عنهم قريب من مذهب الفلاسفة وهو ان النهي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لان تنقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما

فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية

الزكية في المنام حتى تشاهد من مجاري الاحوال في المستقبل إما صريحاً بعينه او مدرجاً تحت مثال يناسبه مناسبة ما فنتفقر فيه إلى التعبير إلا أن النبي هو المستعد لذلك في اليقظة فلذلك يدرك النبي الكليات العقلية عند شروق ذلك النور وصفاء القوة النبوية كما ينطبع مثال الحسوسات في القوة الباصرة من العين عند شروق نور الشمس على سطوح الأجرام السفلية وزعموا أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه ورمز اليه لا انه شخص متجسم متركب عن جسم لطيف او كثيف يناسب المكان حتى ينتقل من علو الى سفلى واما القرآن فهو عندهم تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو المراد باسم جبريل ويسمى كلام الله تعالى مجازاً فانه مركب من جهته واما الفائض عليه من الله بواسطة جبريل بسيط لا تركيب فيه وهو باطن لا ظهور له وكلام النبي وعبارته عنه ظاهر لا بطون له وزعموا ان هذه القوة القدسية الفائضة على النبي لا تستكمل في اول حلولها كما لا تستكمل النطق في الحالة في الرحم الا بعد تسعة أشهر فكذلك هذه القوة كماها في ان تنتقل من الرسول الناطق الى الاساس الصامت وهكذا تنتقل الى

أشخاص بعضهم بعد بعض فيكمل في السابع كما سنحكي معنى قولهم في الناطق والاساس والصامت وهذه المذاهب مستخرجة من مذاهب الفلاسفة في النبوات مع تحريف وتغيير ولسنا نحوض في الرد عليهم فيه فإن بعضهم يمكن أن يتأول على محله لانكره والقدر الذي نكره قد استقصينا وجه الرد فيه على الفلاسفة ولسنا في هذا الكتاب نقصد الا الرد على نابغة الزمان في خصوص مذهبيهم الذي انفردوا به عن غيرهم وهو ايجاب التعليم وإبطال الرأي

الطرف الثالث بيان معتقدتهم في الإمامة وقد اتفقوا على انه لا بد في كل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الإشكالات في القرآن والاحبار والمعقولات واتفقوا على انه المتصدي لهذا الأمر وان ذلك جار في نسبهم لا ينقطع أبد الدهر ولا يجوز أن ينقطع إذ يكون فيه إهمال الحق وتغطيته على الخلق وإبطال قوله عليه السلام كل سب ونسب ينقطع الا سبى ونسبى وقوله ألم أترك فيكم القرآن وعترتي واتفقوا على أن الامام يساوي النبي في العصمة والاطلاع على حقائق الحق في كل الامور الا انه لا ينزل اليه الوحي وانما يتلقى ذلك من النبي فانه خليفته ويزاء منزلته ولا يتصور في زمان واحد امامان كما لا يتصور نبين مختلف شرعتهما نعم يستظهر الامام بالحجج والمأذونين والاجنحة والحجج هم الدعاة فقالوا لا بد للإمام في كل وقت من اثني عشر حجة ينتدبون في الأقطار متفرقين في الأمصار وليلازم أربعة من جملة الاثني عشر حضرته فلا يفارقونه ولا بد لكل حجة من معاونين له على امره فانه لا ينفرد بالدعوة بنفسه واسم معاون المأذون عندهم ولا بد للدعاة من رسل الى الإمام يرفعون اليه الأحوال ويصدرون عنه اليهم واسم الرسول الجناح ولا بد للداعي من أن يكون بالغاً في العلم والمأذون وإن كان دونه فلا بأس بعد أن يكون عالماً على الجملة وكذلك الجناح

ثم اهتم قالوا كل نبي لشرعته مدة فإذا انصرمت مدته بعث الله نبياً آخر ينسخ شريعته ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار وهو سبعة قرون فأولهم هو النبي الناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله ومعنى الصامت ان يكون قائماً على ما أسسه غيره ثم أنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة إمام بعد إمام فإذا انقضت أعمارهم ابتعث الله نبياً آخر ينسخ الشريعة المتقدمة وزعموا أن أمر آدم جرى على هذا المثال وهو اول نبي ابتعثه الله في فتح باب الجسمانيات وحسم دور الروحانيات

ولكل نبي سوس والسوس هو الباب الى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته والإمام لمن هو في زمانه كما قال عليه السلام أنا مدينة العلم وعلي بإمها وزعموا أن آدم كان سوسة شيث وهو الثاني ويسمى من بعده متما ولاحقا وإماما وإنما كان استتمام دور آدم سبعة لان استتمام دور العالم العلوي بسبعة من النجوم ولما استتم دور آدم ابعث الله نوحا ينسخ شريعته وكان سوسة سام فلما استتم دوره بمضي ستة سواه وسبعة معه ابعث الله إبراهيم ينسخ شريعته وكان سوسة اسحق ومنهم من يقول لا بل اسماعيل فلما استتم دوره بالسابع معه ابعث الله موسى ينسخ شريعته وكان سوسة هارون فمات هارون في حياة موسى فصار سوسة يوشع بن نون فلما استتم دوره بالسابع معه ابعث الله عيسى ينسخ شريعته وسوسة شعون ولما استتم دوره بالسابع ابعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وسوسة علي عليه السلام وقد استتم دوره بجعفر بن محمد فإن الثاني من الأئمة الحسن بن علي والثالث الحسين بن علي والرابع علي بن الحسين والخامس محمد بن علي والسادس جعفر بن محمد عليه السلام وقد استتموا سبعة معه وصارت شريعته ناسخة وهكذا يلور الأمر ابد الدهر

هذا ما نقل عنهم مع خرافات كثيرة أهملنا ذكرها ضنة بالبياض أن يسود بها

الطرف الرابع بيان مذهبهم في القيامة والمعاد وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة وان هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من انسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لا يتصرم أبدا الدهر وان السموات والأرض لا يتصور انعدام اجسامهما وأولوا القيامة وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر وربما قال بعضهم ان للفلك أدوارا كلية تتبدل احوال العالم تبديلا كلياً بطوفان عام او سبب من الأسباب فمعنى القيامة اقضاء دورنا الذي نحن فيه واما المعاد فانكروا ما ورد به الأنبياء ولم يشعروا بالحشر والنشر للاجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شئ الى أصله والانسان متركب من العالم الروحاني الجسماني اما الجسماني منه وهو جسده فمتركب من الاخلاط الاربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم فينحل الجسد ويعود كل خلط الى الطبيعة العالية أما الصفراء فتصير نارا وتصير السوداء ترابا ويصير الدم هواء ويصير البلغم ماء وذلك هو معاد الجسد وأما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الانسان فانها ان صفت بالمواظبة على العبادات وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصلها وتسعد بالعود الى وطنها الأصلي ولذلك سمي رجوعا فقيلا ارجعي الى ربك راضية مرضية وهي الجنة وإليه وقع الرمز بقصة آدم وكونه في الجنة ثم انفصاله عنها ونزوله الى العالم السفلاي ثم عودها بالآخرة وزعموا ان كمال النفس بموتها إذ به خلاصها من ضيق الجسد والعالم الجسماني كما أن النطفة في الخلاص من ظلمات الرحم والخروج الى فضاء العالم والانسان كالنطفة والعالم كالرحم والمعرفة كالغذاء فإذا نفذت فيه صارت بالحقيقة كاملة وتخلصت فإذا استعدت لفيض العلوم الروحانية باكتساب العلوم من الأئمة وسلوك طرقها المفيدة يارشادهم استكملت عند مفارقة الجسد وظهر لها ما لم يظهر ولذلك قال عليه السلام الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وكلما ازدادت النفس عن عالم الحسيات بعدا ازدادت للعلوم الروحانية استعدادا وكذلك إذا ركبت الحواس بالنوم اطلعت على عالم الغيب واستشعرت ما سيظهر في المستقبل إما بعينه فيغنى عن المعبر او بمثال فيحتاج الى التعبير فالنوم اخو الموت وفيه يظهر علم ما لم يكن في اليقظة فكذا الموت تنكشف امور لم تخطر على قلب بشر في الحياة وهذا للنفوس التي قدستها الرياضة العملية والعلمية فأما النفوس المنكوسة المعمورة في عالم الطبيعة المعرضة عن رشدتها من الأئمة المعصومين فانها تبقى ابد الدهر في النار على معنى انها تبقى في العالم الجسماني

تناسخها الأبدان فلا تزال تعرض فيها للألم والاسقام فلا تفارق جسدا إلا ويتلقاها آخر ولذلك قال تعالى كلما  
نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فهذا مذهبهم في المعاد وهو بعينه مذهب الفلاسفة وإنما  
شاع فيهم لما انتدب لنصرة مذهبهم جماعة من الثنوية والفلاسفة فكل واحد نصر مذهبهم طمعا في امواهم وخلعهم  
واستظهارا باتباعهم لما كان قد ألفه في مذهبه فصار أكثر مذهبهم موافقا للثنوية والفلاسفة في الباطن وللروافض  
والشيعة في الظاهر وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة عن نفوس الخلق حتى تبطل به الرغبة  
والرهبة ثم ما اوهموه وهذوا به لا يفهم في نفسه ولا يؤثر في ترغيب وترهيب وسنشير الى كلام وجيز في الرد  
عليهم في هذا الفن وأخباره في آخر الفصل

الطرف الخامس في اعتقادهم في التكليف الشرعية والمنقول عنهم الاباحة المطلقة ورفع الحجاب واستباحة  
الحظورات واستحلالها وانكار الشرائع إلا أنهم بأجمعهم ينكرون ذلك اذا نسب اليهم وإنما الذي يصح من معتقدتهم  
فيه أنهم يقولون لا بد من الانقياد للشرع في تكليفه على التفصيل الذي يفصله الامام من غير متابعة الشافعي وأبي  
حنيفة وغيرهما وان ذلك واجب على الخلق والمستجيبين الى ان ينالوا رتبة الكمال في العلوم فإذا أحاطوا من جهة  
الإمام بحقائق الأمور واطلعوا

على بواطن هذه الظواهر انحلت عنهم هذه القيود وانحطت عنهم هذه التكليف العملية فان المقصود من أعمال  
الجوارح تنبيه القلب ليهض الطب العلم فإذا ناله اسعد للسعادة القصوى فيسقط عنه تكليف الجوارح وإنما  
تكليف الجوارح في حق من يجري مجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة وأما الأذكياء  
والمدركون للحقائق فدرجتهم ارفع من ذلك وهذا فن من الإغواء شديد على الأذكياء وغرضهم هدم قوانين  
الشرع ولكن يخادعون كل ضعيف بطريق يغويه ويليق به وهذا من الإضلال البارد وهو في حكم ضرب المثال  
كقول القائل إن الاحتماء عن الاطعمه المضرة انما يجب على من فسد مزاجه فأما من اكتسب اعتدال المزاج  
فليواظب على أكل ما شاء أي وقت شاء فلا يلبث المصغي الي هذا الضلال ان يمعن في المطعومات المضرة إلي أن  
تتداعى به الى الهلاك

فإن قيل قد نقلتم مذهبهم وما ذكرتم وجه الإبطال فما السبب فيه قلنا إن ما نقلناه عنهم ينقسم الى امور يمكن  
تنزيلها على وجه لا نكره والى ما يتعين من الشرع انكاره والمنكر هو مذهب الثنوية والفلاسفة والرد عليهم فيه  
يطول فليس ذلك من خصائص مذهب هؤلاء حتى نتشغل به وإنما نرد عليهم في خصوص مذهبهم من ابطال الرأي  
وابتات التعليم من الامام المعصوم ولكننا مع ذلك نذكر مسلكا واحدا هو على التحقيق قاصم الظاهر نعي في ابطال  
مذهبهم في جميع ما سنحكي عنهم وما حكيناه وهو أننا نقول لهم في جميع دعاويهم التي تميزوا بها عنا كإنكار القيامة  
وقدم العالم وإنكار بعث الأجساد

وانكار الجنة والنار على ما دل عليه القرآن مع غاية الشرح في وصفها من أين عرفتم ما ذكرتموه أعن ضرورة أو  
عن نظر أو عن نقل عن الامام المعصوم وسماع فان عرفتموه ضرورة فكيف خالفكم فيه ذوو العقول السليمة لان  
معنى كون الشئ ضروريا مستغنيا عن التأمل اشترك كافة العقلاء في دركه ولو ساغ أن يهذي الانسان بدعوى  
الضرورة في كل ما يهواه لجاز لخصومهم دعوى الضرورة في نقيض ما ادعوه وعند ذلك لا يجدون مخلصا بحال من  
الأحوال

وان زعموا أننا عرفنا ذلك بالنظر فهو باطل من وجهين أحدهما أن النظر عندهم باطل فانه تصرف بالعقل لا بالتعليم  
وقضايا العقول معارضة وهي غير موثوق بها ولذلك أبطلوا الرأي بالكلية ولم نصنف هذا الكتاب قصدا لإبطال



هذا المذهب فكيف يمكن ذلك منهم الثاني أن يقال للفلاسفة والمعترفين بمسالك النظر بم عرفتم عجز الصانع عن خلق الجنة والنار وبعث الأجساد كما ورد به الشرع وهل معكم إلا استعداد محض لو عرض مثله على من لم يشاهد النشأة الأولى لاستبعده وعرض له ذلك الإنكار فالرد عليهم بالحجة المنطوية تحت قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ومن تأمل عجائب الصنع في خلق الآدمي من نطفة قدرة لم يستبعد من قدرة الله شيئاً وعرف أن الاعادة اهون من الابتداء

فإن قيل الاعادة غير معقولة والابتداء معقول إذ ما عدم كيف يعود قلنا لفهم الابتداء حتى نبي عليه الاعادة ورأى المتكلمين فيه أن الابتداء يخلق الحياة في جسم من الأجسام مع ان الحياة عرض يتجدد ساعة فساعة بخلق الله تعالى فلا يستحيل على أصلهم الإمساك عن خلق الحياة مدة في الجسم ثم يعود الى خلق الحياة كما لا يستحيل خلق الحركة بعد السكون والسواد بعد البياض ورأى الفلاسفة أن قوام الحياة استعداد جسم مخصوص بنوع من الاعتدال الى الانفعال عن النفس التي هي جوهر قائم بنفسه غير متحيز ولا متجسم ولا هو منقطع في جسم لا علاقة بينه وبين الجسم الا بالفعل فيه ولا علاقة بين الجسم وبينه الا بالانفعال عنه ومعنى الموت انقطاع هذه العلاقة الفعلية ببطان استعداد الجسم فانه لا يستعد للانفعال الا إذا كان على مزاج مخصوص كما لا يستعد الحديد لانطباع الصورة المحسوسة فيه او انعكاس الاشعة عنه الا إذا كان على هيئة مخصوصة فإذا بطلت تلك الهيئة لم ينفع الحديد عن الصورة الخاذية له ولم ينطبع فيه فإذا كان هذا مذهبهم فالقادر على إحداث العلاقة بين نفس لا تتجسم ولا تختص بمكان ولا توصف بانها متصلة بالجسم ولا بانها منفصلة عنه وبين الجسم الذي لا تناسبه بحقيقتها ولا تتصل به اتصالاً محسوساً كيف يعجز عن اعادة تلك العلاقة والعجب أن أكثرهم جوزوا اثبات تلك العلاقة مع جسد آخر على طريق التناسخ فلم لا يجوز عودها الى جسدها فان الجسد الذي فسد مزاجه لا بعد في أن يصلح مزاجه وتعاد تلك العلاقة ايه فيكون هو المراد بالاعادة ويضاهي التيقظ بعد المنام فانه يعيد حركة الحواس وتذكر الأمور السالفة

فان قيل المزاج إذا فسد لا يعود معتدلاً إلا بان تتحل اجزاء الجسم الى العناصر ثم تتركب ثانياً ثم يصير حيواناً ثم يصير نطفة فهذا الاعتدال للنطفة على الخصوص قلنا ومن أين عرفتم انه ليس في مقلود الله جبر الخلل الواقع بطريق سوى هذا الطريق ومن أين عرفتم أن هذا الذي ذكرتموه طريق فهل لكم مستند سوى مشاهدة الأحوال وهل لكم في ابطال غيره مستند سوى عدم المشاهدة ولو لم تشاهدوا خلق الانسان من نطفة لنفرت عقولكم عن التصديق به ففي الأسباب المغيرة لأحوال الأجسام عجائب يستكرها من لا يشاهدها فمن منكر ينكر الخواص وآخر ينكر السحر وآخر ينكر المعجزة وآخر ينكر الاخبار عن الغيب وكل يعول في إقراره على قدر مشاهدته لا على طريق معقول في إثبات الاستحالة ثم من لم يشاهده ويستيقنه يبنى أن نفرة طبعه عن التصديق كان لعدم المشاهدة

وفي مقلورات الله عجائب لم يطلع عليها بشر فلم يستحل ان يكون لاعادة تلك الاجسام واعادة مزاجها سبب عند الله ينفرد بمعرفته وإذا اعاده عادت النفس متصرفه فيه كما كان بزعمهم في الحياة والعجب ممن يدعي الخندق في المعقولات ثم يشاهد ما في العالم من العجائب والآيات ثم تضيق حوصلته عن قبول ذلك في قدرة الله وإذا نسب ما لم يشاهده الى ما شاهده لم ير أعجب منه نعم لو قال القائل هذا امر لا يدل العقل على إحالته ولكن لا يدل أيضاً على جوازه بل يتوقف عن الحكم فيه ويجوز ان يكون ثم محيل لا يطلع عليه او مجوز لا يطلع عليه فهذا أقرب من الأول ويلزم بحكمه تصديق النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخبر عنه فانه أخبر عما لا يستحيل في العقل وجوده

وعلى الجملة فقد اشتمل على أطوار الخلق ودرجاته قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الى قوله  
تبعثون فأطبق الخلق على التصديق بجملة المقدمات إلا البعث لأنهم شاهدوا جميع ذلك سوى البعث ولو لم يشاهدوا  
قط موتا لانكروا إمكان الموت ولو لم يشاهدوا خلق آدمي من نطفة لانكروا إمكانه فالبعث مع ما قبله في ميزان  
العقل على وتيرة واحدة فلنصدق الأنبياء فيما جاعوا به فإنه لا يمتنع وهذا كله كلام مع فلاسفة النظار اما الباطنية  
المنكرون للنظر فلا يمكنهم التمسك بالنظر نعم لو قال الباطني أحبرني الإمام المعصوم ان البعث مستحيل فصدقته  
قيل له وما الذي دعاك الى تصديق الإمام المعصوم بزعمك ولا معجزة له وصرحك عن تصديق محمد بن عبد الله مع  
المعجزات

والقرآن من اوله الى اخره دال على جواز ذلك ووقوعه فهل لك من مانع سوى ان عصمته علمت بمعجزته  
وعصمة من يدعيه علمت بمذبانك وشهوتك فان قال ان ما في القرآن ظواهر هي رموز إلى بواطن لم يفهموها وقد  
فهمها الإمام المعصوم فتعلمنا منه قلنا تعلمتم منه بمشاهدة ذلك في قلبه بالعين او سماعا من لفظه ولا يمكن دعوى  
المشاهدة ولا بد من الاستناد الى سماع لفظه قلنا وما يؤمنك أن لفظه له باطن لم تطلع عليه فلا تتق بما فهمته من  
ظاهر لفظه فإن زعمت أنه صرح معك وقال ما ذكرته هو ظاهر لا رمز فهو المراد ظاهره قلنا وبم عرفت أن قوله  
هذا وهو أنه ظاهر لا رمز فيه أيضا ظاهر وفيه رمز الى ما لم تطلع عليه فلا يزال يصرح بلفظه ونحن نقول لسنا ممن  
يعتبر بالظواهر ففعل تحت رمزا وان انكر الباطن فنقول تحت انكاره رمز وان حلف بالطلاق الثالث على انه ما قصد  
الا الظاهر فنقول في طلاقه رمز وانما هو مظهر شيئا ومضمر غيره فان قلت فذلك يؤدي الى حسم باب التفهيم قلنا  
فأنتم حسمتم باب التفهيم على الرسول فان ثلثي القرآن في وصف الجنة والنار والحشر والنشر مؤكدا بالقسم  
والايمان وانتم تقولون لعل تحت ذلك رمزا وانتم تقولون وأي فرق بين ان يطول في تفهيم الأمور التطويل الذي  
عرف في القرآن والأخبار وبين أن تقول ما أريد إلا الظاهر فإن جاز عليه ان يفهم الظاهر ويكون مراده غير ما علم  
قطعا انه ما وصل الى افهام الخلق ويكون كاذبا في جميع ما قال لاجل مصلحة وسر فيه جاز ان يكون امامكم المعصوم  
بزعمكم يضم معكم خلاف ما يظهره وضد ما يفهمه ونقيض ما يتيقن انه الواصل الى افهامكم ويؤكد ذلك  
بالايمان المغلظة لمصلحة له وسر فيه وهذا لا جواب عنه أبد الدهر وعند هذا ينبغي أن يعرف الانسان ان رتبة هذه  
الفرقة أحسن من رتبة كل فرقة من فرق الضلال

إذ لا نجد فرقة يقض مذهبها بنفس المذهب سوى هذه إذ مذهبها إبطال النظر وتغيير الالفاظ عن موضوعاتها  
بدعوى الرموز وكل ما يتصور ان ينطلق به لسانهم اما نظر او نقل اما النظر فقد ابطوه وأما اللفظ فقد جوز ان  
يراد باللفظ غير موضوعه فلا يبقى لهم معتصم فإن قيل فهذا ينقلب عليكم فأنتم تجوزون ايضا تأويل الظواهر كما  
اولتم آية الاستواء وخبر النزول وغيرهما قلنا ما ابعد هذا القلب فإن لنا معيارا في التأويل وهو أن ما دل نظر العقل  
ودليله على بطلان ظاهره علمنا ضرورة أن المراد غير ذلك بشرط ان يكون اللفظ مناسبا له بطريق التجوز  
والاستعارة فقد دل الدليل على بطلان الاستواء والنزول فإن ذلك من صفات الحوادث فحمل على الاستيلاء وهو  
مناسب للغة واما الحشر والنشر والجنة والنار فليس في العقل دليل على إبطاله ولا مناسبة بين الالفاظ الواردة فيه  
وبين المعنى الذي اولوه عليه حتى يقال انه المراد بل التأويل في تكذيب محض فأى مناسبة بين قوله فيها عين جارية  
فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وقوله في سدر محضود وطلح منضود الى قوله  
لا مقطوعة وبين ما اعتقدوه من اتصال الجواهر الروحانية بالأمو

الروحانية العقلية التي لا مدخل فيها للمحسوسات فإن جاز أن يكذب صاحب المعجزة بهذه التأويلات التي لم تحظر

قط ببال من سمعها فلم لا يجوز تكذيب معصومكم الذي لا معجزة له بتأويله على أمور ليس تختص ببالهم لمصلحة او لمسيس حاجة فإن غاية لفظه التصريح والتقسيم وهذه الألفاظ في القرآن صريحة ومؤيدة بالتقسيم وزعموا ان ذلك ذكر لمصلحة والمراد غير ما سبق الى الأفهام منها وهذا لا مخلص عنه

## الباب الخامس في إفساد تأويلاتهم للظواهر الجلية واستدلالهم بالأمور

العديدة

وفيه فصلان الفصل الاول في تأويلاتهم للظواهر

والقول الوجيز فيه أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة صرفوهم عن المراد بهما الى مخاريق زخرفوها واستفادوا بما انتزعه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني اشرع وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم للمبايعة والموالاتة وأنهم لو صرحوا بالنفي الخوض والتكذيب انجرد لم يحظوا بموالاتة الموالين وكانوا اول المقصودين المقتولين

ونحن نحكي من تأويلاتهم نبذة لنستدل بها على مخازيهم فقد قالوا كل ما ورد من الظواهر في التكاليف والحشر والنشر والأمور الإلهية فكلمها أمثلة ورموز الى بواطن اما الشرعيات فمعنى الجنابة عندهم مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال رتبة استحقاقه ومعنى الغسل تجديد

العهد على فعل ذلك ومجامعة الهيمنة معناها عندهم معالجة من لا عهد عليه ولم يؤد شيئاً من صدقة النجوى وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم فلذلك اوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به والا فالهيمنة متى وجب القتل عليها والزنا هو القاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد الاحتلام هو ان يسبق لسانه الى إفشاء السر في غير محله فعليه الغسل اي تجديد المعاهدة الطهور هو التبري والتنظيف من اعتقاد كل مذهب سوى مبايعة الامام الصيام هو الامساك عن كشف السر الكعبة هي النبي والباب علي الصفا هو النبي والمروة علي والميقات هو الاساس والتلبية إجابة الداعي والطواف بالبيت سبعا هو الطواف بمحمد الى تمام الأئمة السبعة والصلوات الخمس أدلة على الاصول الاربعة وعلى الامام فالتعجب دليل السابق والظاهر دليل التالي والعصر دليل للأساس والمغرب دليل الناطق والعشاء دليل الإمام

وكذلك زعموا أن الحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنبهم كما أن العبادات عبارة عن الاخيار الأبرار الذين أمرنا باتباعهم

فأما المعاد فزعم بعضهم أن النار والاعلال عبارة عن الأوامر التي هي التكاليف فانها موظفة على الجهال بعلم الباطن فما داموا مستمرين عليها فهم معذبون فإذا نالوا علم الباطن وضعت عنهم أغلال التكاليف وسعدوا بالخلاص عنها واخذوا يؤولون كل لفظ ورد في القرآن والسنة فقالوا أنهار من لبن أي معادن الدين العلم الباطن يرتضع بها أهلها ويتغذى بها تغذيا تدوم بما حياته اللطيفة فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم كما ان حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدي الام و أنهار من حمر هو العلم الظاهر و أنهار من عسل مصفى هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة

أما المعجزات فقد أولوا جميعها وقالوا الطوفان معناه طوفان العلم اغرق به المتمسكون بالسنة والسفينة حرزه الذي تحصن به من استجاب لدعوته ونار ابراهيم عبارة عن غضب فرود لا عن النار الحقيقية وذبح اسحق معناه اخذ العهد عليه عصا موسى حجته التي تلقفت ما كانوا يفتكون من الشبه لا الخشب انفلاق البحر افتراق علم موسى

فيهم على أقسام والبحر هو العالم والغمام الذي أظلمهم معناه الامام الذي نصبه موسى لإرشادهم وإفاضة العلم عليهم الجراد والقمل والضفادع هي سؤالات موسى وإزلماته التي سلطت عليهم والمن والسلوى علم نزل من السماء لداع من الدعاة هو المراد بالسلوى تسييح الجبال معناه تسييح رجال شداد في الدين راسخين في اليقين

الجن الذي ملكهم سليمان بن داود باطنية ذلك الزمان والشياطين هم الظاهرية الذي كلفوا بالأعمال الشاقة عيسى له أب من حيث الظاهر وإنما أراد بالأب الإمام إذ لم يكن له إمام بل استفاد العلم من الله بغير واسطة وزعموا لعنهم الله أن أباه يوسف النجار كلامه في المهدي اطلعه في مهد القالب قبل التخلص منه على ما يطلع عليه غيره بعد الوفاة والخلص من القالب إحياء الموتى من عيسى معناه الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل الباطن وإبرأه الأعمى معناه عن عمي الضلال وبرص الكفر ببصرة الحق المبين إبليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلي إذ امر أبو بكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر الدجال زعموا انه أبو بكر وكان أعور إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ويأجوج ومأجوج هم أهل الظاهر

هذا من هذيلهم في التأويلات حكيناها ليضحك منها ونعوذ بالله من صرعة الغافل وكبوة الجاهل ولسنا نسلك في الرد عليهم إلا بمسالك ثلاثة إبطال ومعارضة وتحقيق

أما الإبطال فهو أن يقال بم عرفتم أن المراد من هذه الألفاظ

ما ذكرتم فإن اخذتموه من نظر العقل فهو عندكم باطل وان سمعتموه من لفظ الامام المعصوم فلفظه ليس بأشد تصريحاً من هذه الألفاظ التي أولتموها فعل مراده أمر آخر اشد بطونا من الباطن الذي ذكرتموه ولكنه جاوز الظاهر بدرجة فرعم ان المراد بالجبال الرجال فما المراد بالرجال لعل المراد به امر آخر والمراد بالشياطين أهل الظاهر فما أهل الظاهر والمراد باللبن العلم فما معنى العلم فإن قلت العلم والرجال أهل الظاهر صريحة في مقتضياتها بوضع اللغة ان كنت ناظراً بالعين العوراء الى احد الجانبين فأنت المراد إذا بالدجال فإنه أعور لانك أبصرت باحدى العينين فإن الرجال ظاهر وعميت بالعين الاخرى الناظرة الى الجبال وانها ايضاً ظاهر فإن قلت يمكن ان يكنى بالجبال عن الرجال قلنا ويمكن ان يكنى بالرجال عن غيرهم كما عبر الشاعر بالرجلين اللذين احدهما خياط والآخر نساج عن امور فلكية واسباب علوية فقال ... رجالان خياط واخر حائك ... مقابلان على السماك الاعزل ... لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ... ويخيط صاحبه ثياب المقبل ... وهكذا في كل فن و إذا نزل تسييح الجبال على تسييح الرجال فليتنزل معنى الرجال في قوله تعالى ٨٨ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ٨٨ على الجبال فإن المناسبة قائمة من الجانبين ثم إذا نزل الجبال على الرجال و نزل الرجال أيضا على غيره أمكن تنزيل ذلك الباطن الثالث على

رابع و تسلسل إلى حد يبطل التفاهم و الفهيم و لا يمكن التحكم بأن الحائز الرتبة الثانية دون الثالثة أو الثالثة دون الرابعة للسلك الثاني معارضة الفاسد بالفاسد و هو أن يتناول جميع الأخبار على نقيض مذهبهم مثلاً يقال قوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة أى لا يدخل العقل دماغا فيه التصديق بالمعصوم وقوله إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعا أى إذا نكح الباطني بنت أحدكم فليغسلها عن درن الصحبة بماء العلم و صفاء العمل بعد أن يعفرها بتراب الإذلال أو يقول قاتل النكاح لا ينعقد بغير شهود وولى و أما قوله كل نكاح لا يحضره أربعة فهو سفاح معناه أن كل اعتقاد لم يشهد له الحلفاء الأربعة أبو بكر و عمر و عثمان و علي فهو باطل و قوله لا نكاح إلا بولي و شاهدي عدل أى لا وقاع إلا بذكر و أنثيين إلى غير ذلك من الترهات و المقصود من ذكر هذا القدر معارضة

الفاسد بالفاسد و تعريف الطريق في فتح هذا الباب حتى إذا اهتديت إليه لم تعجز عن تنزيل كل لفظة من كتاب أو سنة على نقيض معتقدهم فإن زعموا أنكم أنزلتم الصورة على المعصوم في قوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة فأى مناسبة بينهما قلت و أنتم نزلتم الثعبان على البرهان و الأب في حق عيسى على الإمام و اللبن على العلم في أنهار اللبن في الجنة و الجن على الباطنية و الشياطين على الظاهرية و الجبال على الرجال فما المناسبة فإن قلت البرهان يقضم الشبه كما يقضم الثعبان غيره و الإمام يفيد الوجود العلمي كما يفيد الأب الوجود الشخصي و اللبن يغذي الشخص كما

يغذي العلم الروح و الجن باطن كالباطنية فيقال لهم فإذا اكتفيتم بهذا القدر من المشاركة فلم يخلق الله شيئين إلا و بينهما مشاركة في وصف ما فإننا نزلنا الصورة على الإمام لان الصورة مثال لا روح فيها كما أن الامام عندكم معصوم و لا معجزة له و الدماغ مسكن العقل كما ان البيت مسكن العقل و الملك شئ روحاني كما أن العقل كذلك فثبت أن المراد بقوله لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة معناه لا يدخل العقل دماغا فيه اعتقادا عصمة الإمام فإذا عرفت هذا فخذ كل لفظ ذكره و خذ ما تريده و اطلب منهما المشاركة بوجه ما و تأوله عليه فيكون دليلا بموجب قولهم كما عرفتك في المناسبة بين الملك و العقل و الدماغ و البيت و الصورة و الإمام و إذا انفتح لك الباب اطلعت على وجه حيلهم في التلبس بنزع موجبات الألفاظ و تقدير الهوسات بدلا عنها للتوصل إلى إبطال الشرع و هذا القدر كاف في إبطال تأويلهم للمسلك الثالث و هو التحقيق أن تقول هذه البواطن و التأويلات التي ذكرتموها لو سألناكم أنها صحيحة فما حكمها في الشرع أيجب إخفاؤها أم يجب إفشاؤها فإن قلتم يجب إفشاؤها إلى كل أحد قلنا فلم كتبها محمد صلى الله عليه و سلم فلم يذكر شيئا من ذلك للصحابة و لعامة الخلق حتى درج ذلك العصر و لم يكن لأحد من هذا الجنس خبر

و كيف إستجاز كتمان دين الله و قد قال تعالى لتبيننه للناس و لا تكتمونه تنبها على أن الدين لا يحل كتمانها و إن زعموا أنه يجب إخفاؤه فنقول ما أوجب الرسول ص - إخفاؤها من سر الدين كيف حل لكم إفشاؤه و الجنانية في السر بالإفشاء ممن اطلع عليه من أعظم الجنائيات فلولا أن صاحب الشرع عرف سرا عظيما و مصلحة كلية في إخفاء هذه الأسرار لما أخفاها و لما كرر هذه الظواهر على أسماع الخلق و لما تكررت في كلمات القرآن صفة الجنة و النار بألفاظ صريحة مع علمه بأن الناس يفهمون منه خلاف الباطن الذي هو حق و يعتقدون هذه الظواهر التي لا حقيقة لها فإن نسبتهموه إلى الجهل بما فهمه الخلق منه فهو نسبة إلى الجهل بمعنى الكلام إذ كان النبي صلى الله عليه و سلم يعلم قطعاً أن الخلق ليس يفهمون من قوله و ظل ممدود و ماء مسكوب و فاكهة كثيرة إلا المفهوم منه في اللغة فكذا سائر الألفاظ ثم مع علمه بذلك كان يؤكد عليهم بالتكرير و القسم و لم يفش إليهم الباطن الذي ذكرتموه لعلمه بأنه سر الله المكتوم فلم أفشيتهم هذا السر و خرقتهم هذا الحجاب و هل هذا إلا خروج عن الدين و مخالفة لصاحب الشرع و هدم لجميع ما أسسه إن سلم لكم جدلا أن ما ذكرتموه من الباطن حق عند الله و هذا لا مخرج لهم عنه فإن قيل هذا سر لا يجوز إفشاؤه إلى عوام الخلق فلماذا لم يفشه رسول الله صلى الله عليه و سلم و لكن حق النبي أن يفشيه إلى سوسه الذي هو وصية و خليفته من بعده و قد أفشاه إلى علي دون غيره قلنا و علي هل أفشاه إلى غير سوسه و خليفته أم لا

فإن لم يفشه إلا إلى سوسه و كذا سوس سوسه و خليفة خليفته إلى الآن فكيف انتهى إلى هؤلاء الجهال من العوام حتى تناطقوا به و شحنت التصانيف بحكايته و تداولته الألسنة فلا بد أن يقال إن واحدا من الخلفاء عصي و أفشى السر إلى غير أهله فانتشر و عندهم أنهم معصومون لا يتصور عليهم العصيان فإن قيل السوس لا يذكره إلا مع من

تعاهده عليه قلنا و ما الذي منع الرسول من أن يعاهد و يذكره إن كان يجوز إفشاؤه مع العهد فإن قيل لعله عاهد و ذكر و لكن لم ينقل لأجل العهد الذي أخذ من أفشى إليه قلنا و لم تنتشر ذلك فيكم و أئمتكم لا يظهرون ذلك إلا مع من أخذ العهد عليه و ما الذي عصم عهد أولئك دون عهد هؤلاء ثم يقال إذا جاز إفشاء هذا السر بالعهد فالعهد يتصور نقضه فهل يتصور أن يفشيه إلى من يعلم الإمام المعصوم أنه لا ينقضه أو يكفى أن يظنه بفراسته و اجتهاده و استدلاله بالأمارات فإن قلتم لا يجوز إلا إلى من علم الإمام المعصوم أنه لا ينقضه بتعريف من جهة الله فكيف انتشرت هذه الأسرار إلى كافة الخلق ولم تنتشر إلا ممن سمع فيما ان يكون المبلغ ناقصا للعهد او لم يعاهد أصلا وفي احدهما نسبة المعصوم الى الجهل وفي

الآخر نسبته الى المعصية ولا سبيل الى واحد منهما عندهم وان زعمتم أنه يحل الإفشاء بالعهد عند شهادة الفراسة في المأخوذ عليه عهده انه لا ينقضه استدلالا بالأمارات ففي هذا نقض اصل مذهبهم لأنهم زعموا انه لا يجوز اتباع أدلة العقل ونظره لان العقلاء مختلفون في النظر ففيه خطر الخطأ فكيف حكموا بالفراسة والامارة التي الخطأ أغلب عليها من الصواب وفي ذلك إفشاء سر الدين وهو أعظم الاشياء خطرا وقد منعوا التمسك بالظن والاجتهاد في الفقهيات التي هي حكم بين الخلق على سبيل التوسط في الخصومات ثم ردوا افشاء سر الدين الى الخيالات والفراسات وهذا مسلك متين يتفطن له الذكي ويتبحر به المشتغل بعلوم الشرع إذ يتيقن قطعا ان القائل قاتلان قائل يقول لا باطن لهذه الظواهر ولا تأويل لها فالتأويل باطل قطعا وقائل يقدر له ان ذلك يمكن ان يكون كنيات عن بواطن لم يأذن الله لرسول الله صلى الله عليه و سلم بان يصرح بالباطن بل ألزمه النطق بالظواهر فصار النطق بالباطن حراما باطلا وفجورا محظورا ومرامة لواضع الشرع وهذه التأسيسة بالاتفاق فليس اهل عصرنا مع بعد العهد بصاحب الشرع وانتشار الفساد واستيلاء الشهوات على الخلق وإعراض الكافة عن امور الدين أطوع للحق ولا اقبل للسر ولا آمن عليه ولا أحرى بفهمه والانتفاع به من أهل عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم وهذه الأسرار والتأويلات ان كان لها حقيقة فقد

أقفل اسماعهم عنها وأجم أفواه الناطقين عن اللهج بما ولنا في رسول الله أسوة حسنة في قوله وفعله فلا نقول الا ما قال ولا نظهر الا ما يظهر ونسكت عما سكت عنه وفي الافعال نحافظ على العبادات بل على التهجد والنوافل وأنواع المجاهدات ونعلم ان ما لم يستغن عنه صاحب الشرع فنحن لا نستغني عنه ولا ننخدع بقول الحمقى إن نفوسنا اذا صفت بعلم الباطن استغينا عن الاعمال الظاهرة بل نستعزى بهذا القائل المغرور ونقول له يا مسكين أنتعتقد ان نفسك اصغي وأزكي من نفس رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد كان يقوم ليلا يصلي حتى تتنفخ قدماه او يعتقد انه كان يتمس به على عائشة ليخيل إليها أن الدين حق وقد كان عالما ببطلانه فان اعتقدت الأول فما احملك ولا تزيدك عليه وان اعتقدت الثاني فما أكفرك واجحدك ولسنا نناظرك عليه لكننا نقول إذا أخذنا بأسوأ الأحوال وقصرت أدلة عقولنا مثلا عن درك ضلالك وجهلك وعن الاحاطة بصدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فإننا نرى بدائه عقولنا تقضي بأن الخسران في زمرة محمد صلى الله عليه و سلم وموافقته والقناعة بما رضي هو لنفسه اولى من الفوز معك أيها المخدول الجاهل بل المعوه

المخجل فلينظر الان المنصف في آخر هذا وأوله فأخوه يقنع العوام بل المعجزة وأوله يفيد البرهان الحقيقي لكل محقق أنس بعلوم الشرع وناهيك بكلام ينتفع به كافة الخلق على اختلاف طبقاتهم في العلم والجهل الفصل الثاني في استدلالهم بالأعداد والحروف

هذا فن من الجهالة اختصت به هذه الفرقة من بين الفرق فإن طوائف الضلال مع انشعاب كلامهم وانتشار طرقهم

في نظم الشبهات لم تتطرح طائفة منهم بهذا الجنس واستر كوها وعلم عوامهم وجهالهم بالضرورة بطلانها فاجتروها وتشبث بها هؤلاء ولا غرو فالعريق بكل شئ يتمسك والغبي بكل ايها يتزلزل ويتشكك ونحن نذكر شيئا يسيرا منه ليشكر الناظر فيه ربه على سلامة العقل واعتدال المزاج وصحة الفطرة فإن الانخداع بمثل ذلك لا ينبعث الا من العتة والخبل في العقل

فقد قالوا ان الثقب على رأس الآدمي سبعة والسماوات سبعة والارضون سبع والنجوم سبعة أعني السيارة وأيام الاسبوع سبعة فهذا يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة وزعموا ان الطبائع اربع وان فصول السنة اربعة فهذا يدل على الاصول الاربعة وهي السابق والتالي والآهان والناطق والأساس الإمامان

وزعموا ان البروج اثنا عشر فتدل على الحجج الاثني عشر كما نقلناه في مذهبهم وربما استثاروا من شكل الحيوانات دلالات فقالوا الآدمي على شكل حروف محمد فان رأسه مثل ميم ويدها مبسوطتان كالحاء وعجزه ك الميم ورجلاه ك الدال وبهذا الجنس يتكلمون على شكل الطيور والبهائم وربما تأولوا من الحروف واعدادها فقالوا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وامواهم الا بحقها قيل وما حقها قال معرفة حدودها

وزعموا أن حدودها معرفة اسرار حروفها وهي ان لا إله الا الله اربع كلمات وسبعة فصول وهي قطع لا إله الا الله وثلاثة جواهر فإن لا حرف يبقى إله وإلا الله فهي ثلاثة جواهر والجملة اثنا عشر حرفا وزعموا ان الكلمات الاربعة دالة على المدبرين العلويين السابق والتالي والمدبرين السفليين الناطق والاساس هذه دلالاته على الروحانيات فأما على الجسمانيات فانها الطبائع الاربعة واما الجواهر الثلاثة فدالة على جبريل وميكائيل وإسرافيل من الروحانيات ومن الجسمانيات على الطول والعرض والعمق إذ بها ترى الاجسام والفصول السبعة تدل من الروحانيات على الانبياء السبعة ومن الجسمانيات على الكواكب السبعة لأنه لو الأنبياء السبعة لما اختلفت الشرائع كما أنه لولا الكواكب السبعة لما اختلفت الأزمنة والحروف الاثنا عشر تدل على الحجج الاثني عشر وفي الجسمانيات على البروج الاثني عشر وهكذا تصرفوا في قول محمد رسول الله وفي الحروف وفي اوائل السور وأبرزوا ضروبا من الحماقات تضحك الجانين فضلا عن العقلاء وناهيك خزيا بطائفة هذا منهج استدلالهم ولسنا نكثر حكاية هذا الجنس عنهم اكتفاء بهذا القدر في تعريف مخازيهم وهذا فن يعرف بضرورة العقل

بطلانه فلا يحتاج الى ابطاله الا انا نعلمك في افحام الغبي والمعاند منهم مسلكين مطالبة ومعارضة أما المطالبة فهو أن يقال ومن أين عرفتم هذه الدلالات ولو حكم الانسان بما لحكم على نفسه بانه من سوء مزاجه أثار عليه الاخلاط فأورث اضغاث الأحلام وقد اضلكم الله الى هذا الحد حتى لم يستحيوا منها أعرفتهم صحتها بضرورة العقل او نظر او سماع من إمامكم المعصوم فإن ادعيتهم الضرورة باهتتم عقولكم واخترعتم ثم لم تسلموا من معارض يدعى انه عرف بالضرورة بطلانه ثم يكون مقامه من تعارض الحق بالفاسد مقام من يعارض القاسد بالقاسد وان عرفتم بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل لاختلاف العقلاء في نظرهم وإن صدقتهم به فأفيدونا وجه النظر وسياقه وما به الاستدلال على هذه الحماقات وان عرفتم ذلك من قول الإمام المعصوم فبيئوا ان الناقل عنه معصوم او بلغ الناقلون عنه حد التواتر ثم صححوا ان الإمام المعصوم لا يخطئ ثم بينوا انه يستحيل ان يفهم ما يعرف بطلانه فلعله خدعكم بهذه الحماقات وهو يعلم بطلانها كما زعمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم خدع الخلق بصفة الجنة والنار وبما يحكي

عن

الأنبياء من إحياء الموتى وقلب العصا ثعبانا وقد كذب في جميعها وذكرها مع علمه بأنها لم يكن منها شيء وان الناس يفهمون منها على القطع ظواهرها وانه كان يقصد تفهيم الظواهر ويعلم أنهم يفهمون ما يفهمهم من الظواهر وهو خلاف الحق ولكن رأى فيه مصلحة فلعل إمامكم المعصوم رأى من المصلحة ان يستهزئ بعقولكم ويضحك من أذقانكم فألقى اليكم هذه الترهات إظهارا لغاية الاستيلاء عليكم والاستبعاد لكم وافتخارا بغاية الدهاء والكياسة في التلبيس عليكم فليت شعري بماذا أمنتكم الكذب عليه لمصلحة رآها وقد صرحم بذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم وهل بينهما فرق إلا أن النبي صلى الله عليه و سلم مؤيد بالمعجزة الدالة على صدقه والذي اليه استرواحكم لا معجزة له سوى حماقتكم هذا سبيل المطالبة

وأما المعارضة فلسنا نقصد لتعيين الصور ولكن نعلمك طريقا يعم

كل ما في العالم من الاشكال والحروف فان كل موجود فهو من الواحد الى العشرة فما فرقها لا محالة فهمها رأيت شيئا واحدا فاستدل به على محمد صلى الله عليه وسلم وإذا رأيت اثنين فقل هو دلالة على الشيخين ابي بكر وعمر وان كان ثلاثة فمحمد صلى الله عليه وسلم وابوبكر وعمر إن كان اربعة فالخلفاء الاربعة وان كان خمسة فعلى محمد مع الخلفاء والاربعة وقل اما تعرفون السر ان الثقب على رأس الآدمي خمس ما هو الواحد وهو الفم يدل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فانه واحد والعينان والمنخران على الخلفاء الاربعة ونقول اما تعرفون السر في اسم محمد وانه اربعة حروف ما هو فإذا قالوا لا فنقول هو السر الذي لا يطلع عليه الا ملك مقرب فانه بينه على ان اسم خليفته اربعة حروف وهو عتيق دون علي الذي اسمه ثلاثة احرف فإذا وجدت سبعة فاستدل به على سبعة من خلفاء بني أمية مبالغة في إرغامهم وإجلالا لبني العباس عن المعارضة بهم وقل عدد السموات السبع والنجوم والاسبوع دال على معاوية ويزيد ثم مروان ثم عبد الملك ثم الوليد ثم عمر بن عبد العزيز ثم هشام ثم السابع المنتظر وهو الذي يقال له السسفياني وهو قول الأموية من الإمامية أو قابلهم بمذهب الراوندية وقل إنه يدل على العباس ثم عبد الله ابن العباس ثم علي بن عبد الله ثم محمد بن علي ثم

ابراهيم ثم ابو العباس السفاح ثم المنصور وكذلك ما تجده من عشرة او اثني عشر فعد من خلفاء بني العباس بعددهم ثم انظر هل تجد بين الكلامين فصلا وبه يتبين فساد كلامهم وافتضاحهم وإلزامهم باستدلالهم وهذا الجنس من الكلام لا يليق بالخصم فيه الإكثار منه فلنعدله عنه الى غيره

الباب السادس في الكشف عن تلبيساتهم التي زوقوها بزعمهم في معرض البرهان على ابطال النظر العقلي واثبات وجوب التعلم من الامام المعصوم

وطريقنا ان نرتب شبههم على اقصى الإمكان ثم نكشف عن مكنن التلبيس فيها وآخر دعواهم ان العارف بحقائق الاشياء هو المتصدي للإمامة بمصر وانه يجب على كافة الخلق طاعته والتعلم منه لينالوا به سعادة الدنيا والاخرة ودليلهم عليه قولهم ان كل ما يتصور الخبر عنه بنفي وإثبات ففيه حق وباطل والحق واحد والباطل ما يقابله إذ ليس الكل حقا ولا الكل باطلا فهذه مقدمة

ثم تمييز الحق عن الباطل لا بد منه فهو امر واجب لا يستغنى عنه احد في صلاح دينه ودنياه فهذه مقدمة ثانية ثم درك الحق لا يخلو اما ان يعرفه الانسان بنفسه من عقله بنظره دون تعلم او يعرفه من غيره بتعلم فهذه مقدمة ثالثة وإذا بطلت معرفته بطريق الاستقلال بالنظر وتحكيم العقول فيه وجب التعلم من الغير ضرورة ثم المعلم إما أن يشترط كونه معصوما من الخطأ والزلل مخصوصا بهذه الخاصية واما ان يجوز التعلم من كل أحد وإذا بطل التعلم من كل أحد أي واحد كان لكثرة القائلين المعلمين وتعارض اقوالهم ثبت وجوب التعلم من شخص



مخصوص بالعصمة من سائر الناس فهذه مقدمة رابعة ثم العالم لا يخلو إما أن يجوز خلوه من ذلك المعصوم أو يستحيل خلوه وباطل تجويز خلوه لأنه إذ اثبت انه مدرك الحق ففي اخلاء العالم عنه تغطية الحق وحسم السبيل عن إدراكه وفيه فساد امور الخلق في الدين والدنيا وهو عين الظلم المناقض للحكمة فلا يجوز ذلك من الله سبحانه وهو الحكيم المقدس عن الظلم والقبائح فهذه مقدمة خامسة ثم ذلك المعصوم الذي لا بد من وجوده في العالم لا يخلو اما ان يجل له ان يخفي نفسه فلا يظهر ولا يدعو الخلق الى الحق او يجب عليه التصريح وباطل ان يجل له الإخفاء فإنه كتمان للحق وهو ظلم يناقض العصمة فهذه مقدمة سادسة وقد ثبت أن في العالم معصوما مصرحا بهذه الدعوى وبقي النظر في تعيينه فان كان في العالم مدعيان التمس علينا تمييز الحق عن المبطل وان لم يكن الا مدع واحد في محل الإلتباس كان ذلك هو

المعصوم قطعيا ولم يفتقر الى دليل ومعجزة ويكون مثاله ما إذا علم ان في بيت في الدار رجلا هو عالم ثم رأينا في بيت رجلا فإن كان في الدار بيت اخر بقي لنا شك في الذي رأيناه انه ذلك العالم او غيره فإذا عرفنا أنه لا بيت في الدار سوى هذا البيت علمنا ضرورة انه العالم فكذلك القول في الامام المعصوم فهذه مقدمة سابعة وقد علم قطعيا انه لا احد في عالم الله يدعي انه الامام الحق والعارف بأسرار الله في جميع المشكلات النائب عن رسول الله في جميع المعقولات والمشروعات العالم بالتنزيل والتأويل علما قطعيا لا ظنيا الا المتصدي للأمر بمصر فهذه مقدمة ثامنة فإذا هو الإمام المعصوم الذي يجب على كافة الخلق تعلم حقائق الحق وتعرف معاني الشرع منه وهي النتيجة التي كنا نطلبها

وعند هذا يقولون إن من لطف الله وصنعه مع الخلق ألا يترك احدا في الخلق يدعي العصمة سوى الإمام الحق إذ لو ظهر مدع آخر لعسر تمييز الحق عن المبطل وضل الخلق فيه فمن هذا لا نرى قط لإمام خصما بل نرى له منكرا كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له خصم قط والخصم هو الذي يقول لست أنت نبيا وإنما أنا النبي والمنكر هو الذي لا يدعي لنفسه وإنما ينكر نبوته فهكذا يكون امر الإمام قالوا واما بنو العباس وان لم ينفك الزمان عن معارضتهم فلم يكن فيهم من يدعي لنفسه العصمة والاطلاع من جهة الله تعالى على حقائق الأمور وأسرار الشرع والاستغناء عن النظر والاجتهاد بالظن فهذه الخاصية هي المطلوبة وقد تفردهم هذه الدعوى عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته وصرف الله دواعي الخلق عن معارضتهم في الدعوى لمثلها ليستقر الحق في نصابه وينجلي الشك عن قلوب المؤمنين رحمة من الله ولطفا حتى ان فرض شخص يدعى لنفسه ذلك فلا يذكره الا في معرض هزل او مجادلة فأما أن يستمر عليه معتقدا او يعمل بموجبه فلا

وهذه مقدمات واضحة لم تُهمل من جملتها الا الدليل على ابطال نظر العقل حيث قلنا الحق اما ان يعرفه الانسان بنفسه من عقله او يتعلمه من غيره ونحن الآن ندل على بطلان نظر العقل بأدلة عقلية وشرعية وهي خمسة أما الأول وهي دلالة عقلية ان من يتبع موجب العقل ويصدقه ففي تصديقه تكذيبه وهو غافل عنه لأنه ما من مسألة نظرية يعتقدونها بنظره العقلي الا وله فيها خصم اعتقد بنظر العقل نقيضها فإن كان العقل حاكما صادقا فقد صدق عقل خصمك ايضا فإن قلت لم يصدق خصمي فقد تناقض كلامك إذا صدقت عقلا وكذبت مثله فان قلت صدق خصمي فخصمك يقول انت كاذب مبطل وان زعمت انه لا عقل لخصمي وإنما العقل لي فهذه ايضا دعوى خصمك فيماذا تتميز عنه أبطول اللحية ام بياض الوجه ام بكثرة السعل او الحدة في الدعاء وعند هذا يطلقون لسان الاستهزاء والإستخفاف معتقدين ان لهم بكلامهم اليد البيضاء التي لا جواب عنها الدلالة الثانية قولهم إذا حاكم مسترشد تشكك في مسألة شرعية او عقلية وزعم انه عاجز عن معرفة دليلها فماذا

تقولون له أفتحيولونه على عقله ولعله العامي الجلف الذي لا يعرف أدلة العقول او هو الذكي الذي ضرب سهام الرأي على حسب امكانه فلم تكشف له المسئلة وبقي متشككا افرودونه الى عقله الذي هو معترف بقصوره وهذا محال او تقولون له تعلم طريق النظر ودليل المسئلة مني فان قلت ذلك فقد ناقضتم قولكم بابطال التعليم إذ امرتم بالتعليم وجعلتم التعليم طريقا وهو مذهبنا الا انكم أبيتم لانفسكم منصب التعليم ولم يستحيوا من خصمكم المعارض لكم المائل في عقله لعقلكم إن هذا المتعلم يقول قد دعاني إلى التعلم منه خصمك وقد تحيرت في تعيين المعلم أيضا وليس يدعى واحدا منكم العصمة لنفسه ولا له معجزة تميزه ولا هو منفرد بأمر يفارق به غيره فلا أدري أتبع الفلسفي أو الأشعري أو المعتزلي وأقاولهم متعارضة وعقولهم متماثلة ولست أجد في نفسي الترجيح بطول اللحية وبياض الوجوه ولا أرى افتراقا إلا فيه إن اتفق فأما العقل والدعوى واختراع كل بنفسه في أنه الحق وصاحبه المائل كاختراع صاحبه فما أشد تناقض هذا الكلام عند من يعرفه الدلالة الثالثة قولهم الوحدة دليل الحق والكثرة دليل الباطل فإننا إذا قلنا كم الخمسة مع الخمسة فالحق واحد وهو أن يقال عشرة والباطل كثير لا حصر له وهو كل ما سوى العشرة مما فوقها أو تحتها والوحدة لازمة من مذهب التعليم فإنه اجتمع الف الف على هذا الاعتقاد واتحدت كلمتهم ولم يتصور بينهم اختلاف واهل الرأي لا يزال الاختلاف والكثرة تلازمهم فدل ان الحق في الفرقة التي تلازم الوحدة كلمتها وعليه دل قوله تعالى لو كان من عند غير الله لوجلوا فيه اختلافا كثيرا

١٧ - الدلالة الرابعة قولهم الناظر ان كان لا يدرك المماثلة بين نفسه وبين خصمه فيسحن الظن بنفسه ويسى بخصمه فلا غرو فإن هذا الغرور مما يستولي على الخلق وهو شغفهم بأرائهم وجودة عقولهم وان كان ذلك من من أدلة الحماسة وانما العجب أنه لا يدرك المماثلة بين حالتيه وكم رأى نفسه في حالة واحدة وقد تحولت حالته فاعتقد الشيء مدة وحكم بانه الحق الذي يوجه العقل الصادق ثم يحظر له خاطر فيعتقد نقيضه ويزعم انه الآن تنبه للحق وما كان يعتقد من قبل فخيال الخدع به ويرى نفسه على اعتقاد قاطع في الحالة الثانية تساوي اعتقاده السابق فإنه كان قاطعا بمثل قطعه الان فليت شعري من أين يأمن الانخداع وانه سيتنبه لأمر يتبين به ان ما يعتقد الان باطل وما من ناظر الا ويعتقد مثله مرارا ثم لا يزال يعتز آخرها بجماعته الذي يمثال سائر معتقداته التي تركها وعرف بطلانها بعد التصميم عليها والقطع بها

الدلالة الخامسة وهي شرعية قولهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستفترق امتي نيفا وسبعين فرقة الناجية منها واحدة فليل ومن هم فقال اهل السنة والجماعة فليل وما السنة والجماعة قال ما أنا الآن عليه وأصحابي قالوا وما كانوا

إلا على الاتباع والتعليم في كل ما شجر بينهم وتحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لا على اتباع رأيهم وعقولهم فدل ان الحق في الاتباع لا في نظر العقول

وهذا تحرير أدلتهم على أقوى وجه في الايراد وربما يعجز معظمهم عن الاتقان في تحقيقه الى هذا الحد فنقول وبالله التوفيق الكلام عليه منهجان جملي وتفصلي المنهج الأول وهو الجملي  
انا نقول هذه العقيدة التي استنتجتموها من ترتيب هذه المقدمات ونظمها بطريق النظر والتأمل فإن ادعيتم معرفتها ضرورة كنتم معاندين ولم يعجز خصومكم عن دعوى الضرورة في معرفتهم بطلان مذهبكم وان ادعوا ذلك كانوا اقوم قبيلا عند المنصف وان ادعيتم إدراكها بالنظر في ترتيب هذه المقدمات ونظمها على شكل المقاييس المنتجة فقد اعترفتم بصحة النظر العقلي ويدعى بطلانه فهذا الكلام مفحم له وكاشف عن خزيته او يقال له عرفت بطلان النظر ضرورة او نظرا ولا سبيل الى دعوى الضرورة فان الضروري ما يشترك في معرفته ذوو العقول السليمة

كقولنا الكل اعظم من الجزء والاثنان اكبر من الواحد والشئ الواحد لا يكون قديما محدثا والشئ الواحد لا يكون في مكانين وان زعم انه أدرك بطلان النظر بالنظر فقد تناقض كلامه وهذا لا يخرج منه أبد الدهر وهو وارد على كل باطني يدعى معرفة شئ يختص به  
فانه اما ان يدعي الضرورة او النظر او السماع من معصوم صادق يدعى معرفة صدقه وعصمته ايضا اما ضرورة او نظرا

ولا سبيل الى دعوى الضرورة وفي دعوى النظر إبطال عين المذهب فلتتعجب من هذا التناقض البين وغفلة هؤلاء المغرورين عنه فإن قال قائل من منكري النظر هذا ينقلب عليكم إذ يقال لكم وبم عرفتم صحة النظر إن ادعيتم الضرورة اقتحمتم ما استبعدتموه وتورطتم في عين ما انكرتموه وان زعتم أنا ادركناه نظرا فالنظر الذي به الادراك بم عرفتم صحته والخلاف قائم فيه فان ادعيتم معرفة ذلك بنظر ثالث لزم ذلك في الرابع والخامس الى غير نهاية قلنا نعم كان هذا الكلام ينقلب إن كانت المعقولات بالموازات اللفظية وليس الأمر كذلك فلتتأمل دقيقة الفرق فإننا نقول عرفنا كون النظر العقلي دليلا الى العلم بالمنظور فيه بسلوك طريق النظر والوصول إليه فمن سلكه وصل ومن وصل عرف أن ما سلكه هو الطريق ومن استراب قبل السلوك فيقال طريق رفع هذه الاسترابة السلوك ومثاله ما إذا سئلنا عن طريق الكعبة فدللنا على طريق معين فقبل لنا من أين عرفتم كونه طريقا قلنا عرفناه بالسلوك بأنا سلكناه فوصلنا الى الكعبة فعرفنا كونه طريقا ومثاله الثاني أنا إذا قيل لنا بم عرفتم ان النظر في الأمور الحسابية من الهندسة والمساحة وغيرها طريق الى معرفة مالا يعرف اضطرارا قلنا سلوك طريق الحساب إذ سلكناه فأفادنا علما بالمنظور فيه فعلمنا ان نظر العقل دليل في الحساب وكذلك في العقليات سلكنا الطريق النظرية فوصلنا الى العلم بالمعقولات فعرفنا أن النظر طريق

فهذا لا تناقض فيه فان قيل وبم عرفتم ان ما وصلت اليه علم متعلق بالمعلوم على ما هو به بل هو جهل ظننتموه علما قلنا ولو انكر العلوم الحسابية منكر فماذا يقال له او ليس يسفه في عقله ويقال له هذا يدل على قلة بصيرتك بالحسابيات فإن الناظر في الهندسة اذا حصر المقدمات ورتبها على الشكل الواجب يحصل العلم بالنتيجة ضرورة على وجه لا يتمارى فيه فهكذا جوابنا في المعقولات فان المقدمات النظرية اذا رتبنا على شروطها افادت العلم بالنتيجة على وجه الارض لا يتمارى فيه ويكون العلم المستفاد من المقدمات بعد حصولها ضروريا كالعلم بالمقدمات الضرورية المنتجة له وإن اردنا أن نكشف ذلك لمن قلت بضاعته في العلوم فنضرب له مثلا هندسيا ثم نضرب له مثلا عقليا لينكشف له الغطاء وينجلي عن عقيدته الخفاء اما المثال الهندسي فهو ان إقليدس رسم في مصنفه في الشكل الأول من المقالة الأولى مثلنا وادعى انه متساوي الاضلاع ولا يعرف ذلك ببديهة العقل ولكنه ادعى انه يعرف بالبرهان نظرا وبرهانه بمقدمات الاولى ان الخطوط المستقيمة الخارجة من مركز الدائرة الى المحيط متساوية من كل جانب وهذه المقدمة ضرورية إذ الدائرة ترسم بالبركار على فتح واحد وانما الخط المستقيم من المركز الى الدائرة هو فتح البركار وهو واحد في الجوانب

المقدمة الثانية إذا تساوت دائرتان بالخطوط المستقيمة من مركزهما الى محيطهما فالخطوط ايضا متساوية وهذه ايضا ضرورية

المقدمة الثالثة أن المساوي للمساوي مساو وهذه ايضا ضرورية ثم الآن نشغل بالمثلث ونشير الى خطين منه ونقول إنهما متساويان لأنهما خطان مستقيمان خرجا من مركز دائرة الى محيطها والخط الثالث مثل لاحدهما لانه خرج ايضا من مركز الدائرة الى محيطها مع ذلك الخط وإذا ساوى احد الخطين فقد ساوى الآخر فإن المساوي

للمساوي مساو فبعد هذا النظر نعلم قطعاً تساوي أضلاع المثلث المفروض كما عرف سائر المقدمات مثل قولنا الخطوط المستقيمة من مركز الدائرة الى المحيط متماثلة وغيرها من المقدمات  
المثال العقلي الإلهي وهو أنا إذا أردنا أن ندل على واجب الوجود القائم بنفسه المستغنى عن غيره الذي منه يستفيد كل موجود وجوده لم ندرك ثبوت موجود واجب الوجود مستغنياً عن غيره بالضرورة بل بالنظر ومعنى النظر هو أنا نقول لا شك في أصل الوجود وانه ثابت فإن من قال لا موجود أصلاً في العالم فقد باهت الضرورة والحس فقولنا لا شك في أصل الوجود مقدمة ضرورية ثم نقول والوجود المعترف به من الكل إما واجب وإما جائز فهذه المقدمة أيضاً ضرورية فإنها حاصرة بين النفي والاثبات مثل قولنا الموجود إما ان يكون قديماً او حادثاً فيكون صدقه ضرورياً وهكذا كل تقسيم دائر بين النفي والاثبات ومعناه ان الموجودات إما ان تكون استغنت او لم تستغن والاستغناء عن السبب هو المراد بالوجوب وعدم الاستغناء هو المراد بالجواز فهذه مقدمة ثالثة ثم نقول ان كان هذا الموجود المعترف به واجبا فقد ثبت واجب الوجود وان كان جائزاً فكل جائز مفتقر الى واجب الوجود ومعنى جوازه أنه أمكن عدمه ووجوده على حد واحد وما هذا وصفه لا يتميز وجوده عن عدمه إلا بمخصص وهذا أيضاً ضروري فقد ثبت بهذه المقدمات الضرورية واجب الوجود وصار

العلم بعد حصوله ضرورياً لا يتمارى فيه فان قيل فيه موضع شك إذ يقول المعترف به جائز ويقول قولكم إنه يفتقر الى واجب كل جائز وجوده غير مسلم بل يفتقر الى سبب ثم ذلك السبب يجوز أن يكون جائز الوجود قلنا في تلك المقدمات ما اشتمل على رفع هذا بالقوة فان كل ما ثبت له الجواز فافتقاره الى سبب ضروري فإن قدر السبب جائزاً دخل في الجملة التي سميناها كلا ونحن نعلم بالضرورة ان كل الجائزات تفتقر الى سبب فإن فرضت السبب جائزاً فافرضه داخلاً في الجملة واطلب سببه إذ يستحيل ان يسند ذلك جائزاً آخر وهكذا الى غير نهاية فانه يكون عند ذلك جميع الأسباب والمسببات جملة جائزة ووصف الجواز يصدق على آحادها وعلى مجموعها فيفتقر المجموع الى سبب خارج عن وصف الجواز المخرج وفيه ضرورة إثبات واجب الوجود ثم بعد ذلك نتكلم في صفته ونبين أنه لا يجوز ان يكون واجب الوجود جسماً ولا منطعاً في جسم ولا متغيراً ولا متحيزاً الى سائر ما يتبع ذلك ويثبت كل واحد منها بمقدمات لا شك فيها وتكون النتيجة بعد حصولها من المقدمات في الظهور على ذوق المقدمات فإن قيل العلوم الحسابية معترف بها لانها ضرورية ولذلك لم يختلف فيها واما النظريات العقلية فان كانت مقدماتها كذلك فلم وقع الاختلاف فيها فوقوع الاختلاف فيها يقطع الامان قلنا هذا باطل من وجهين أحدهما أن العلوم الحسابية تختلف فيها تفصيلاً وجملة من وجهين أحدهما ان الأوائل قد اختلفوا في كثير من هيئات الفلك ومعرفة مقاديرها وهي مثبتة على مقدمات حسابية

ولكن متى كثرت المقدمات وتسلسلت ضعف الذهن عن حفظها فربما نزل واحدة عن الذهن فيغلظ في النتيجة وامكان ذلك لا يشككنا في الطريق نعم الخلاف فيها اندر لانها اظهر وفي العقلية اكثر لانها اخفى واستر ومن النظريات ما ظهر فاتفقوا عليه وهو أن القديم لا يعدم فهذه مسألة نظرية ولم يخالف فيها أحد البتة فلا فرق بين الحسابية والعقلية

الثاني ان من حصر مدارك العلوم في الحواس وانكر العلوم النظرية جملة الحسابية وغير الحسابية فخالف هؤلاء هل يشككنا في علمنا بأن العلوم الحسابية صادقة حقيقة فإن قلتم نعم اتضح ميلكم على الانصاف وان قلتم لا فلم وقع الخلاف فيه فان قلتم خلافه لم يشككنا في المقدمات فلم يشككنا في النتيجة فكذلك خلاف من خالفنا في تفصيل ما عرفناه من الدلالة على ثبوت واجب الوجود لم يشككنا في مقدمات الدليل فلم يشككنا في النتيجة

والوجه الآخر من الجواب هو أن السوفسطائية أنكروا الضروريات وخالفوا فيها وزعموا انها خيالات لا أصل لها واستدلوا عليه بان أظهرها الحسوسات ولا ثقة بقطع الانسان بحسه ومهما شاهد انسانا وكلمه فقول له اقطع بحضوره وكلامه فهو خطأ فلعله يراه في المنام فكم من منام يراه الانسان ويقطع به ولا يمارى مع نفسه في تحققه ثم ينتبه على الفور فيبين انه لا وجود له حتى يرى في المنام يد نفسه مقطوعة ورأسه مفصولا ويقطع به ولا وجود لما يقطع به ثم خلاف هؤلاء لا يشكنا في الضروريات وكذلك النظريات فانها بعد حصولها من المقدمات تبقى ضرورية لا يمارى فيها كما في الحسابات

وهذا كله كلام على من ينكر النظر جملة اما التعليمية فلا يقدر على

إطلاق القول بابطال النظر جملة فانهم يسوقون الادلة والبراهين على اثبات التعليم ويرتبون المقدمات كما حكينا فكيف ينكرون ذلك فمن هنا قالوا نظر العقل باطل فيقال وبم عرفتم بطلانه وثبوت التعليم أنظر أم ضرورة ولا بد أن يقال بنظر ومهما استدل بالخلاف في النظريات على فساد النظريات فقابله بالخلاف من السوفسطائية في ا لضروريات ولا فرق بين المقامين فإذا قالوا وبم أمنت الخطأ وكم من مرة اعتدت الشئ نظرا ثم بان خلافه فيقال له وبم عرفت حضورك بهذا البلد الذي أنت فيه وكم من كرة اعتقدت نفسك ورأيته ببلد آخر لم تكن فيه فيم تميز بين النوم واليقظة وبم تأمن على نفسك فلعلك الآن في هذا الكلام نائم فان زعم اني ادرك التفرقة ضرورة فيقال وأنا أدركت التفرقة بين ما يجوز الغلط فيه من المقدمات وما لا يجوز أيضا ضرورة ولا فرق وكذلك كم يغلط الانسان في الحساب ثم ينتبه وإذا تنبه ادرك التفرقة ضرورة بين حالة الاصابة والخطأ فان قال قائل من الباطنية نحن نكر النظر جملة وما ذكرتم ليس من النظريات في شئ بل هي مقدمات ضرورية قطعية رتبناها قلنا فأنتم الان لم تفهموا معنى النظر اذني نقول به فلسنا نقول الا بمثل ما نظمتموه من المقدمات الضرورية الحقيقية كما سنبينها فكل قياس لم يكن بنظم مقدمات ضرورية او بنظم مقدمات مستتجة من ضرورة فلا حجة فيه فهذا هو القياس المعقول وانما ينتظم أبدا من مقدمتين إما مطلقة وإما تقسيمية وقد تسمى حملية وشرطية أما المطلقة فكقولنا العالم حادث وكل حادث فله سبب فهاتان مقدمتان الأولى حسية والثانية عقلية ونتجته ان لحوادث العالم إذا سببا وأما التقسيمية فهو أنا نقول إذا ثبت ان لحوادث العالم سببا فالسبب المفروض اما حادث واما قديم فان بطل كونه حادثا ثبت كونه قديما ثم نطل كونه حادثا بمثل هذه المقاييس فيثبت بالاحرة ان لوجود العالم سببا قديما فهذا هو النظر المقول به فان كنتم متشككين في صحته فيم تنكرون من يمنع من قبول مقدماتكم التي نظمتموها ويقول انا متشكك في صحتها فان نسبتموه الى انكار الضرورة نسبناكم الى مثله فيما ادعينا معرفته بالنظر ولا فرق هذا هو المنهج الجملي في الرد عليهم إذا أبطلوا نظر العقول وهو الجزم الواجب في افحامهم فلا ينبغي ان نحوض معهم في التفصيل بل نقتصر على ان نقول لهم كل ما عرفتموه من مذهبكم من صدق الامام وعصمته وبطلان الرأي ووجوب التعليم بماذا عرفتموه ودعوى الضرورة غير ممكنة فيبقى النظر والسمع وصدق السمع أيضا لا يعرف ضرورة فيبقى النظر وهذا لا مخرج عنه فان قال قائل لا يظن بعقل يدعي مذهبا ليس ضروريا ثم ينكر النظر فلعلهم يعترفون بالنظر إلا انهم يقولون تعلم طريق النظر واجب فان الانسان لا يستقل بنفسه في النظريات فان انكرتم ذلك فقد انكرتم العقول بديهية إذ لم يترشح المدرسون والمعلمون الا للتعليم فلم تصدوا مع الاستغناء عنهم وان اعترفتم بذلك فقد اعترفتم بوجود المعلم وان العقول ليس في مجردها غنية فبقي انكم جوزتم التعلم من كل احد وهم اوجوا التعلم من معصوم لان مذاهب المعلمين مختلفة ومتعارضة ولا ترجيح للبعض على البعض قلنا وهذا السؤال أيضا فاسد فانا لا ننكر الحاجة الى التعلم بل العلوم منقسمة الى ثلاثة أقسام قسم لا يمكن تحصيله

الا بالسماع والتعلم كالأخبار عما مضى من الوقائع ومعجزات الانبياء وما يقع في القيامة واحوال الجنة والنار فهذا لا يعرف الا بالسماع من النبي المعصوم او بالخبر المتواتر عنه فان سماع بقول الآحاد حصل به علم ظني لا يقيني هذا قسم والقسم الآخر من العلوم النظرية العقلية فليس في الفطرة ما يرشد الى الأدلة فيه بل لا بد فيه من التعلم لا ليقلد المعلم فيه بل لينبهه المعلم على طريقه ثم يرجع العاقل فيه الى نفسه فيدرکه بنظره وعند هذا فليكن المعلم من كان ولو افسق الخلق واكذبهم فإننا لسنا نقلده بل نتنبه بتنبهه فلا نحتاج فيه الى معصوم وهي كالعلوم الحسابية والهندسية لا تعلم بالفطرة وتحتاج الى المعلم ونستغني عن معلم معصوم بل يتعلم طريق البرهان ويساوي المتعلم المعلم بعد النظر في العقليات عندنا فالحسابيات عندهم وكم من شخص يغلط في الحسابيات ثم يتنبه بالآخرة بعد زمان وذلك لا يشكك في الأدلة والبراهين الحسابية ولا يحتمل الافتقار فيها الى معلم معصوم

القسم الثالث العلوم الشرعية الفقهية وهو معرفة الحلال والحرام والواجب والندب واصل هذا العلم السماع من صاحب الشرع والسماع منه يورث العلم الا ان هذا لا يمكن تحصيل العلم القطعي فيه على الاطلاق في حق كل شخص وفي كل واقعة بل لابد من الاكتفاء بالظن فيه ضرورة في طريقين احدهما في المستمعين فان الخلق في عصر النبي صلى الله عليه وسلم اتقسموا الى من شاهد فسمع وتحقق وعرف

والى من غاب فسمع من المبلغين وآحاد الامراء والولاة فاستفادوا ظنا من قولة الآحاد ولكن وجب عليهم العمل بالظن للضرورة فان النبي صلى الله عليه وسلم عجز عن سماع كل واحد بنفسه من غير واسطة ولم يشترط ان تتواتر عنه كل كلمة في كل واقعة لعذره والعلم يحصل باحد هذين المسلكين وهو متعذر قطعاً

والطرف الثاني في نفس الصورة الفقهية والحوادث الواقعة اذن ما من واقعة الا وفيها تكليف والوقائع لا حصر لها بل هي في الامكان غير متناهية والنصوص لا تفرض الا محصورة متناهية ولا يحيط قط ما يتناهى بما لا يتناهى وغاية صاحب الشرع مثلاً ان ينص على حكم كل صورة اشتمل عليها تصنيف المصنفين في الفقه الى عصرنا هذا ولو فعل ذلك واستوفاه كانت الوقائع الممكنة الخارجة عن التصانيف اكثر من المسطورات فيها بل لا نسبة لها اليها فان المسطورات محصورة والممكنات لا حصر لها فكيف يستوفي مالا يتناهى بالنص بالضرورة لا بد من تحكيم الظن في التعلق بصيغ العمومات وان كان يحتمل انها اطلقت لإرادة الخصوص إذ عليها اكثر العمومات ولذلك لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً الى اليمن وقال له بم تحكم فقال بكتاب الله قال فان لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فان لم تجد قال اجتهد رأيي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي وفق رسول رسولنا لما يرضاه رسولنا فانما رخص له في اجتهاد الرأي لضرورة العجز عن استيعاب النصوص للوقائع

هذا بيان هذا القسم ولا حاجة فيه الى إمام معصوم

بل لا يغني الامام المعصوم شيئاً فانه لا يزيد على صاحب الشرع وهو لم يغن في كلا الطرفين فلا قدرة على استيعاب الصور بالنصوص ولا قدرة على مشافهة جميع الخلق ولا على تكليفهم اشتراط التواتر في كل ما ينقل عنه عليه السلام فليت شعري معلمهم المعصوم ماذا يغني في هذين الطرفين أيعرف كافة الخلق نصوص أقاويله وهم في أقصى الشرق والغرب بقول آحاد هؤلاء الدعاة ولا عصمة لهم حتى يوثق بهم او يشترط التواتر عنه في كل كلمة وهو في نفسه محتجب لا يلقاه الا الاحاد والشواذ هذا لو سلم انه مطلع على الحق بالوحي في كل واقعة كما كان صاحب الشرع فكيف والحال كما نعرفه ويعرفه خواص اشياعه المحدقين به في بلده وولايته فقد انكشف بهذا الكلام اهم يلبسون ويقولون ان قلتم لا حاجة الى التعليم فقد انكرتم العادات وان اعترفتم فقد وافقتمونا على اثبات التعليم فيأخذون التعليم لفظاً مجملاً مسلماً ثم يفصلونه بأن فيه اعترافاً بوجود التعلم من المعصوم فقد فهمت أي علم

يستغنى فيه عن المعلم واي علم يحتاج فيه اليه واذا احتيج فما الذي يستفاد من المعلم طريقه ولا يقلد في نفسه فيستغنى عن عصمته وما الذي يقلد في نفسه فيحتاج فيه الى عصمته وان ذلك المعصوم هو النبي صلى الله عليه وسلم وان ما يؤخذ منه كيف ينقسم الى ما يعلم تحقيقا والى ما يظن وان كافة الخلق كيف يضطرون الى القناعة بالظن في صدق مبلغ الخبر عن صاحب الشرع وفي الحاق غير المنصوص الى النصوص واذا ايقنت هذه القاعدة اسوليت على كشف تلبساتهم كلها فان عادتهم ابداء اطلاق مقدمات مهمة بنوا عليها النتيجة الفاسدة كقولهم انكم اذا اعترفتم بالحاجة الى التعليم فقد اعترفتم بمذمبتنا فنقول اعترافنا بالتعلم في النظريات كاعترافكم به في الحسابيات هذا منهج الكلام الجملي عليهم

### المنهج الثاني في الرد عليهم تفصيلا

وسبيلنا أن نتكلم على كل مقدمة من مقدماتهم الثماني التي نظمناها فنقول المقدمة الاولى وهي قولكم إن كل شيء يتكلم فيه بنفي واثبات ففيه حق وباطل والحق واحد والباطل ما يقابله فهذه مقدمة صادقة لا نعتقد نزاعا فيها ولكن لا يصح منكم استعمالها فانا نقول من الناس من انكر حقائق الاشياء وزعم انه لا حق ولا باطل وان الاشياء تابعة للاعتقادات فما يعتقد فيه الوجود فهو موجود في حق ذلك المعتقد وما يعتقد فيه العدم فهو معدوم في حق المعتقد وهذه مقالة فرقة من فرق السوفسطائية وربما يقولون الاشياء لا حقيقة لها فنقول هل هذه المقدمة مقدمة يقطعون بها وأنتم ترونها في المنام ولا حقيقة لها فبماذا أنتمم الغلط فيها وكم رأيتم انفسكم في المنام قاطعين بأمر لا حقيقة له وما الذي آمنتم من اصابة خصومكم وخطئكم ولا نزال نورد عليهم ما يوردونه على اهل النظر للتشكيك فيه فلا يجدون فصلا فان زعموا أنا نعرف ضرورة خطأ من يخالفنا من السوفسطائية ونعلم ضرورة صدق هذه المقدمة قيل لهم فيم تنكرون على اهل النظر إذا ادعوا ذلك في مذهبهم وفي تفريقهم بين ما غالطوا فيه وبين ما لم يغالطوا فيه وفرقهم بين انفسهم ومخالفهم فإن زعموا ان ذلك يفتقر فيه الى تأمل وما نحن فيه بديهي فنقول والحسابيات يحتاج فيها الى أدق تأمل فإن غلط في مسألة عرفتموها من الحساب رجل قصر نظره أو ضعف ذكازه فهل يشككم ذلك في أن العلوم الحسابية صادقة فإن قلتم لا قيل فهكذا حال النظار المحققين إذا خالفهم المخالفون وهذا ينبغي ان يكون عليهم في كل مقام لان تبجحهم الاكثر باختلاف النظار وان ذلك ينبغي ان يسقط الامان وخلافنا لم يسقط امانهم عن مقدماتهم التي نظموها ثم طمعوا مع ذلك ان يسقط اماننا عن النظريات بخلاف المخالف فيها وهذا من الطمع البارد والظن الركيك الذي لا ينخدع بمثله عاقل أما المقدمة الثانية وهي قولهم إذا ثبت في كل واقعة حق وباطل فلا بد من معرفة الحق فيه فهذه مقدمة كاذبة إذ تسلموها جملة وفيها تفصيل وهذه عادتهم في التلبس فلا يغفلن عنها اخصل فنقول قول القائل الحق لا بد من معرفته كقول القائل المستلة لا بد من معرفتها او المسائل لا بد من معرفتها فيقال هذا خطأ بل المستلة اسم جنس يتناول ما لا بد من معرفته وما عن معرفته بد فلا بد من تفصيل وكذلك

الحق بنا غنية عن معرفته في أكثر الامور فإن جملة التواريخ والاخبار التي كانت وستكون الى منقرض العالم او هي كائنة واقعة اليوم في العالم يتكلم فيها بنص واثبات والحق واحد ولا حاجة بنا الى معرفته وهذا كقول القائل ملك الروم الان قائم ام لا والحق احدهما لا محالة ما تحت قلبي من الارض بعد مجاوزة خمسة اذرع حجر او تراب وفيه دود ام لا والحق احدهما لا محالة ومقدار كرة الشمس او زحل ومسافتها مائة فرسخ ام لا والحق احدهما وهكذا مساحات الجبال والبلاد وعدد الحيوانات في البر والبحر وعدد الرمل فهذه كلها فيها حق وباطل ولا حاجة الى

معرفتها بل العلوم المشهورة من النحو والشعر والطب والفلسفة والكلام وغيرها فمنها حق وباطل ولا حاجة بنا الى أكثر ما قيل فيها بل الذي نسلم انه لا بد من معرفته مسألتان وجود الصانع تعالى وصدق الرسول صلى الله عليه و سلم وهذا لا بد منه ثم إذا اثبت صدق الرسول فالباقي يتعلق به تقليدا او علما بنحبر المتواتر او ظنا بنحبر الواحد وذلك من العلوم كاف في الدنيا والآخرة وما عداه مستغنى عنه أما وجود الصانع وصدق الرسول فطريق معرفته النظر في الخلق حتى يستدل به على الخالق وفي المعجزة حتى يستدل بها على صدق الرسول وهذان لا حاجة فيهما الى معلم معصوم فان الناس فيه قسمان قسم اعتقدوا ذلك تقليدا وسماعا من ابويهم وصمموا عليه العقد قاطعين به وناطقين بقولهم لا اله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم من غير بحث عن الطرق البرهانية وهؤلاء هم المسلمون حقا وذلك الاعتقاد يكفيهم وليس عليهم

طلب طرق البراهين وعرفنا ذلك قطعا من صاحب الشرع فانه كان يقصده اجلاف العرب واغمار اهل السواد والجملة طائفة لو قطعوا اربابا لم يدركوا شيئا من البراهين العقلية بل لا يبين تمييزهم عن البهائم الا بالنطق وكان يعرض عليهم كلمة الشهادتين ثم يحكم لهم بالايمان ويقنع منهم به وامرهم بالعبادات فعلم قطعا ان الاعتقاد المصمم كاف وان لم يكن عن برهان بل كان عن تقليد وربما كان يتقدم اليه الاعرابي فيحلفه انه رسول الله وانه صادق فيما يقول فيحلف له ويصدق فيحكم ياسلامه فهؤلاء اعني المقلدين يستغنون عن الإمام المعصوم

القسم الثاني من اضطرب عليه تقليده إما بفكر وإما بتشكيك غيره إياه أو بتأمله بأن الخطأ جائز على آرائه فهذا لا ينجيه الا البرهان القاطع الدال على وجود الصانع وهو النظر في الصنع وعلى صدق الرسول وهو النظر في المعجزة وليت شعري ماذا يغني عنهم إمامهم المعصوم أيقول له اعتقد ان للعالم صانعا وان محمدا صلى الله عليه و سلم صادق تقليدا لي من غير دليل فاني الامام المعصوم او يذكر له الدليل فينبهه على وجه دلالة فان كان سومه التقليد فمن أي وجه يصدقه بل من اين يعرف عصمته وهو ليس يعرف عصمة صاحبه الذي يزعم انه خليفته بعد درجات كبيرة وان ذكر الدليل افتقر المسترشد الى ان ينظر في الدليل ويتأمل في ترتيبه ووجه دلالة ام لا فان لم يتأمل فكيف يدرك دون النظر والتأمل وهذه العلوم ليست ضرورية وان تأمل وادرك نتاج المقدمات الضرورية المنتجة المطلوبة بتأمله وخرج به عن حد التقليد ه فما الفرق بين ان يكون المنبه له على وجه الدلالة ونظم المقدمات

هو هذا المشار اليه المعصوم او داعية او عالم آخر من علماء الزمان فان كل واحد ليس يدعوه الى تقليده وانما يقوده الى مقتضى الدليل ولا يدرك مقتضى الدليل الا بالتأمل فاذا تأمل وادرك لم يكن مقلدا لمعلمه بل كان كمتعلم للأدلة الحسابية ولا فرق في ذلك بين أفسق الخلق وبين اورعهم كمتعلم الحساب فلا يحتاج فيه الى الورع فضلا عن العصمة لانه ليس مقلدا وانما الدليل هو المتبع فإذا لا يعدو الخلق هذين القسمين فالاول مستغن عن المعصوم والثاني لا يغني عنه المعصوم شيئا فقد بطلت مقدمتان إحداهما أن كل حق فلا بد من معرفته والاخرى انه لا يعرف الحق الا من معصوم

فإن قيل لا تكفي معرفة الله ورسوله بل لا بد من معرفة صفات الله ومعرفة الاحكام الشرعية قلنا أما صفات الله تعالى فقسمان قسم لا يمكن معرفة صدق الرسول وبعثته الا بعد معرفته ككونه عالما وقادرا على الارسال فهذا يعرف عندنا بالأدلة العقلية كما ذكرناه والمعصوم لا يغني لان المعتقد له تقليدا او سماعا من ابويه مستغن عن المعلم كما سبق والمتردد فيه ماذا يغني عنه المعصوم أيقول له قلديني في انه تعالى قادر عالم فيقول له كيف أقلدك ولم تسمح نفسي بتقليد محمد بن عبد الله صلى الله عليه و سلم وهو صاحب المعجزة وإن ذكر له وجه الدليل اعاد القول فيه الى ما مضى في اصل وجود الصانع وصدق الرسول من غير فرق واما الاحكام الشرعية فلا بد لكل واحد من



معرفة ما يحتاج اليه في واجباته وهي قسمان

القسم الأول ما يمكن معرفته قطعاً وهو الذي اشتمل عليه نص القرآن وتواتر عنه الخبر من صاحب الشرع كعدد ركعات الصلوات الخمس ومقادير النصب في الزكوات وقوانين العبادات وأركان الحج او ما اجمعت عليه الامة فهذا القسم لا حاجة فيه الى امام معصوم أصلاً

القسم الثاني مالا يمكن معرفته قطعاً بل يتطرق الظن اليه كما كان يجب على الخلق في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سائر الاقطار واما صورة لا نص فيها فيحتاج الى تشبيهها بالنصوص عليه وتقريبها منه بالاجتهاد وهو الذي قال معاذ فيه أجتهد رأيي وكون هذا مظوناً ضروري في الطرفين جميعاً إذ لا يمكن شرط التواتر في الكل ولا يمكن استيعاب جميع الصور بالنص فلا يغني المعصوم في هذا شيئاً فإنه لا يقدر على ان يجعل ما نقله الواحد متواتراً بل لو يقينه لم يقدر على مشافهة كافة الخلق به ولا تكليفهم السماع عنه تواتراً فيقلد اشياعه دعاة المعصوم وهم غير معصومين بل يجوز عليهم الخطأ والكذب فحن نقلد علماء الشرع وهو دعاة محمد صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة فأى حاجة الى المعصوم فيه وأما الصورة التي ليست منصوصة فيجتهد فيها الرأي إذ المعصوم لا يغني عنها شيئاً فإنه بين ان يعترف بانه أيضاً ظان والخطأ جائز في كل ذي ظن ولا يختلف ذلك بالاشخاص فما الذي يميز ظنه من ظن غيره وهو يجوز للخطأ على نفسه وإن ادعى المعرفة فيه أيدعيها عن وحي او عن سماع نص فيه او عن دليل عقلي فإن ادعى تواتر الوحي إليه

في كل واقعة فاذا هو مدع للنبوة فيفتقر الى معجزة كيف ولا يتصور تقدير المعجزة إذ بان لنا أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فإن جوزنا الكذب على محمد في قوله أنا خاتم الانبياء مع إقامة المعجزة فكيف نأمن الكذب هذا المعصوم وإن أقام المعجزة وان ادعى معرفته عن نص بلغه فكيف لا يستحي من دعوى نص صاحب الشرع على وقائع لا يتصور حصرها وعدّها بل لو عمر الانسان عمر نوح ولم يشغل الا بعد الصور والنصوص عليها لم يستوعب عشرها ففي أي عمر استوعب الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الصور بالنص فان ادعى المعرفة بدليل عقلي فما اجهله بالفقهيات والعقليات جميعاً إذ الشرعيات أمور وضعية اصطلاحية تختلف بأوضاع الانبياء والاعصار والامم كما نرى الشرائع مختلفة فكيف تجوز فيها الادلة العقلية القاطعة وان ادعاها عن دليل عقلي مفيد للنظر فالفقهاء كلهم لهم هذه الرتبة

فاستبان أن ما ذكره تليس بعيد عن التحقيق وان العامي المتخذ به في غاية الحمق لائم يلبسون على العوام بان يتبعوا الظن وان الظن لا يغني عن الحق شيئاً والفقهاء لا بد فيها من اتباع الظن فهو ضروري كما في التجارات والسياسات وفصل الخصومات للمصالح فان كل الامور المصلحية تبني على الظن والمعصوم كيف يغني عن هذا الظن وصاحب الشريعة لم يغن عنه ولم يقدر عليه بل أذن في الاجتهاد وفي الاعتماد على قول آحاد الرواة عنه وفي التمسك بعمومات الألفاظ وكل ذلك ظن عمل به في عصره مع وجوده فكيف يستقبح ذلك بعد وفاته فان قيل فاذا اختلف المجتهدون لاختلاف مسالك الظنون فماذا ترون وإن قلتم كل مجتهد مصيب تناقض كلامكم فان خصومكم مهما أصابوا في اعتقادهم يقولون إنكم اخطأتم أفلستم مصيبين إذا فكيف وفي الفرق من يستريح سفك دمائكم فإن كانوا مصيبين أيضاً فنحن في سفك دمائكم ونهب اموالكم مصيبون فلم تنكروا علينا وان قلتم ان المصيب واحد فبم نميز المصيب من المخطئ وكيف نتخلص من خطر الخطأ والظن قلنا فيه رأيان فان قلنا كل مجتهد مصيب لم تناقض إذ نريد به أنه مصيب حكم الله في حق نفسه ومقلديه إذ حكم الله عليه ان يتبع غالب ظنه في كل واقعة وقد اتبع وهذا حكم الله على خصمه وقولهم انه مصيب إذا في سفك الدم فهو كلام جاهل بالفقهيات

فان ما افرق فيه الفرق مما يرمى فيه سفك الدماء مسائل قطعية عقلية المصيب فيها واحد والمسائل الظنية الفقهية المختلف فيها بين الشافعي وأبي حنيفة ومالك لا تنفضى إلى القتال وسفك الدماء بل كل فريق يعتقد احترام الفريق الاخر حتى يحكم بانه لا يقض حكمه إذا قضى به وانه

يجب على المخالف الاتباع نعم اختلفوا في انه هل يطلق اسم الخطأ على الفرقة الأخرى في غير انكار واعتراض ام لا وقولهم ان خصمك يقول انت مخطئ فإن كان هو مصيباً فإذا انت مخطئ قلنا ان قال خصمي انت مخطئ أي أظن خطأك فهو صادق وأنا ايضا صادق في قولي اني مصيب ولا تناقض وان قال اقطع بانك مخطئ فليس مصيباً في هذا القول بل بطلان قول من يقطع بالخطأ في الاجتهادات ليس مظلوماً بل هو مقطوع به في جملة المسائل القطعية الأصولية فالقول ان المصيب من الاجتهادين كلاهما أو أحدهما مسألة اصولية قطعية لا ظنية وقد التبت عليهم الاصوليات بالفقهيات الظنية ومهما كشف الغطاء لم يتناقض الكلام فان قيل فإذا رأيتهم كل واحد مصيباً فليجز للمجتهد ان يأخذ بقول خصمه ويعمل به لانه مصيب وليجز للمقلد ان يتبع من شاء من الأئمة المجتهدين قلنا أما اتباع المجتهد لغيره فخطأ فإن حكم الله عليه ان يتبع ظن نفسه وهذا مقطوع به فإذا اتبع ظن غيره فقد أخطأ في مسألة قطعية اصولية وعرف ذلك بالاجماع القاطع وأما بخبر المقلدين الأئمة فقد قال به قائلون ولكن المختار عندنا انه يجب ان يقلد من يعتقد انه افضل القوم واعرفهم ومستند اعتقاده إما تقليد سماعي من الأبوين وإما بحث عامي عن أحواله وإما تسامع عن ألسنة الفقهاء وبالجملة يحصل

له ظن غالب من هذه المستندات فعليه اتباع ظن نفسه كما على المجتهد اتباع ظن نفسه وهذا ليس بكلي في الشرع لان الشرع يشتمل على مصلحة جزئية في كل مسألة وعلى مصلحة كلية في الجملة أما الجزئية فما يعرف عنها دليل كل حكم وحكمته اما المصلحة الكلية فهي ان يكون كل مكلف تحت قانون معين من تكاليف الشرع في جميع حر كاته وأقواله وإعتقاداته فلا يكون كالبهيمة المسيبة تعمل بهواها حتى يرتاض بلجام التقوى وتأديب الشرع وتقسيمة الى ما يطلقه والى ما يججر عليه فيه فيقدم حتى يطلق الشرع ويمتنع حيث يمنع ولا يتخذ إله هواه ويتبع فيه مناه ومهما خبرنا المقلدين في مذاهب الأئمة ليستمد منها أطيبها عنده اضطراب القائلون في حقه فلا يبقى له مرجع الا شهوته في الاختيار وهو مناقض للغرض الكلي فرأينا أن نحصره في قالب وان نضبطه بضابط وهو رأي شخص واحد لهذا المعنة ولهذا اختلفت قوانين الأنبياء في الاعصار بالإضافة الى التفصيل ولم تختلف في اصل التكليف ودعوة الخلق عن اتباع الهوى الى طاعة قانون الشرع فهذا ما نراه مختاراً في حق آحاد المقلدين هذا احد الرأيين وهو ان كل مجتهد مصيب ومن رأى أن المصيب واحد فلا تناقض أيضاً في كلامه وقوله بم يأمن من إمكان الخطأ قلنا اولاً تعارضهم فمن كان مسكنه بعيداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يعول على قول الواحد وكذا من مسكنه بعيد عن معصومكم بينه وبينه البحار الحاضرة والمهامة المهلكة بم يأمن الخطأ على المبلغ وهو غير معصوم فسيقولون يحكم بالظن وليس عليه

أكثر من ذلك فهذا جوابنا فإن قلتم إن له طريقاً إلى الخلاص من الظن وهو أن يقصد النبي صلى الله عليه وسلم فان التوجه اليه من الممكنات فكذا يقصد للإمام المعصوم في كل زمان قلنا وهل يجب قصد ذلك مهما جوز الخطأ فإن قلتم لا فأبي فائدة في امكانه وقد جاز له اقتحام متن الخطر فيما جوز فيه الخطأ فإذا جاز ذلك فلا بأس بفوات الامكان كيف ولا يقدر كل زمن مدبر لا مال له على أن يقطع الف فرسخ ليسأل عن مسألة فقهية واقعة كيف ولو قطعها فكيف يزول ظنه بإمامكم المعصوم وان شافهه به إذ لا معجزة له على صدقه فأبي وجه يتق بقوله وكيف يزول ظنه به ثم يقول لا خلاص له عن احتمال الخطأ ولكن لا ضرر عليه وغاية ما في هذا الباب ان يكون في درك

الصواب مزية فضيلة والانسان في جميع مصالحه الدنيوية من التجارة والحرب مع العدو والزراعة يقول على ظنون فلا يقدر على الخلاص من إمكان الخطأ فيه ولا ضرر عليه بل لو أخطأ صريحا في مسألة شرعية فليس عليه ضرر بل الخطأ في تفاصيل الفقهيات معفو عنه شرعا بقوله صلى الله عليه و سلم من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد فما هولوا من خطر الخطأ مستحقر في نفسه عند المحصلين من أهل الدين وانما يعظم به الامر على العوام الغافلين عن أسرار الشرع فليس الخطأ في الفقهيات

من المهلكات في الآخرة بل ليس ارتكاب كبيرة موجبا لتخليد العقاب ولا للزومه على وجه لا يقبل العفو أما الاجتهادات فلا مآثم على من يخطئ فيها والحفي يقول يصلي المسافر ركعتين والشافعي يقول يصلي اربعا وكيفما فعل في الفلوات قريب ولو قدر فيه خطأ فهو معفو عنه فإنما العبادات مجاهدات ورياضات تكسب النفوس صفاء وتبلغ في الآخرة مقاما محمودا كما أن تكرار المنفعة لما يتعلمه يجعله فقيه النفس ويبلغه رتبة العلماء ومصالحته تختلف بكثرة التكرار وقلته ورفعته صوتته فيه وخفضه فإن اخطأ في الاقتصار على التكرار لدرس واحد مرتين وكانت الثلاث اكثر تأثيرا في نفسه في علم الله تعالى او أخطأ في الثلاث وكان الاقتصار على الاثنين أكثر تأثيرا في صيافته على التبرم المبلد او أخطأ في خفض الصوت وكان الجهر اوفق لطبعه وللتأثير في تنبيه نفسه او كان الخفض أدعى له إلى التأمل في كنهه معناه لم يكن الخطأ في شئ من ذلك في ليلة او ليال مؤيسا عن رتبة الإمامة ونيل فقه النفس وهو في جميع ما يحتمل ويرتب في مقادير التكرار من حيث الكمية والكيفية والوقت مجتهد فيه وطان وسالك الى طريق الفوز

بمقصوده ما دام مواظبا على الأصل وان كان قد تيقن له الخطأ احيانا في التفاصيل وانما الخطر في التغليب والاعتراض والاعتراض بالفطنة الفطرية ظنا بان فيها غنية عن الاجتهاد كما ظن فريق من الباطنية ان نفوسهم زكية مرتاضة مستغنية عن الرياضات بالعبادات الشرعية فاهملوها وتعرضوا بسببها للعقاب الاليم في دار الآخرة فليعتقد المسترشد ان إفضاء المجاهدات الشرعية الى المقامات المحمودة السنية في دار الآخرة كإفضاء الاجتهاد في ضبط العلوم والمواظبة عليها إلى مقام الأئمة وعند هذا نستحقر ما عظم الباطنية الأمر فيه

من خطر الخطأ على المجتهدين في الجهر بالبسملة وتشية الإقامة وأمثالها فالنفاوت فيه بعد المواظبة على الأصول المشهورة كالنفاوت في الجهر بالتكرار او الخفض به من غير فرق وكيف وقد نبه الشرع على تمهيد عذر المخطئ فيه كما تواتر ذلك من صاحب الشرع هذا تمام الكلام على المقدمة الثانية

وأما المقدمة الثالثة وهي قولهم إذا ثبت وجوب معرفة الحق فلا يخلو إما أن يعرفه الانسان من نفسه او من غيره فهذه مقدمة صادقة لا نزاع فيها نعم المجادلة عليها بما يفحم الباطنية ويمنعهم من استعمالها كما ذكرنا في المقدمة الاولى وهي جارية في كل مقدمة صادقة

وأما المقدمة الرابعة وهي قولهم إذا بطلت معرفته من نفسه بطريق النظر ثبت وجوب التعلم من غيره فهذه صادقة على تقدير بطلان النظر وتسليم معرفة الحق ولكننا لا نسلم بطلان النظر كما سبق وكما سنذكر في إفساد شبههم المزخرفة لإبطال النظر ولا نسلم وجوب معرفة الحق لأن من جملته ما بنا مندوحة عنه واحتاج اليه معرفة الصانع وصدق الرسول والناس قد اعتقدوها سماعا وتقليدا لا بويهم وفي ذلك ما يغنيهم فلا حاجة بهم إلى استتاف تعلم من معلم معصوم فإن قنعوا بالتعليم من الأيوين فنحن نسلم حاجة الصبيان في مبدأ النشوء الى ذلك ولا ننكره ولا مستروح لهم في هذا التسليم ومن هذه المقدمة قولهم اذا ثبتت الحاجة الى المعلم فليكن المعلم معصوما وهذا متنازع فيه فإن المعلم ان كان يعلم ويذكر معه الدليل العقلي وينبه على وجه الدلالة ليتأمل المتعلم فيه بمبلغ عقله ويجوز له الثقة بمقتضى عقله بعد تنبيه المعلم فليكن المعلم لو أفسق الخليفة فلم يحتاج الى عصمته وليس يتلطف

المتعلم منه تقليد ما يتلقفه بل هو كالحساب لا بد من معرفة الحق فيه لمصالح المعاملات ولا يعرفه الانسان من نفسه ويفتقر الى معلم ولا يحتاج الى عصمته لانه ليس علما تقليدا بل هو برهاني وان زعتمتم أن المتعلم ليس يتعلم بالبرهان والدليل لأن ذلك يدركه بنظر عقله ولا ثقة بعقله مع ضعف عقول الخلق وتفاوتها فلذلك يحتاج الى معصوم فهذا الآن حماقة لانه إما ان يعرف عصمته ضرورة او تقليدا ولا سبيل الى دعوى شئ منه فلا بد ان يعرفه نظرا إذ لا شخص في العالم يعرف عصمته ضرورة او يوثق بقوله مهما قال أنا معصوم وإذا لم يعرف عصمته كيف يقلده وإذا لم يتق بنظره كيف يعرف عصمته فان كان الامر كما ذكرتموه فقد وقع الناس عن تعلم الحق وصار ذلك من المستحيلات فإذا قالوا لا بد من تعلم الحق لا بطريق النظر كان كمن يقول لا بد من الجمع بين البياض والسواد لانه ان تعلم من غيره بتأمل دليل المسألة التي يتعلمها كان ناظرا مقتحما خطر الخطأ وإن قلده لكونه معصوما كان مدركا عصمته بالنظر في دليل العصمة وان لم يعتقد العصمة ويعلم ممن كان فقد رجع الامر بالأخرة الى ما استبعدوه وهو التعلم ممن لم تعرف عصمته وفيهم كثرة واقوالهم متعارضة كما ذكروه وهذا لا محلص عنه أبد الدهر وأما المقدمة الخامسة وهي قولهم إن العالم لا يخلو إما أن يشتمل على ذلك المعصوم المضطر اليه او يخلو عنه ولا وجه لتقدير خلو العالم

عنه فان ذلك يؤدي الى تغطية الحق وذلك ظلم لا يليق بالحكمة فهو أيضا مقدمة فاسدة لانا إن سلمنا سائر المقدمات وسلمنا ضرورة الخلق الى معلم معصوم فنقول لا يستحيل خلو العالم عنه بل عندنا يجوز خلو العالم عن النبي أبدا بل يجوز لله ان يعذب جميع خلقه وان يضطرهم الى النار فانه بجميع ذلك متصرف في ملكه بحسب إرادته ولا معترض على المالك من حيث العقل في تصرفاته وانما الظلم وضع الشئ في غير موضعه والتصرف في غير ما يستحقه المتصرف وهذا لا يتصور من الله فلعلم العالم خال عنه على معنى ان الله لم يخلقه فإن قيل مهما قدر الله على ارشاد الخلق الى سبيل النجاة ونيل السعادات بعثة الرسل ونصب الأئمة ولم يفعل ذلك كان إضرارا بالخلق مع انتفاء المنفعة عن الله تعالى في هذا الإضرار وهو في غاية القبح المناقض لأوصاف الكمال من حكمته وعدله ولا يليق ذلك بالصفات الإلهية قلنا هذا الكلام محتمل وغطاء يتخذ به العلمي ويستحقه الغواص في العلوم وقد اتخذ به طوائف من المعتزلة واستقصاء وجه الرد عليهم في فن الكلام وانا الآن مقتصر على مثال واحد يبين قطعا أن الله تعالى ليس يلزمه في نعوت كماله ان يرعى مصلحة خلقه وهو أنا نفرض ثلاثة من الاطفال مات احدهم طفلا وبلغ احدهم مسلما ثم مات وبلغ الآخر وكفر ثم مات فيجازي الله كل احد بما يستحقه فيكون مقيما للعدل فينزل الذي بلغ وكفر في دركات لظى والذي بلغ واسلم في درجات العلا

والذي مات طفلا من غير اسلام ومقاساة عبادة بعد البلوغ في درجة دون درجة الذي بلغ واسلم فيقول الذي مات طفلا يا رب لم اخرتني عن اخي المسلم الذي بلغ ومات ولا يليق بكرمك الا العدل وقد منعتني من مزايا تلك الرتبة ولو انعمت علي بما لا تنتفع بها ولم تضرك فكيف يليق بالعدل ذلك فيقول له بزعم من يدعي الحكمة انه بلغ واسلم وتعب وقاسى شدائد العبادات فكيف يقتضي العدل التسوية بينك وبينه فيقول الطقل يا رب انت الذي احببته وامتنى وكان ينبغي ان تمد حياتي وتبلغني الى رتبة الاستقلال وتوفقني للاسلام كما وفقته فكان التأخير عنه في الحياة هو الميل عن العدل فيقول له بزعم من يدعي الحكمة كانت مصلحتك في إمامتك في صباحك فإنك لو بلغت لكفرت واستوجبت النار فعند ذلك ينادى الكافر الذي مات بعد بلوغه من دركات لظى فيقول يا رب قد عرفت مني أي إذا بلغت كفرت فهلا امتني في صباحي فياتي قانع بالدرجة النازلة التي انزلت فيها الصبي المشوق الى درجات العلا وعند هذا لا يبقى لمن يدعي الحكمة في التسوية الا الانقطاع عن الجواب والاجترأ

وبهذا التفاوت يستبين أن الأمر أجل مما يظنون فان صفات الربوبية لا توزن بموازين الظنون وان الله يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون

وبهذا يستبين انه لا يجب بعث نبي ولا نصب امام فقد بطل قولهم انه لا بد أن يشتمل العالم عليه

وأما المقدمة السادسة وهي قولهم إذا ثبت ان المعصوم موجود في العالم فلا يخلو إما ان يصرح بالدعوى ويدعي العصمة او يخفيه وباطل اخفاؤه لأن ذلك واجب عليه والكتمان معصية تناقض العصمة فلا بد أن يصرح بها فهذه مقدمة فاسدة لانه لا يبعد الا يصرح به لكونه محفوا بالأعداء مستشعرا في نفسه خائفا على روحه فيخفي ذلك تقية وذلك مما اتفقوا على جوازه واليه ذهب الإمامية باجمعهم وزعموا ان الإمام حي قائم موجود والعصمة حاصلة له ولكنه يترصد تصرف دولة الباطل وانقراض شوكة الاعداء

وانما هو الآن متحصن بجلباب الخفاء حارس نفسه عن الهلاك لصيانة السر عن الإفشاء الى ان يحضر أوانه وينقرض امام الباطل وزمانه فما جواب هؤلاء الباطنية عن مذهب الإمامية وما الذي يمنع احتمال ذلك فانهم ساعدوهم على جميع مقدماتهم الا على هذه المقدمة وذلك لما شاهدوا من اختلال حال من وسمه هؤلاء بالعصمة وتحققوا من الاسباب المناقضة للورع والصيانة فاستحيوا من دعوى العصمة لمن يشاهدون من احواله نقيضها فزعموا ان المعصوم محتف وانا ننتظر ظهوره في اوانه

وعند هذا نقول بم عرفت الباطنية بطلان مذهب الإمامية في هذه القضية فان عرفوها ضرورة فكيف قام الخلاف في الضروريات وان عرفوها نظرا فما الذي اوجب صحة نظرهم دون نظر خصومهم وتركية عقولهم دون عقولهم أيعرف ذلك بطول اللحي او ببياض الوجه وهلم جرا الى عين المسلك الذي تمجوه وهذا لا محيص عنه بحال من الأحوال

وأما المقدمة السابعة وهي قولهم إذا ثبت ان المعصوم لا بد أن يصرح فإذا لم يكن في العالم الا مصرح واحد كان هو ذلك المعصوم لانه لا خصم له ولا ثاني له في الدعوى حتى يعسر التمييز فهذه فاسدة من وجهين احدهما أنهم بماذا عرفوا انه لا مدعي للعصمة ولا مصرح بها في اقطار العالم سوى شخص واحد فعل في أقصى الصين او في أطراف المغرب من يدعي شيئا من ذلك وانتفاء ذلك مما لا يعرف ضرورة ولا نظرا فان قيل يعرف ذلك ضرورة إذ لو كان لا تنتشر لان مثل هذا تتوافر الدواعي على نقله قلنا يحتمل انه كان ولم ينتشر الى بلادنا مع بعد المسافة لان المدعي له ليس يتمكن من ذكره الا مع سوسه وصاحب سره وحواله جماعة من اعدائه فيفزع من إظهار السر وإفشائه ويرى المصلحة في اخفائه أو هو مفسد له ولكن المستمعين له ممنوعون عن الانتشار في البلاد واخبار العباد به لانهم محاصرون من جهة الاعداء مضطرون الى ملازمة الوطن خوفا من نكاية المسئولين عليهم فما الذي يبطل هذا الاحتمال وهو امر قدر قريبا او بعيدا فهو ممكن ليس من قبيل الخالات وانتم تدعون القطع فيما توردون فكيف يصفو القطع مع هذا الاحتمال

الوجه الثاني في إفساد هذه المقدمة هو أنكم ظنتم أنه لا يدعى

العصمة في العالم سوى شخص واحد وهو خطأ فإننا بالتواتر نتسامع بمدعين احدهما في جيلان فانها لا تفك قط عن رجل يلقب نفسه بناصر الحق ويدعى لنفسه العصمة وانه نازل منزلة الرسول ويستعبد الحمقى من سكان ذلك القطر الى حد يقطعهم جوانب الجنة مقدرًا بالمساحة ويضايق في بعضهم الى حد لا يبيع دراعا من الجنة لا بمائة دينار وهم يحملون إليه ذخائر الأموال ويشترون منه مساكن في الجنة فهذا احد الدعاة فيم عرفتم انه مبطل إذ قد تعدد المدعي ولا مرجح إذ لا معجزة فلا تظنوا ان الحماققة مقصورة عليكم وان هذه الكلمة لا ينطق بها لسان غيركم بل

العجب من ظنكم ان هذه الحمافة مقصورة عليكم في الحال اكثر من العجب في أصل هذه الحمافة فأما المدعي الثاني فرجل في جزائر البصرة يدعي الربوبية وقد شرع دينار ورتب قرآنا ونصب رجلا يقال له علي بن كحلا وزعم انه بمنزلة محمد صلى الله عليه و سلم وانه رسوله الى الخلق وقد احدق به طائفة من الحمقى زهاء عشرة الاف نفس ولعله يزيد عددهم على عددكم وهو يدعى لنفسه العصمة وما فوقها فما جوابكم عن رجل من الشاباسية يسوق هذه المقدمات الى هذه المقدمة ثم

يقول اذا لم يكن بد من معلم معصوم ولا معجزة للمعصوم وانما يعرف بالدعوى وصاحب الباطنية لا يدعي الربوبية كيف وصاحب الشاباسية يدعي الربوبية فأتباعه اولى فان قلت من يدعي الربوبية يعرف بطلان قوله ضرورة فالجواب من وجهين أحدهما أنه إنما يدعى ذلك بطريق الحلول ويزعم ان ذلك توارث في نسيهم وقد استمر ذلك في بيتهم عصرا طويلا والمدعي الآن كان جده مدعيا لذلك

والحلول قد ذهب اليه طوائف كثيرة فليس بطلان مذهب الحلولية ضروريا فكيف يكون ضروريا وفيه من الخلاف المشهور ما لا يكاد يخفى حتى مال الى ذلك طائفة كبيرة من محققي الصوفية وجماعة من الفلاسفة واليه اشار الحسين بن منصور الخلاج الذي صلب ببغداد حيث كان يقول أنا الحق أنا الحق وكان يقرأ في وقت الصلب وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم واليه أشار أبو يزيد البسطامي بقوله سبحاني سبحاني ما أعظم شأنى وقد سمعت انا شيخا من مشايخ الصوفية تعقد عليه الخناصر ويشار اليه بالأصابع في متانة دين وغزارة علم حكى لي عن شيخه المرموق في الدين والورع انه قال ما تسمعه من أسماء الله الحسنى التي هي تسعة وتسعون كلها يصير وصفا للصوفي السالك بطريقه الى الله وهو

يعد من جملة الساترين الى الله لا من زمرة الواصلين وكيف ينكر هذا وعليه مذهب النصارى في اتحاد اللاهوت بناسوت عيسى عليه السلام حتى سماه بعضهم إلهما وبعضهم ابن الإله وبعضهم قالوا هو نصف الإله واتفقوا على انه لما قتل انما قتل منه الناسوت دون اللاهوت كيف وقد تخيل جماعة من الروافض ذلك في علي رضي الله عنه وزعموا أنه الإله وكان ذلك في زمانه حتى امر باحراقهم بالنار فلم يرجعوا وقالوا بهذا يبين صدقنا في قولنا أنه الإله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يعذب بالنار إلا ربا فهذا يبين ان بطلان هذا المذهب ليس بضروري ولكنه ضرب من الحمافة ويعرف بطلانه بالنظر العقلي كما يعرف بطلان مذهبهم فإذا بطل قولهم لا مدعي للعصمة سوى صاحبنا بل قد ظهر من يدعي العصمة وزيادة

الوجه الثاني في الجواب عن قولهم ان بطلان مذهبهم معلوم ضرورة ولا فرق بين ما يعرف بطلانه ضرورة وبين ما يعرف بطلانه

مشاهدة او تواترا وعدم العصمة فيمن ادعيتهم عصمته معلوم بمشاهدة ما يناقض الشرع من وجوه اولها جمع الاموال واخذ الضرائب والمواصير واستثناء الخراجات الباطلة وهو الامر المتواتر في جميع الاقطار ثم الترفه في العيش والإستكثار من أسباب الزينة والإسراف في وجوه التجميل واستعمال الثياب الفاخرة من الإبريسم وغيرها وعدالة الشهادة فتحرم بعشر عشر ذلك فكيف العصمة فان انكروا هذه الاحوال انكروا ما شاهده خلق كثير من تلك الاقطار وتواتر على سلفهم الى سائر الأمصار ولذلك لا ترى لاحد من أهل تلك البلاد اغترارا وانخداعا بمذه التليسات لمشاهلتهم ما يناقضها ومن وجوه حيلهم أنهم لا يثبون الدعوة الا في بلاد نائية يحتاج المستجيب الى قطع مسافة شاسعة لو اعترضت له ريبة فيها حتى تدفعه العواقب عن النهضة والرحلة فإنهم لو شاهدوا لانكشف لهم عوار تلك التليسات المزخرفة والحيل الملفقة

أما المقدمة الثانية وهي قولهم إذا بان ان المدعى للعصمة مهما كان واحدا وقع الاستغناء عن الاستدلال على كونه معصوما فصاحبنا اذا هو المدعى للعصمة وحده فإذا هو الإمام المعصوم فهذه مقدمة نكذبهم فيها ولا نسلم ان صاحبهم يدعى لنفسه العصمة فانا لم نسمعه البتة ولم يتواتر اليينا من لسان من سمعه منه بل انما سمع ذلك من آحاد دعائهم وليسوا معصومين ولا هم بالغون حد التواتر ولو أنهم بلغوا حد التواتر فلا يحصل العلم بقولهم وخبرهم لوجهين أحدهما ان المشافهين لهذه الدعوة من جهة صاحبهم قليل فانه محتجب لا يظهر إلا للخواص ثم لا يشافه بالخطاب الا خواص الخواص ثم لا يفشي هذه الدعوة الا مع خاص من جملة خواص الخواص فالذين يسمعون عنه لا يبلغون عدد التواتر وان بلغوا فكلهم إن انتشروا لم يكن في بلدة منهم الا واحد وأكثر البلاد أيضا يخلو عن آحادهم

الوجه الثاني أنهم وإن بلغوا حد التواتر فقد فقد شرط التواتر في خبرهم إذ شرط ذلك الخبر الا يتعلق بواقعة يتشتر التواطؤ فيها من طائفة كبيرة لمصلحة جامعة لهم كما يتعلق بالسياسات فان اهل معسكر واحد قد يجمعهم غرض واحد فيحدثون على التطابق بشئ واحد ولا يورث ذلك العلم ورب واحد او اثنين يخبر عن امر فيعلم أنه لا يجمعهما غرض فيحصل له العلم وهؤلاء الدعاة لعلهم قد تواطؤوا على هذا الاختراع ليوصلوا به الى استتباع العوام واستباحة امواهم فيتوصلون بما الى أمالهم وعلى الجملة فحسن الظن بصاحبهم يقتضي تكذيبهم فإنهم لو حدثوا بذلك عن مريض في دار المرضى لاعتقدنا كذبه الا ان يعتقد الجنون في ذلك المريض إذ لا يدعي عاقل العصمة عن المحرمات وتناول الخطورات مع مشاهدة اهل العلم تناولها ومباشرته لها فاقبل آثار العقل الحياء عن فضيحة الاجتراء ومن تحلى بغير ما هو فيه وكان ذلك جلبا ظاهرا لمن يتأمل فيه استدلال به على اختلال عقله فإذا ليس بين لنا صدقهم في نسبتهم هذه الدعوة الى صاحبهم وهي مقدمتهم الاخيرة

فإن قيل لو أنكروا الناس في أطراف العالم في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الدعاة من رسول الله وقالوا لانصدقكم في قولكم إن محمدا يدعي الرسالة بل لا يظن بعقله ذلك ماذا كان يقال لهم قلنا بنس ما شبهتهم الملائكة بالحدادين إذ لا مساواة فإنه صلى

الله عليه وسلم كان ظاهرا بنفسه وأشياعه مبرزا للقتال مترددا في الأقطار مظهرا للدعوة على مأل من الناس غير محتجب ولا متسستر ثم كان يظهر المعجزات الخارقة للعادة فانتشرت دعوته لا تنتشر خروجه ومقاتلته وانتشار وجوده وليس الآن في صاحبكم كذلك نعم تواتر وجوده وترشحه مع آبائه للخلافة ودواعيهم أنهم اولى بها من غيرهم اما دعواه ودعوى من سبق من آبائه العصمة على المعاصي وعن الخطأ والزلل والسهو ومعرفة الحق في جميع اسرار العقليات والشرعيات فلم يظهر ذلك لنا بل لم تظهر دعواه العلم اصلا بفن من الفنون كالفقه او الكلام او الفلسفة على الوجه الذي يدعيه آحاد العلماء في البلاد فكيف ظهرت دعواه معرفة اسرار النبوة والاطلاع على علوم الدنيا والآخرة وهذا ما تواطأ على اختراعه توصلا الى استدراج المستجيب وخذاعه هذا تمام الرد عليهم في المقدمات تفصيلا مع أن في المنهج الأول المنطوي على الرد عليهم جملة كافية ومقنعة ولم يبق الا القول في إفساد أدلتهم المذكورة لا بطلان النظر ٢

أما الدلالة الأولى وهي قولهم من صدق عقله فقد كذبه اذ صدق عقل خصم ٢هـ وخصمه يصرح بتكذيبه فنقول هذا تخييل باطل من وجوه الاول المعارضة بمثال وهو أنا نقول نحن صدقنا العقول في نظرياتنا وانتم صدقتموها في ضرورتنا وخصومكم من السوفسطائية يكذبونكم فيها فإن إقتضى ذلك لزوم الاعتراف بكذب العلوم الضرورية لزمنا من خلافكم الاعتراف بكذب العلوم النظرية فان العقل إن صدق

في الضروريات فما بال عقل السوفسطائية كذب وما الفرق بين عقلكم وعقلهم أفتقولون ان ذلك منهم حماقة وسوء مزاج قلنا وكذلك حالكم في انكار النظريات وهو كمن ينكر الحسابيات من العلوم فانه لا يشكنا في البراهين الحسابية وان كان البليد لا يفهم ومنكر النظر اصلا يجحده ولكن طريقنا معه أن نورد عليه المقدمات وهي ضرورية فإذا أدركها ادرك النتيجة فكذلك خصمنا إذا كذبنا في مسألة من المسائل كإنكار ثبوت واجب الوجود عرضنا عليه مقدمات القياس الدالة عليه وقلنا أتماري في قولنا لا شك في أصل الوجود او في قولنا ان كل موجود إما جائز واما واجب ام في قولنا ان كان واجبا فقد ثبت واجب الوجود ام في قولنا إن كان جائزا فكل جائز مستند الى واجب الوجود في آخر الأمر لا محالة وإذا لم يمكنه التشكك في المقدمات لم يمكنه التشكك في النتيجة واما يختلف الناس فيها لان الفطرة غير كافية في تعريف الترتيب لهذه المقدمات بل لا بد من تعلمها من الافاضل وذلك الفاضل لا بد ان يكون تعلم أكثرها او إستأثر باستنباط بعضها وهكذا حتى ينتهي الامر الى معلم معصوم هو نبي موحى ايه من جهة الله تعالى هكذا تكون العلوم كلها فان زعموا أنكم اعترفتم بالحاجة الى المعلم ومن لم يعترف فهو معاند للمشاهدة فلافتقار اليه معترف به ولكنه كالاتقار اليه في علم الحساب فانه لا يحتاج فيه الى معصوم اذ لا تقليد فيه ولكن يحتاج الى حساب ينه على طريق النظر فإذا تنبه المعلم ساوى المعلم في العلم الضروري المستفاد من المقدمات بعضها على بعض ولا شك في أن معلم الحساب أيضا يعلم أكثر مما يعلم وان استقل باستنباط ترتيب البعض وكذا القول في معلم المعلم الى ان ينتهي مبدأ العلم الحسابي الى نبي من الانبياء مؤيد بالوحي والمعجزة ولكن بعد إفاضة الله علم الحساب فيما بين الخلق استغنى في تعلمه عن معلم معصوم فكذلك العلوم العقلية النظرية ولا فرق

الاعتراض الثاني ان يقال لهم انكرتم من خصومكم تصديق العقل في نظره واخترتم تكذيبه فبماذا تعرفون الحق وتميزون بينه وبين الباطل أبضرورة العقل ولا سبيل الى دعواها او بنظره فتضطرون الى الرجوع الى النظر فقد صدقتموه إذا بعد تكذيبه فتناقض كلامكم فان قلتم نحن نأخذه من الامام المعصوم قلنا وبم تعرفون صدقه فان قلتم لانه معصوم قلنا وبم تعرفون عصمته فان قلتم بضرورة العقل لم يخف عليكم خزيكم وعرفتم في الباطن من انفسكم خلاف ما أظهرتم فان عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع معجزته لم تعرف بضرورة العقل حتى انكر رسالته طوائف بل انكر بعثة الرسل جميع البراهمة وانكر الاكثرون من المسلمين عصمة الانبياء واستدلوا بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى إلى غير ذلك مما اشتمل القرآن على حكايته من أحوال الانبياء فاذا لم تعرف عصمة صاحب المعجزة ضرورة فكيف تعرف عصمة صاحبكم ضرورة فان قيل نحن نعرفه بالنظر ولكن النظر تعلم منه والنظر ينقسم الى صحيح وفاسد وتمييز صحيحه على فاسده ممنوع عن كافة الخلق الا على الامام الحق فهذا الميزان الموضح للفرقان بين الشبهه والبرهان فقد عرفنا صحة النظر الذي استفدنا منه فاطمأنت نفوسنا اليه بتزكيته وتعليمه قلنا والنظر الذي علمكموه هل افتقرتم في فهمه الى تأمل ام هو مدرك على البديهة فان ادعيتهم البديهة فما أشد جهلكم إذ يرجع حاصله الى أن معرفة عصمته عرفت بالبديهة وهو كذب صريح وان افتقرتم الى التأمل فذلك التأمل يعرف بالعقل ام لا ولا بد أن يقال إنه بالعقل فنقول والعقل إذا قضى عند التأمل بقضية فهو صادق ام لا فان قالوا لا فلم صدقوه وان قالوا نعم هو صادق فقد ابطالوا اصل مذهبهم وهو قولهم ان العقول لا سبيل الى تصديقها فان قيل الإمام يعرف من بواطن أسرار الله امورا اذا ذكرها حصل للمتعلم عند سماعها علم بديهي ضروري بصدقه ويستغنى به عن تدقيق النظر والتأمل فنقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرف ذلك ام لا فان قلتم لا فقد فضلتم الخليفة على الاصل وان قلتم نعم فلم اخفاها وهلا اظهرها وافشاها حتى كانت العقول تضطر على البديهة الى



ذكرها وكانت تتسارع الى التصديق له في دعاويه ولم ترك طوائف الخلق مضطربين في مغاصات الشبه متعثرين في أذيال الضلالات مجاهدين باموالهم وانفسهم في نصرة الخيالات الباطلة كيف وانتم إذا تعلمتم من إمامكم ذلك وقدرتم على ذكره حتى يعرف بالبدية صدقه فتلك الدقيقة لماذا اخفيت ولأي يوم أجلت وكتمان الدين من أكبر الكبائر ثم كيف انقسم المستمعون فنون ضلالكم الى قائل مستمع وراذ ومنخدع ومنتبهه وهلا اسلك الكل في ريقة التصديق والانقياد وعلى الجملة فدعوى مثل هذا الكلام لا تدل الا على الوقاحة وقلة الحياء والا فحن بالضرورة نعلم انكم على البدية لم تدركوا صدق امامكم وعصمته ولكنكم ربما تضطرون في تمشية التليس الى خلع جلباب الحياء وكذلك يفعل الله بنوي الضلال والامراء فنعوذ بالله من سقطة الأغبياء فما هذه الكذبة الصادرة منكم قوله تنقال او عشرة تنقال او خدعة يسبق اليها الجهال فضلا عن أفاضل الرجال

الاعتراض الثالث وهو ان نقول للمسترشد مثلا إذا شك في صحة النظر واستدل بالإختلاف الجمل ينبغي ان تعين المسألة التي تشك فيها فان المسائل منقسمة الى ما لا يمكن ان يعلم بنظر العقل والى ما يمكن ان يعلم علما ظنيا والى ما يعلم علما يقينيا ولا معنى لقبول السؤال

الجمل بل لا بد من تعيين المسألة التي فيها الاشكال حتى يكشف الغطاء عنها وينبه السائل على ان المخالف فيها جهل وجه ترتيب المقدمات المنتجة له ونحن لا ندعي الان المعرفة الا في مسئلتين احدهما وجودالصانع الواجب الوجود المستغني عن الصانع والمدبر والثانية صدق الرسول ويكفيها في باقي المسائل ان نتلقاها تقليدا من الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا القدر الذي لا بد منه في الدين وباقي العلوم لا يتعين تحصيلها بل الخلق مستغنون عنها وان كان ذلك ممكنا كالعلوم الحسابية والطبية والجسمية والفلسفية وهاتان المسألتان نعرفهما يقينا اما ثبوت واجب الوجود فبالمقدمات التي عرفناها واما صدق الرسول فبمقدمات تاملها ومن احاط بها لم يشك فيها وعلم غلط المخالف منها كما يعلم غلط الخاسب في الحساب وخصوصا أيضا مضطرون أى معرفة هاتين المسألتين بالنظر والا فقول النبي لا يعني فيهما فيكف يعني فيهما قول المعصوم فإن قيل معرفة صفات الله ومعرفة الشرائع ومعرفة الحشر والنشر كل ذلك لا بد منه فمن اين يعرف قلنا يتعلم من النبي صلى الله عليه وسلم المعصوم المؤيد بالمعجزة ونصدقه فيما يخبر عنه كما تقلدون انتم صاحبكم الذي لا عصمة له ولا معجزة فان قيل وبم تفهمون كلامه قلنا بما نفهم به كلامكم هذا في استنكم وتفهمون كلامنا في اجوبتنا وهو معرفة اللغة وموضوع الالفاظ كما تفهمون انتم من المعصوم عندكم فان قيل ففي كلام الرسول وفي القرآن المشكالات والجملات كحروف أوائل السور والمتشابه كأمر القيامة فمن يطلعكم على تأويله والعقل لا يدل عليه قلنا للآلآف الشريعة ثلاثة اقسام ألقاظ صريحة لا يتطرق اليها الاحتمال فلا حاجة فيها إلى معلم بل نفهمها كما تفهمون انتم كلام المعلم المعصوم إذ لو إقتصر صريح كلام الشارع أى معلم ومؤول لاقتصر

صريح كلام المعلم المعصوم إلى مؤول ومعلم آخر وتلسلس الى غير نهاية الثاني ألقاظ مجملة ومتشابهة كحروف اوائل السور فمعانيها لا يمكن ان تدرك بالعقل إذ اللغات تعرف بالاصطلاح ولم يسبق اصطلاح من الخلق على حروف التهجي وان الر وحم عسق عبارة عماذا فالمعصوم ايضا لا يفهمه وانما يفهم ذلك من الله تعالى اذا بين المراد به على لسان رسوله فيفهم ذلك سماعا وذلك لا يخلو إما أن لم يذكره الرسول لانه لا حاجة إلى معرفته ولم يكلف الخلق به فالمعصوم شريك في انه لا يعرفه إذ لم يسمعه من الرسول وان عرفه وذكره فقد ذكر ما بالخلق مندوحة عن معرفته فانهم لن يكلفوه وان ذكره الرسول فقد اشترك في معرفته من بلغه الخبر متواترا كان او آحادا وفيه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين نقل فإن كان متواترا افاد علما وإلا افاد ظنا

والظن فيه كاف بل لا حاجة الى معرفته فانه لا تكليف فيه واما وقت القيامة فلم يذكره الله تعالى ولا ذكره رسوله عليه السلام وانما يجب التصديق بأصل القيامة وولا يجب معرفة وقتها بل مصلحة الخلق في إخفائها عنهم ولذلك طوى منهم فالمعصوم من أين عرف ذلك الكلام ولم يذكره الله ولا رسوله ولا مجال لضرورة العقل ولا لنظره في تعيين الوقت ثم لنقدر انه عرف ذلك وزعم انه صلى الله عليه وسلم ذكره سرا مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه وذكره كل امام مع سوسه فأبي فائدة للخلق فيه وهو سر لا يجوز ان يذكر الا مع الأئمة فإن ذكره معصومكم وأفشى هذا السر الذي امر الله تعالى بكتمانه إذ قال تعالى أكاد اخفيها كان معاندا لله ورسوله وان كان لا يفشيه فكيف يتعلم منه ما لا يجوز تعليمه فدل على ان الامور العقلية محتاجة الى التعليم ولكن المعلم ان كان يبينه على طريق النظر فيه فلا يشترط عصمته وان كان يقلد من غير دليل فلا بد أن تعرف بالمعجزة عصمته وهو النبي وناهيك به معلما فلا حاجة الى غيره

القسم الثالث الالفاظ التي ليست مجملة ولا صريحة ولكنها ظاهرة فانها تثير ظنا و يكفى بالظن في ذلك القبيل و الفن و سواء كان ذلك في الفقهيات و أمور الآخرة أو صفات الله فليس يجب على الخلق إلا أن يعتقدوا التوحيد و الألفاظ فيه صريحة وأن يعتقدوا أنه قادر عليم سميع بصير ليس كمثلته شيء و كل ذلك اشتمل القرآن عليه و هو مصرح به أما النظر في كيفية هذه الصفات و حقيقتها و أنها تساوي قدرتنا و علمنا و بصرنا أم لا فقوله ليس كمثلته شيء دال على فهي المماثلة لسائر الموجودات و هذا قد اكفى من الخلق به فلا حاجة بهم إلى معصوم نعم الناظر فيه و المستدل عليه بالأدلة العقلية قد يتوصل إلى اليقين في بعض ما ينظر فيه وإلى الظن في بعضه و يختلف ذلك باختلاف الذكاء و الفطنة و اختلاف العوائق و البواعث و مساعدة التوفيق في النظر و العارف ينوق اليقين و إذا تيقن لم يتمادر فيه و لم يشككه قصور غيره عن الدرك و ربما تضعف نفسه و يشككه خلاف غيره ز كل ذلك لا مضرة له لأنه ليس مأمورا به و المعصوم لا يغني عنه شيئا لو تابعه فإن محض التقليد لا يكفيه و إن ذكر وجه الدليل فذلك لا يختلف صدوره عن معصوم أو غيره كما سبق و أما الدلالة الثانية و هي قولهم إذا جاءكم مسترشد متحير و سألكم عن العلوم الدينية أفتحيلونه على عقله ليستقل بالنظر و هو عاجز أو تأمرونه باتباعكم في مذهبكم و ينازعكم المعتزلي و الفلسفي و كذا سائر الفرق فيماذا يتميز مذهب عن مذهب و فرقة عن فرقة فالجواب من وجهين الأول هو أنا نقول لهم لو جاءكم متحير في أصل و جود الصانع و صدق الأنبياء انقلب عليكم هذا الإشكال فماذا تقولون إن ذكرتم دليلا عقليا لم تنتق بنظره و إن رددتموه إلى عقله فكمثل فعساكم تشفون غليله بالحوالة على المعصوم فما أبرد هذا الشفاء فإنه يقول قدروني قد جئت مسترشدا في زمان محمد بن عبد الله و معه معجزته فمعصومكم لا يقدر على معجزة أو قدروا إني شاهدت معصومكم قلب العصا ثعبانا أو أحيا الموتى أو أبرأ الأكمة و الأبرص و أنا أشاهده فلا يبين لي صدقه بضرورة العقل و لا أتق بالنظر و كم من أصناف الخلائق شاهدوا ذلك و أنكروه فحمله بعضهم على السحر و المخرفة و بعضهم على غيره فلعلمكم تشبعون غصته بان تقولوا له لقد الامام المعصوم ولا تسأل عن السبب فيقول و لم لا اقلد المخالفين لكم في إنكار النبوة و العصمة وهل بينهما فرق من طول لحية او بياض وجه الى غير ذلك مما هذوا به وهذا قلب لو اجتمع اولهم مع آخرهم على الخلاص منه دون الامر بالتفكر والنظر في الدليل لم يجدوا اليه سبيلا

الجواب الثاني وهو التحقيق هو أنا نقول للمسترشد ماذا تطلب فإن كنت تطلب العلوم كلها فما اشد فضولك واعظم خطبك و أطول أملك فاشتغل من العلوم ما يهيك وان قال اريد ما يهمني قلنا ولا مهم الا معرفة الله ورسوله وهذا معنى قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله فهاتان مسألتان يسهل علينا تعليمك اياهما وعند ذلك

ذكر له المقدمات الضرورية التي ذكرناها في إثبات واجب الوجود ثم مثلها في دلالة المعجزة على صدق الرسول فإن زعم أن خلاف المخالفين هو الذي يشككي في هذه المعرفة أفأتبعكم أو أتبع مخالفكم فنقول له لا تتبعنا ولا تتبع مخالفينا فان تعلم طريق التقليد مباح والتقليد في النتيجة غير موثوق به فشكك في أي مقدمة من مقدماتنا أي قولنا إن أصل الوجود معترف به فان كان كذلك فعلاجك في دار المرضى فإن هذا من سوء المزاج فان من شك في أصل الوجود فقد شك اولاً في وجود نفسه وإن قلت لا أشك في هذا بخلاف السوفسطائية قلنا فقد تيقنت مقدمة واحدة فهل تشك في الثانية وهي قولنا ان كان هذا الوجود واجبا فقد ثبت واجب الوجود فنقول هذا ايضا ضروري قلنا فهل تشك في قولنا إن كان جائزا فلا يتخصص أحد طرفي الجواز من الطرف المماثل له إلا بمخصص فهذه أيضا مقدمة ضرورية عند من يدرك معنى اللفظ وإن كان فيه توقف فالتوقف في ذلك مراد المتكلم من لفظه فان قال نعم لا شك فيه قلنا فذلك للمخصص المتفكر اليه إن كان جائزا فالتوقف في ذلك لا كالتوقف فيه فيفتقر الى مخصص غير جائز وهو المراد بواجب الوجود ففيمادا تتشكك فإن قال قد بقي لي شك عرف به بلادته وسوء فهمه وقطع الطمع عن رشده وليس هذا بأول بليد لا يدرك الحقائق فنخليه وهو كمن يطلب علم الحساب فذكرنا له الغوامض من مقدمات الحساب من الشكل القطع

الذي هو في آخر كتاب إقليدس فلم يفهمه لبلادته بل في الشكل الأول الذي مضمونه إقامة البراهين على مثلث متساوي الأضلاع فلم يدركه عرفنا ان مزاجه ليس يحتمل هذا العلم الدقيق فليس كل خلقه يحتمل العلوم بل الصناعات والحرف فهذا لا يدل على فساد هذا الأصل فإن قال المسترشد لست أشك في هذه المقدمات ولا في النتيجة ولكن لم يخالفكم من يخالفكم قلنا لجهله ترتيب هذه المقدمات او لعناده أو لبلادته وينكشف الغطاء بأن نشافه واحدا منهم يميل إلى الإنصاف ونراجعه في هذه المقدمات حتى يتبين لك أنه بين أن يفهم ويصف ويعترف او لا يفهم لبلادته أو يمنعه العصب والتقليد عن حسن الإصغاء إليه فلا يدركه وعند ذلك يطلع على خطئه وكذلك يصنع به في كل مسألة وينظر فيه إلى ما تحتمله حاله ويقبله ذكأوه وفطنته ولا يحمله مالا يطيقه بل ربما يقنعه بما يورث له إعتقادا في الحق مصمما فإن أكثر عوام الخلق قنع منهم الشرع بذلك ولا يكشف له عن وجه البراهين فرما لا يفهمها

وأما الدلالة الثالثة وهي قولهم الوحدة دليل الحق والكثرة دليل الباطل ومذهب التعليم تلزمه الوحدة ومذهبكم تلزمه الكثرة إذ لا تزال الفرقة المخالفة للتعليم يكتر اختلافهم ولا تزال الفرقة القابلة للتعليم يتحد طريقهم فالجواب من وجوه أحدها المعارضه والاخر الإبطال والثالث التحقيق أما المعارضه فتقول والصائرون إلى الافتقار إلى معلم معصوم اختلفوا في ذلك المعصوم فقالت الإمامية إنه ليس بظاهر وليس يعرف عينه ولكن أخفى نفسه تقية وقال آخرون ليس موجودا ولكنه منتظر الوجود وسيوجد إذا احتتمل الزمان إظهار الحق ولو كان يحتمل الزمان إظهاره لوجد فانه لا فائدة في كونه موجودا مع تعذر الإظهار للتقية وقال آخرون في بعض الخلفاء الذين مضوا لسبيلهم إنهم أحياء وسيظهرون في أوانه واختلفوا في تعيينه حتى اعتقد فريق ان الملقب بالحاكم هو حي بعد وقال آخرون ذلك في غيره الى نوع من الخطط طويل فان قيل هؤلاء جماعة من الحمقى غير معدودين في زمرةنا فإذا ضممتهم الينا وجمعتم بيننا وبينهم تطرقت الكثرة الينا فلم تجمعون الينا من يخالفنا كما يخالفكم بل الإنصاف أن تنظروا الينا وحدنا ونحن لا نتخلف كلمتنا اصلا قلنا ونحن أيضا إذا اعتبرنا وحدنا فنحن لا نخالف انفسنا وقد يرد هذا الاعتراض لا محالة من يعتقد مذهبا في جميع المسائل لا يخالف نفسه ومعه جماعة من الخلق يوافقونه في معتقده في الجميع فإذا اعتبرتموه مع فرقته ولم تجمعوا اليهم من يخالفهم فيالحماقة والبلادة وقصور النظر

ألفت كلمتهم متحده فلا يدل على أن الحق فيهم فإن قلتم وبم عرفتم حماقة مخالفكم انقلب ذلك عليكم من مخالفتكم القائلين بوجوب التعليم من المعصوم وإن زعمتم ان القائلين بأن النظر صحيح فرقة واحدة وإن اختلفوا في تفاصيل المذهب قلنا والقائلون بأن الامام المعصوم لا بد منه فرقة واحدة وإن اختلفوا في التفصيل هذا ولا محيص عنه أبد الدهر الجواب الثاني وهو أنا نقول قولكم الوحدة أمانة الحق والكثرة أمانة الباطل باطل في الطرفين قرب واحد باطل ورب كثير

لا ينفك عن الحق فإننا إذا قلنا العالم حادث أو قديم فالحدث واحد و القديم واحد فقد اشتركا في لزوم الوحدة وانقسموا في الحق والباطل وإذا قلنا الخمسة والخمسة عشرة ام لا فقولنا لا نفي واحد كقولنا عشرة إثبات واحد ثم اختلفا فكان احدهما حقا والآخر باطلا فإن قلتم إن قولكم عشرة لا يمكنكم ان تقسم وتفصل الا بواحد وقولكم لا يفصل بالتسعة والسبعة وسائر الاعداد ففيه الكثرة قلنا ولزوم الكثرة في مثل هذا التفصيل لا يدل على البطلان فإننا إذا عمدنا الى جسمين متقاربين قلنا إنهما متساويان ام لا فقولنا متساويان واحد وهو باطل ولا يمكن ان يفصل الا بواحد وقولنا لا إذ قلنا متفاوتان حق وهو واحد ويقبل التفصيل بما ينقسم الى الحق والباطل إذ يقال هذا الجسم متفاوت لذلك الجسم أي هو أكبر او يفسر بأنه أصغر والحق أحدهما والباطل يقابله في كونه واحدا وفي مشاركته في الاندراج تحت لفظ واحد هو حق يدل على أن ما ذكره تلبس

الجواب الثالث عن قولهم إن الكثرة أمانة الباطل فمذهبنا واحد لا كثرة فيه وانما الكثرة في الاشخاص الذين اجتمعوا على مسألة ثم اختلفوا في مسائل فلم قابلوا هذا بكثرة في جواب المسألة وهو في قولنا كم الخمسة والخمسة بل ورأيه في المذهب أن يفتي في مسألة واحدة بفتاوي كثيرة متناقضة فعند ذلك يقال الكثرة دليل الباطل ولسنا نفتي في كل مسألة الا بواحد فإننا نقول الله واحد ومحمد صلى الله عليه وسلم رسوله وهو صادق ومؤيد بالمعجزة فهذه فتوى واحدة فلتكن حقا وان كان باطلا فهو موافق لمذهبهم وقولنا ان نظر العقل طريق يوصل الى درك ما لا يدرك اضطرارا مذهب واحد لا كثرة فيه فليكن حقا كما أن قولنا العلوم الحسائية علوم صادقة قول واحد وكان حقا وليعجب من ابعادهم في التلبس إذ أخذوا لفظة الكثرة وهي لفظة

مضافة مشتركة تارة يراد بها الكثرة في الأجوبة عن مسألة واحدة كالجواب عن الخمسة والخمسة والسبعة والستة وغيرها وتارة تطلق ويراد كثرة الأشخاص المتفقين في مذهب والمختلفين فيه فأما مفارقة الباطل للكثرة المضافة اليعدد الاجوبة في مسألة واحدة فاستدلوا به على بطلان قول واحد في مسألة واحدة اجتمع عليها جماعة كثيرة اختلفت كلمتهم في مسائل سوى تلك المشكلة لكن هذا وان كان تلبسا بعيدا عن الخصل فمقصود واضعه التلبس على العوام وذلك مما يتوقع رواجه فالحيلة على العوام في استدراجهم ليست ممتعة على جماعة من الحمقى قد ادعوا الربوبية فكيف تنعسر عن غيرها واما قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فهو من هذا الطراز في التلبس فإن المراد به تناقض الكلمات في المتكلم الواحد إذا تناقض كلامه فسد ونحن لم يتناقض كلام الواحد منا في مسألة بل اجتمع طائفة على مسألة وهي اثبات النظر كما اجتمع طائفة على التعليم واثباته ثم اختلفوا في مسائل اخرى فأين هذا من اختلاف الكلام الواحد

فإن قيل المتعلمون إذا اجتمعوا على التعليم وعلى معلم واحد وأصغوا بأجمعهم إليه لم يكن بينهم خلاف وإن كانوا ألف ألف قلنا والناظر إن اجتمعوا على النظر في الدليل وعلى تعيين دليل واحد في كل مسألة ووقفوا عليها لم يتصور بينهم خلاف فإن قلتم فكم من ناظر في ذلك الدليل بعينه قد خالف قلنا وكم من مصغ الى معلمكم وقد خالف فان قلتم لانه لم يصدقه في كونه معصوما قلنا ولأن الناظر لم يعرف هذا وجه دلالة الدليل فان قلتم ربما

يعرف وجه الدلالة ثم ينكر قلنا هذا لا يتصور إلا عنادا كما يعتقد واحد كون الامام المعصوم حقا ثم يخالفه فلا يكون ذلك الا عن عناد ولا فرق بين المسلكين

وأما الدلالة الرابعة وهي قولهم ان كان لا يدرك الناظر المساواه

بينه وبين خصمه في الاعتقاد فلم يدرك المساواه بين حالتيه وكم من مسألة اعتقدها نظرا ثم تغير اعتقاده فيم يعرف ان الثاني ليس كالأول قلنا يعرف ذلك معرفة ضرورية لا يتمارى فيها وهذا معتقدكم أيضا في مثالين ولا كلام أقوى من القلب والمعارضه في مثل هذه المقالات فان عادتم مد يد الاعتصام الى إشكالات لا تختص بمذهب فريق فيحIRON عقول العوام به ويخيلون انه من خاصة مذهب مخالفهم والعامي المسكين متى ينتبه لانقلاب ذلك عليه في مذهبه فتقول هذا القائل اعتقد مذهب التعليم وإبطال النظر تنقيدا سماعا من أبويه او سمع من الأيوين مذهبا ثم تبه بعد ذلك لبطلانه فإن قال اعتقدته سماعا من الأيوين قلنا وأولاد النصارى واليهود الجوس وأولاد مخالفكم في مسألة النظر وقع نشوؤهم على خلاف معتقدكم فيماذا تفرقون به بين انفسكم وبينهم أبطل اللحي او سواد الوجوه أم بسبب غيره والتقليد شامل وإن قلتم لا بل اعتقدنا مذهبكم ثم تركنا التقليد وتبهننا لصحة مذهب التعليم قلنا تبهنتم لبطلان مذهبنا على البديهية او بنظر العقل فإن كان على البديهية فكيف خفي عليكم البديهية في اول امركم وعلى أباتكم وعلينا ونحن العقلاء وقد طبقنا وجه الارض ذات الطول والعرض وان عرفتم ذلك بنظركم فلم وتتم بالنظر ولعل حالكم اللاحقة كالحال السابقة

فما الفارق فإن قلتم عرفنا من المعلم قلنا إن كان تقليدا فما الفرق بين التقليد للأخير والتقليد للأول وبين تقليدكم وتقليد طوائف المخالفين من اليهود والنصارى والجوس والمسلمين وان فهمتم بالنظر فما الفرق بينكم وبين سائر النظائر وهذا مما لا جواب عنه إلا أن يقال بالضرورة ندرك التفرقة بين ماعلم يقينا لا يمكن فيه الخطأ وبين ما يمكن فهكذا جوابنا

المثال الثاني إن من غلط في مسألة حسابية ثم تبه لها هل يتصور ان يزول شكه بعد التبييه نجيب يعلم انه ليس محطنا وأن الخطأ غير جائر

عليه وانما كان الخطأ فيما تقدم لمقدمة شذت عنه فإن قلتم لا فقد أنكرتم للمشاهدة وإن قلتم نعم فيما ذا تدرك التفرقة إلا بالضرورة وقد انقلب الإشكال بعينه وكيف تنكر ذلك وقد رأيت من يدعي الذكاء والفظنه في علم الحساب حكم بأن التيامن في القبلة واجب ببلد نيسابور وأنه لا بد من الميل عن محرابها المنفق عليه الى اليمين واستدل عليه بمقدمة مسلمة وهي ان الشمس تقف وسط السماء على سمت الرأس بمكة في اطول النهار وقت الزوال ثم قال ترى الشمس في اطول النهار وقت الزوال بنيسابور مائلة قليلا الى يمين المستقبل في محرابها فيعلم انه على سمت رأس الواقف بمكة وان مكة مائلة الى اليمين فتابعه على ذلك جماعة من الحساب واعتقدوا ان ذلك هو الواجب بحكم هذا الدليل حتى تبهنوا على محل الغلط فيه وإحلالهم بمقدمة اخرى وهي أن ذلك انما يلزمه لو كان وقت الزوال بنيسابور هو وقت الزوال بمكة وليس كذلك بل يقع بعد ساعة وتكون الشمس قد أخذت الى صوب المغرب في جانب اليمن عرضا فبرى وقت الزوال مائلا عن قبلة نيسابور لانه ليس وقت الزوال والغروب في جميع المواضع متفقا ويعرف ذلك باختلاف ارتفاع القطبين وانخفاضهما بل باستتارهما وانكشافهما في البقاع المختلفة فهذا الغلط وامثاله في الحساب أفيدل ذلك على أن النظر في الحساب ليس طريقا موصلا الى معرفة الحق أو يتشكك المتنبه بعدها فيقول لعله شذت

عني مقدمة أخرى وأنا غافل عنها كما في الأول هذا لو فتح بابه فهو السفسطة المحضنة وندعو ذلك ألى بطلان

العلوم والاعتقادات كلها فكيف يبقى معه وجوب التعلم ومعرفة العصمة ومعرفة إبطال النظر أما الدلالة الخامسة وهي قولهم ان صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم قال الناجي من القرق واحدة وهم اهل السنة والجماعة ثم قال ما أنا الآن عليه وأصحابي فهذا من عجيب الاستدلالات فأنهم انكروا النظر في الأدلة العقلية لاحتمال الخطأ فيه وأخذوا يتمسكون بأخبار الآحاد والزيادات الشاذة فيها فأصل الخبر من قبيل الآحاد وهذه الزيادة شاذة فهو ظن على ظن ثم هو لفظ محتمل من وجوه التأويل مالا حصر له فإن ما كان عليه هو وأصحابه إن اشترط جميعه في الأقوال والأفعال والحركات والصناعات كان محالاً وإن أخذ بعضه فذلك البعض من يعينه ويقدره وكيف يدرك ضبطه وهل يتصور ذلك إلا بظن ضعيف وربما لا يرتضى مثله في الفقهيات مع خفة امرها فكيف يستدل على القطعيات بمثلها على أنا نقول هم كانوا على اتباع نبي مؤيد بالمعجزة فلستم إذن من الفرقة الناجية فإنكم اتبعتهم من ليس هو نبيا ولا مؤيدا بالمعجزة فسيقولون ليس تجب مساواته من كل وجه قلنا فنحن على مساواتهم من كل وجه فإننا نأمر باتباع الكتاب والسنة والاجتهاد عند العجز عن التمسك بما أمر معذرا به وكما استمر عليه الصحابة بعد وفاته من المشاورة والاجتهاد في الأمور فالحديث قاض لنا بالنجاة ولكم بالهلاك فإنكم إنخرتم عن اتباع النبي المعصوم الى غيره فان قيل ومعاني الكتاب والسنة

كيف تفهمونها قلنا قد بينا أنها ثلاثة اقسام صريحة وظاهرة ومجملة وبيننا لأن معرفتنا لها كمعرفة سائر الصحابة وكمعرفة من تدعون له العصمة من غير فرق فان قيل وانتم تدعون الى نظر العقل وما كان هذا من دأب الصحابة قلنا هيئات فإننا ندعو الى الاتباع وإلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فمن صدق بذلك سبقا إليه من غير منازعة ومجادلة فنعنا منه كما يقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم به من أجلاف العرب والناس على ثلاثة أقسام قسم هم العوام المقلدون نشئوا على اعتقاد الحق سماعا من آباؤهم فهم مقرون عليه بصحة اسلامهم

الثاني الكفار الذين نشئوا على ضد الحق سماعا عن آباؤهم و تقليدا فهم مدعوون عندنا إلى تقليد النبي المعصوم المؤيد بالمعجزة و اتباع سنته و كتابه و أنتم تدعونهم إلى معصومكم فليت شعري أين أشبه بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن يدعو إلى النبي المؤيد بالمعجزة أم من يدعو إلى من يدعى العصمة بشهوته من غير معجزة القسم الثالث من فارق حيز المقلدين وعرف ان في التقليد خطر الخطأ فصار لا يقنع به فنحن ندعوه الى النظر في خلق السموات والأرض ليعرف به الصانع والى التفكير في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ليعرف به صدقة وانتم تدعونهم الى تقليد المعصوم وتكذبون نظر العقل وترخرفونه فليت شعري أي الدعوتين اوفق لدعوة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمتى قالوا للمسترشد المشكك إياك ونظر العقل وتأمله فإن فيه خطر الخطأ ولذلك اختلف الناظرون

بل عليك ان تقلد ما تسمعه منا من غير بصيرة وتأمل هذا لو صدر من مجنون لضحك منه ولقبيل له لم تقلدك ولا تقلد من يكذبك فإذا طوى بساط الدليل المفرق بطريق النظر بينك وبين خصمك ولم يمكن درك التفرقة بالضرورة فبم تميز عن مخالفتك المكذب فليت شعري من فتح باب النظر الذي يسوق الى معرفة الحق متبعا فيه ما اشتمل عليه القرآن من الحث على التدبر والتفكير في الايات وفي القرآن وعجز الخلق عن الإتيان بمثله واستدلاله به هو أقرب إلى موافقة الصحابة وأهل السنة والجماعة او من يؤسس الخلق عن النظر في الأدلة بالتكذيب حتى لا يبقى للدين عصام يتمسك به إلا الدعوي المتعاضه وهل هذا الا صنع من يريد ان يطفى نور الله ويغطي شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد طريقه المفضى اليه فان قيل فتراكم تميون تارة الى الاتباع وتارة الى النظر قلت هكذا

تعتقده ولكنه في حق شخصين فالذين سعلوا بالولادة بين المسلمين فأخذوا الحق تقليدا مستغنون عن النظر وكذا الكفار إذا تيسر لهم تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم تقليدا كما كان يتيسر لاجلاف العرب والذي يتشكك ويعرف غرر التقليد فلا بد له من معرفة صدقنا في قولنا لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم بعد هذا قدر على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولن يعرف التوحيد والنبوة إلا بالنظر في دليله الذي دل عليه الصحابة ودعا الرسول الخلق به فانه ما دعاهم بالتحكم الخض والقهر المجرد بل بكشف سبل الأدلة ؤ فهذا صورة القول مع كل متشكك وإلا فليبرز الباطني معتقده في حقه وانه كيف ينجو عن شكه إذا حسم عليه باب التأمل والنظر فهذا حل هذه الشبهات وهي أرك عند الحاصل من أن يفترق في حلها الى كل هذا الاطباب ولكن اغترار بعض الخلق به وظهور التليس في هذا الزمان يتقاضى هذا الكشف والإيضاح والله تعالى يوفقنا للعلم والعمل والرشد والإرشاد بمنه ولطفه

### الباب السابع في إبطال تمسكهم بالنص في اثبات الإمامة والعصمة وفيه فصلا

#### الفصل الاول في تمسكهم بالنص على الإمامة

وقد عجزت طائفة منهم عن التمسك بطريق النظر لمناقضة ذلك مسلكتهم في إبطال نظر العقل وإيجاب الإتياع فعدلوا الى منهج الإمامية بحيث استدلوا على إمامة علي رضي الله عنه بالنص وزعموا أنها مطردة في عترته فطمع هؤلاء في التمسك بالنص مع مخالفة منهجهم مذهب الإمامية فزعموا انه عليه السلام نص على علي ونص علي على ولده حتى انتهى الى الذي هو الان متصد للإمامة بكونه منصوفا عليه ممن كان قبله وهذا غير ممكن هذه الفرقة فإنهم بين التعلق فيه بأخبار آحاد لا تورث العلم ولا تفيد اليقين وتلج الصدر بل يحتمل فيه تعمد الكذب تارة والغلط فيه اخرى

ولنهج هؤلاء اجتروا طرق النظر في العقليات احترازا عما فيها من الخطأ فكيف يستتب لهم التمسك بأخبار الآحاد فيضطرون الى دعوى خبر متواتر فيه من صاحب الشرع صلوات الله عليه تجري في الوضوح مجرى الخبر المتواتر في بعثته ودعوتيه وتحديه بالنبوة وشرعه الصلوات الخمس والحج والصوم وسائر الوقائع المستفيضة ومهما راجع العاقل بصيرته استغنى في معرفة استحالة هذه الدعوى عن مرشد يرشده ويسدد منهجه على وجه الاستحالة كيف وقد استحالته هذه الدعوى وتعذرت على الامامية في دعوى إمامة علي فقط فكيف تستتب لهؤلاء دعوى إمامة صاحبهم مع تضاعف الشغل عليهم وكثرة دعاويهم إلى أن ينساقوا إلى إثبات الإمامة لمن إعتقدوا إمامته اليوم ولكنها مع الاستغناء عن الايضاح لفساد دعواهم ننبه على ما فيه من العسر والاستحالة ونقول مدعي الإمامة اليوم لشخص معين من عتره رسول الله صلى الله عليه وسلم يفترق الى نص متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ينتهي في الوضوح الى حد الخبر المتواتر عن وجود علي ومعاوية وعمرو بن العاص فإننا بالتواتر عرفنا وجودهم ومهما ادعى تواتر هذا الخبر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقر الى حد التواتر بعده في كل عصر ينقرض حتى

لا يزال النقل متواترا على تناسخ الأعصار واقراض القرون بحيث يستوي في بلوغ المخبرين حد التواتر طرف الخبر وواسطته وهذا ممتنع يفترق في كل واحد من علي وأولاده رضي الله عنه إلى يومنا هذا أربعة أمور الاول أن يثبت أنه مات عن ولده ولم يمت أبتري لا ولد له حتى يعرف ولده كما عرف علي رضي الله عنه وتعرف صحة انسابهم كما عرف صحة انساب علي الثاني أن يثبت أن كل واحد منهم نص على ولده قبل وفاته وجعله ولي عهده وعينه من

بين سائر أولاده فانصب للإمامة بتوليته ولم يمت واحد إلا بعد التصييص والتعيين على ولي عهده الثالث ان ينقل أيضا خبرا متواترا انه صلى الله عليه وسلم جعل نص جميع اولاده بمنزلة نصه في وجوب الطاعة ومصادفته لمنظنة الاستحقاق ووقوعه على المستحق للمنصب من جهة الله تعالى حتى لا يتصور وقوع الخطأ لواحد منهم في التعيين الرابع أن ينقل أيضا بقاء العصمة والصلاح للإمامة من وقت نصه على من نص عليه إلى ان توفي هو بعد نصه على غيره فلو انخرمت رتبة من هذه الرتبة لم تستمر دعوايهم ولو اثبتوا تواتر نص كل واحد منهم ووجود ولده في العصر الأول فلا يغنيهم حتى يشبوا تواتره كذلك في سائر الأعصار المتوالية بعده عصرا بعد عصر وهذه أمور لو ثبت التواتر فيها لعلمت كما يعلم وجود الانبياء ووجود الاقطار التي لم تشهد كالصين وقبروان المغرب ووجود الوقائع كحرب بدر وصفين ولا يشترك الناس في دركه حتى كان لا يقدر احد على ان يشكك فيه نفسه وليس يخفى أن الأمر في هذه الدعوى بالصد إذ لو كلف الإنسان ان يتسع لتجويز ما قالوه وإمكانه لم يتمكن بل علم قطعا خلافه فكيف يتصور الطمع في اثباته وكيف يتوافقون على دعواه وقد اختلف القائلون بوجوب الإمام المعصوم

في جماعة من الأئمة بزعمهم انه خلف ولدا او لم يخلف واختلفوا في تعيين الإمامة في بعضهم واختلفوا في ظهوره فقال قائلون الإمام موجود ولكنه ليس يظهر تقيية وقال آخرون هو ظاهر فكيف خالفهم اصحابهم وان كانوا قد عرفوا ذلك بنص متواتر فكيف قبلوه من الآحاد ان لم يكن متواتر وقول الآحاد لا يورث إلا الظن فاستبان ان ما ذكره طمع في غير مطمع وفزع الى غير مفرع ومثاهم في الفرار من مسلك النظر الى مسلك النص مثال من يميل من اللبل الى الغرق فإن المسلك الأول أقرب إلى التلبيس من هذا المسلك فإن قال قائل قد طولتم الأمر عليهم وأخرجتموهم إلى اثبات النص على علي ثم إثبات النص من كل واحد من أعقابهم ولدا ولدا ثم صحة نسبه ثم استفاضة هذه الأخبار او لا ووسطا وآخرا وهم يستغنون عن جميع ذلك بخبر واحد وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الإمامة بعدي لعلي وبعده لأولاده لا تخرج من نسبي ولا ينقطع نسبي أصلا ولا يموت واحد منهم قبل توليته العهد لولده وهذا القدر يكفيهم قلنا نعم يكفيهم هذا القدر إن كان كل ما يحظر بالبال ويوافق شهوة الضلال يمكن اختراعه ونقله متواترا ولكن هذا على

هذا الوجه لم يقع ولا نقل ولا ادعى مدع وقوعه معتقدا بالباطل ولا على سبيل العناد فضلا عن أن ينطق به عن الاعتقاد ونقل هذا النص ودعوى التواتر فيه كدعوى من نقل مضاده وهو ان الإمامة ليست لعلي بعدي وإنما هي لابي بكر وإنما تكون بعده بالاختيار والشورى وان من ادعى النص او اختصاص الإمامة بأولاده من سائر قريش فهو كاذب مبطل فكما نعلم ان هذا الخبر لم يكن ولم ينقل لآحادا ولا تواترا نعلم ذلك فما يناقضه ومهما فتح باب الاختراع اشترك في الاقتدار عليه كل من يحاول اللجاج والنزاع وذلك مما لا يستحله ذوو الدين أصلا فإن قال قائل هذه الدعوى لا تستتب هؤلاء فهل تستتب للإمامية في دعوى النص على علي رضي الله عنه قلنا لا انما الذي يستتب لهم دعوى الفاظ محتملة نقلها الآحاد فأما اللفظ الذي هو نص صريح فلا ودعوى التواتر أيضا لا يمكن وتيك الالفاظ كما رووا أنه قال من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله أنت مني بمنزلة هارون من موسى الی غیر ذلك من الالفاظ المحتملة لا تجري مجرى النصوص الصريحة فأما دعوى النص الصريح المتواتر فمحال من وجوه موضع استقصائها في كتاب الإمامة من علم الكلام وليس من غرضنا الآن ولكننا نذكر استحالته بمسلكين احدهما انه لو كان ذلك متواتر لما شككنا فيه كما لم يشك في وجود علي رضي الله عنه ولا في انتصابه للخلافة بعد رسول



الله صلى الله عليه و سلم ولا في امر

رسول الله صلى الله عليه و سلم بالصلاة والصيام والزكاة والحج فان قوله عليه السلام في التصييص على الخلافة بعده على مالا من الناس ليس قولاً يستحق فيستر ولا يتساهل في سماعه فيهم بل تتوفر الدواعي على اشاعته ولا تسمح النفوس بإخفائه والسكوت عنه ولم تسمح بالسكوت عن أخبار وأحوال تقع دون ذلك في الرتبة فهذا قاطع في بطلان دعواهم الخبر المتواتر وعلى هذه الجملة فلا تتميز دعواهم عن دعوى البكرية حيث قالوا إن النبي صلى الله عليه و سلم نص على أبي بكر رضي الله عنه نصاً صريحاً متواتراً ولا عن دعوى الروندية إذ قالوا إنه نص على العباس نصاً متواتراً وهذه الأقاويل متعارضة لأنها لم تعرف ولم تظهر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم عند الخوض في الإمامة

فلا تبقى بعد ذلك ريبية في بطلان هذه الدعوى للسلك الثاني أن الذين نازعوا في إمامة أبي بكر وتصلوا للنضال عن علي رضي الله عنهما تمسكوا في نصرته بألفاظ محتملة نقلها آحاد كقوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله أنت مني

بمنزلة هارون من موسى وكيف سكتوا عن النص المتواتر الذي لا يتطرق التأويل الى متنته والظن على سنده ومعلوم ان النفوس في مثل هذه المثارات تضطرب بأقصى الإمكان ولا تتعلق بالشبه إلا عند العجز عن البرهان فهذا أيضاً يعرف المنصف ضرورة كذب المخترعين لهذه الأمور وإنما هداهم إلى اختراع دعوى النص المتواتر طائفة من الملحدين أرادوا الظن على الدين وهم الذين لقنوا اليهود أن ينقلوا عن موسى نصاً بانه خاتم النبيين وانه قال لليهود عليكم بالسبت ما دامت السموات والارضون وكان سبيلنا في الرد عليهم ان اليهود مع ما جرى عليهم من الذل والإرراق والسبى للذري والاولاد وتخريب البلاد وسفك الدماء في طول زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم كانوا يجتالون بكل حيلة في طمس شريعته وتطفنة نوره ودفع استيلائه فلم لم ينقلوا عن موسى عليه السلام ذلك ولم لم يقولوا له ما جئت إلا بتصديق موسى وانه قال أنا خاتم النبيين ومعلوم ان الدواعي تتوافر على نقل مثل ذلك توافراً لا يطاق السكوت معه وقد كان فيهم الأخبار والمتقدمون وكلهم كانوا مضطرين تحت القهر والذل متعطين إلى دفع حجته بأقصى الجهد وهذا بعينه هو الذي يكشف عن

اختراع هؤلاء وتجمهم على الإختلاق والتخرص فإن قيل لعله تمسك به المتمسكون إلا أنه اندرس ولم ينقل إلينا قلنا كيف نقل إلينا التمسك بالألفاظ الظاهرة ونقل المنازعة في الإمامة من الأنصار وقول قائلهم أنا جذيلها المحك وعذيقها المرجب والدواعي على نقل النص أوفر ولو جاز فتح هذا الباب لجاز لكل ملحد إذا احتججنا عليه بالقرآن وعجز الخلق عن معارضته وبيننا به صدق محمد صلى الله عليه و سلم أن يقول لعله عورض ولكنه لم ينقل وتعاطي المسلمون إخفاءه فإن قيل أنتم مضطرون الى معرفة هذا الخبر المتواتر ولكنكم تعاندون في إخفائه تعصبا قلنا ولم تنكروا على من يقلب عليكم ويقول انتم تعرفون بطلان ما ينقلون ضرورة ولكنكم تعاندون في الإختراع وبم تنفصلون عن البكرية والروندية إذا ادعوا ذلك في النص على أبي بكر والعباس رضي الله عنهما فإن قيل أستم تدعون في معجزات الرسول صلى الله عليه و سلم انشقاق القمر وكلام الذئب وحنين الجذع وتكثير الطعام القليل إلى غير ذلك مما أنكره كافة الكفار وطوائف من المسلمين ولم يكن خلافهم

مانعا لكم من دعوى التواتر قلنا نحن لا ندعي التواتر الذي يوجب العلم الضروري إلا في القرآن أما ما عداه من هذه المعجزات فلو نقلها خلق كثير بلغوا حد التواتر لما تصوروا الشك فيها وإنما نقلها جماعة دون تلك الكثرة يعرف صدقهم بضروب من الأدلة النظرية والاستدلال بالقرائن الخالية من روايتهم ذلك وسكوت الآخرين عن

الإنكار الى غير ذلك من الامور التي يتوصل إلى استفادة العلم منها عند إمعان النظر فيها بدقيق الفكر ومن أعرض عن النظر في تيك الدلائل والقرائن ولم يتأملها حق التأمل لم يحصل له العلم وأما انتم فلا تقتنعون في خبركم بالنقل من عدد دون عدد التواتر ولا بالحاجة فيه الى النظر والاستدلال والتأمل فانكم تبطلون طرق النظر فلا تستقيم هذه المقابلة منكم فان قيل انشقاق القمر من الآيات العلوية والبراهين السماوية فكيف يتصور ان يختص بمشاهدته عدد دون عدد التواتر قلنا ولو شاهده عدد التواتر كيف كان يتصور التردد فيه والإنكار له وهل ترى احدا يتردد في وجود مكة ووجود أبي حنيفة والشافعي وسائر المشهورين وهي من الأمور الأرضية وهل ترى أن أحدا يتردد في أن الشمس كانت تطلع في أيام نوح عليه السلام ضربا للمثل فإن ذلك لما كان من الأمور المتواترة لم تتصور الاسترابة فيه يبقى قولكم إنه كيف اختص بمشاهدة انشقاق القمر طائفة فقد قال العلماء الأصوليون المنكرون لالتباس ما يتواتر من الأخبار هذه آية ليلية في وقت كان الناس فيه نياما أو كانوا تحت السقوف والظلال والأستار والمصحرون منهم المنتبهون لا تستحيل عليهم الغفلة في لحظة فيكون ذلك مثل اقضاض كوكب تختص بمشاهدته شذمة قليلة

وذلك ممكن فلم يكن الانشقاق أمرا دائما زمانا طويلا فليس يمتنع أن يختص بمشاهدته من حدق إليه بصره ممن كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث احتج على قريش بانشقاق القمر وقال قائلون أيضا يحتمل أن يكون الله تعالى خصص برؤية ذلك من حاج النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الساعة وناظره حيث قال صلى الله عليه وسلم آيتي أنكم ترفعون رؤوسكم فترون القمر منسقا وحجب الله أبصار سائر الخلق عن رؤيته بحجاب او سحاب او تسليط عقله و صرف داعية النظر لمصلحة الخلق فيه حتى لا يتحدى لنفسه بعض الكذابين في الأمصار فيستدل به على صدق نفسه او يكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم من وجهين خارقين للعادة احدهما إظهاره لهم والآخر اخفأؤه عن غيرهم وهذه الاحتمالات ذكرها العلماء حتى قال بعضهم ان انشقاق القمر ثبت بالقرآن وهو قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر والكلام فيه طويل وعلى الأحوال كلها فما بلغ حد التواتر لا يتصور التشكك فيه هذه قاعدة معلومة عليها تبنى جميع قواعد الدين ولولاها لما حصلت الثقة بأخبار التواتر ولما عرفنا شيئا من أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بالمشاهدة والكلام في هذا يحتمل الإطناب ولكنه بعيد عن مقصود الكتاب فرأيت الإيجاز فيه أولى

## الفصل الثاني في إبطال قولهم إن الامام لا بد أن يكون معصوما من الخطأ

والزلل والصغائر والكبائر

فنقول لهم وبماذا عرفتم صحة كونه معصوما ووجود عصمته أضرورية العقل او بنظره او سماع خبر متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يورث العلم الضروري ولا سبيل الى دعوى الضرورة ولا إلى دعوى الخبر المتواتر المفيد للعلم الضروري لان كافة الخلق تشترك في دركه وكيف يدعي ذلك وأصل وجود الأمام لا يعرف ضرورة بل نازع منازعون فيه فكيف تعلم عصمته ضرورة وان ادعيتم ذلك بنظر العقل فنظر العقل عندكم باطل وان سمعتم من قول إمامكم أن العصمة واجبة للإمام فلم صدقتموه قبل معرفة عصمته بدليل آخر وكيف يجوز أن تعرف إمامته وعصمته بمجرد قوله

على أن نقول أي نظر عرفكم وجوب عصمة الأمام فلا بد من الكشف عنه فإن قيل الدليل عليه وجوب الاتفاق على كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما ولم نحكم بوجود عصمته إلا لأننا بواسطته نعرف الحق ومنه نتلقفه

ونستفيده ولو جوزنا عليه الخطأ والمعصية سقطت الثقة بقوله فما من قول يصدر عنه إلا وتصور أن يقال لعله  
أخطأ فيه أو تعتمد الكذب فإن المعصية ليست مستحلية عليه وذلك مما لا وجه له فكذلك الإمام منه نلتقي الحق  
واليه نرجع في المشكلات كما كنا نرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه خليفته وبه نستضيء في مشكلات  
التأويل والتنزيل وأحوال القيامة والحشر والنشر

فإن لم تثبت عصمته فكيف يوثق به قلنا مثار غلطكم ظنكم أننا نحتاج الى الإمام لنستفيد منه العلوم ونصدق فيه  
وليس كذلك فإن العلوم منقسمة الى عقلية وسمعية أما العقلية فتتنقسم الى قطعية وظنية ولكل واحد من القطع  
والظن مسلك يفرض اليه ويدل عليه وتعلم ذلك ممن يعلمه ولو من افسق الخلق ممكن فانه لا تقليد فيه وانما المتبع  
وجه الدليل وأما السمعيات فمسندها سماع اما متواتر وإما آحاد والمتواتر تشترك الكافة في دركه ولا فرق بين  
الإمام وبين غيره والآحاد لا تفيد إلا ظنا سواء كان المبلغ إليه او المبلغ الإمام أو غيره والعمل بالظن فيما يتعلق  
بالعمليات واجب شرعا والوصول الى العلم فيه ليس بشرط ولذلك يجب عندهم تصديق الدعاة المنتشرين في أقطار  
الأرض مع أنه لا عصمة لهم أصلا وكذلك كان ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمانه فإذا لا حاجة إلى  
عصمة الإمام فإن العلوم يشترك في تحصيلها الكل والإمام لا يولد عالما ولا يوحى اليه ولكنه متعلم وطريق تعلم  
غيره كتعلمه من غير فرق

فإن قيل فلماذا نحتاج إلى الإمام إذ كان يستغنى عنه في التعليم قلنا ولماذا يحتاج في كل بلد الى قاض وهل يدل  
الاحتياج إليه

على أنه لا بد أن يكون معصوما فيقولون انما نحتاج اليه لدفع الخصومات وجمع شتات الأمور وجزم القول في  
الجهادات وإقامة حدود الله تعالى واستيفاء حقوقه وصرافها الى مستحقيها إذ لا سبيل الى تعطيلها ولا سبيل إلى  
تفويضها الى كافة الخلق فيترجمون عليها متقاتلين ويتكاسلون عنها متواكلين ومتخاذلين فتعطل الأمور فجملة الدنيا  
في حق الإمام كبلدة واحدة في حق القاضي فكما يستغنى عن عصمة القاضي في البلد ويحتاج الى قضائه فكذلك  
يستغنى عن عصمة الامام ويحتاج إليه كما يحتاج الى القضاة ولأمور أخر كلية سياسية من حراسة الإسلام والذب  
عن بيضته والنضال دون حوزته وحشد العساكر والجنود الى اهل الطغيان والعناد وتطهير وجه الأرض عن الطغاة  
والبغاة والساعين في الأرض بالفساد وملاحظة أطراف البلاد بالعين الكالئة حتى إذا ثارت فتنة بادر إلى الأمر  
بتطفتها وإذا نبغت نابغة تقدم على الفور بإزالتها قبل أن تسحكم غائلتها وتستطير في الأرض نائرة هذا وما يجري  
مجراه هو الذي يراد لاجله الإمام وذلك يحتاج الى عدالة وعلم ونجدة وكفاية وصرامة وشرائط آخر سنذكرها في

#### الباب التاسع

فأما العصمة فيستغنى عنها كما في حق القضاة والولاة فإن منعوا وإدعوا العصمة للقضاة والولاة وكل مترشح لإمر  
من الأمور من جهة الإمام وهذا ما اعتقده الإمامية حتى اورد عليهم الحارس والمتعسس والبواب ويرتبط بكل واحد  
منهم امر فأجابوا بأن هذه الأمور إنا كانت امورا دينية شرطت العصمة في المتكفلين بها والمنتصب لها بنصب الامام  
لا يكون إلا معصوما ونعوذ بالله من اعتقاد منذهب يضطر ناصره والذاب عنه إلى ان يجاهد ما يشاهده ويدركه على  
البيهة والضرورة فالظلم على طبقات الناس مشاهد من أحوال المتصين من جهة إمامهم ولا ينفك أروع متدين  
منهم عن استحلال الأموال المغصوبة باسم الخراج والضريبة من اموال المسلمين العلم بتحريمه ومهما انتهى كلام  
الخصم الى مجاهدة الضرورة فلا وجه الا الكف عنه والاقتصار على تعزيبه فيما اصيب به من عقله

#### الباب الثامن

في الكشف عن فتوى الشرع في حقهم من التفكير وسفك الدم

ومضمون هذا الباب فتاوى فقهية ونحصر مقصوده في فصول أربعة الفصل الأول في تكفيرهم أو تضليلهم أو تخطئتهم ومهما سئلنا عن واحد منهم أو عن جماعتهم وقيل لنا هل تحكمون بكفرهم لم نتسارع إلى التكفير إلا بعد السؤال عن معتقدتهم ومقاتلتهم ونراجع المحكوم عليه أو نكشف عن معتقدتهم بقول عدول يجوز الاعتماد على شهادتهم فإذا عرفنا حقيقة الحال حكمنا بموجبه

ولمقاتلتهم مرتين إحداهما توجب التخطنة والتضليل والتبديع والأخرى توجب التكفير والتبري فالمرتبة الأولى وهي التي توجب التخطنة والتضليل والتبديع هي أن تصادف عاميا يعتقد أن استحقاق الإمامة في أصل البيت وأن المستحق اليوم المصدي لها منهم وأن المستحق لها في العصر الأول كأن هو على رضى الله عنه فدفع عنها بغير استحقاق وزعم مع ذلك أن الإمام معصوم عن الخطأ والزلل فإنه لا بد أن يكون معصوما ومع ذلك فلا يستحل سفك دمائنا

ولا يعتقد كفرنا ولكنه يعتقد فينا أنا أهل البغى زلت بصائرنا عن درك الحق خطأ إذ عدلنا عن اتباعه عنادا ونكدا فهذا الشخص لا يستباح سفك دمه ولا يحكم بكفره هذه الاقاويل بل يحكم بكونه ضالا مبتدعا فيزجر عن ضلاله وبدعته بما يقتضيه رأي الإمام فأما أن يحكم بكفره ويستباح دمه بهذه المقالات فلا وهذا انما يقتصر على تضليله وتبديعه إذ لم يعتقد شيئا مما حكينا من مذاهبهم في الاهليات وفي امور الحشر والنشر ولكنه لم يعتقد في جميع ذلك إلا ما نعتقده وانما تميز عنا بالقدر الذي حكيناه الآن فإن قيل هلا كفرتموهم بقولهم أن مستحق الإمامة في الصدر الاول كان عليا دون أبي بكر وعمر ومن بعده وأنه دفع بالباطل وفي ذلك خرق الإجماع أهل الدين قلنا لا ننكر ما فيه من القحوم على خرق الإجماع ولذلك ترقينا من التخطنة المجردة التي نطلقها ونقتصر عليها في الفروع في بعض المسائل إلى التضليل والفسيق والتبديع ولكن لا تنتهي إلى

التكفير فلم بين لنا أن خارق الإجماع كافر بل الخلاف قائم بين المسلمين في أن الحجة هل تقوم بمجرد الإجماع وقد ذهب النظام وطائفته إلى إنكار الإجماع وأنه لا تقوم به حجة أصلا فمن التيس عليه هذا الأمر لم نكفره بسببه واقتصرنا على تخطئته وتضليله فإن قيل وهلا كفرتموهم لقولهم أن الإمام معصوم والعصمة عن الخطأ والزلل وصغير المآثم وكبيرها من خاصية النبوة فكأنهم أثبوا خاصية النبوة لغير النبي صلى الله عليه وسلم قلنا هذا لا يوجب الكفر وإنما الموجب له أن يثبت النبوة لغيره بعده وقد ثبت أنه خاتم النبيين أو يثبت لغيره منصب النسخ لشريعته فأما العصمة فليست خاصية النبوة ولا إثباتا كإثبات النبوة فلقد قالت طوائف من أصحابنا العصمة لا تثبت للنبي من الصغائر واستدلوا عليه بقوله تعالى ٨٨ وعصى آدم ربه فغوى ٨٨ وبجملة من حكايات الأنبياء فمن يعتقد في فاسق أنه مطيع ومعصوم عن الفسق لا يزيد على من يعتقد في مطيع أنه فاسق ومنهمك في الفساد ولو اعتقد إنسان في عدل أنه فاسق لم يزد على تخطئة من اعتقد في غير معصوم أنه معصوم كيف يحكم بكفره نعم يحكم بحماقته واعتقاده أمرا يكاد يخالف المشاهد من الأحوال وأمرا لا يدل عليه نظر العقل ولا ضرورته

فإن قيل فلو اعتقد معتقد فسق أبي بكر وعمر رضى الله عنهما وطائفة من الصحابة فلم يعتقد كفرهم فهل تحكمون بكفره قلنا لا نحكم بكفره وإنما نحكم بفسقه وضلاله ومخالفته لإجماع الأمة وكيف نحكم بكفره ونحن نعلم أن الله تعالى لم يوجب على من قذف محصنا بالزنا إلا ثمانين جلدة ونعلم أن هذا الحكم يشتمل كافة الخلق ويعمهم على وتيرة واحدة وأنه لو قذف قاذف أبا بكر وعمر رضى الله عنهما بالزنا لما زاده على إقامة حد الله المنصوص عليه في كتابه ولم يدعوا لأنفسهم التمييز بخاصية في الخروج عن مقتضى العموم فإن قيل فلو صرح مصرح بكفر أبي بكر

وعمر رضي الله عنهما ينبغي أن ينزل منزلة من لو كفر شخصا آخر من آحاد المسلمين أو القضاة والأئمة من بعلمهم قلنا هكذا نقول فلا يفارق تكفيرهم تكفير غيرهم من آحاد الأمة والقضاة بل أفراد المسلمين المعروفين بالإسلام إلا في شئين أحدهما في مخالفة الإجماع وخرقه فأن مكفر غيرهم ربما لا يكون خارقا لإجماع معتد به الثاني أنه ورد في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقديمهم على سائر الخلق أخبار كثيرة فقائل ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر لا بتكفيره إياهم ولكن بتكذيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كذبه بكلمة من أقاويله فهو كافر بالإجماع ومهما قطع النظر عن التكذيب في هذه الأخبار وعن خرق

الإجماع نزل تكفيرهم منزله سائر القضاة والأئمة وآحاد المسلمين فأن قيل فما قولكم فيمن يكفر مسلما أهو كافر أم لا قلنا إن كان يعرف أن معتقده التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سائر المعتقدات الصحيحة فمهما كفره بهذه المعتقدات فهو كافر لأنه رأى الدين الحق كفرا وباطلا فأما إذا ظن أنه يعتقد تكذيب الرسول أو نفى الصانع أو تشبته أو شيئا مما يوجب التفكير فكفره بناء على هذا الظن فهو مخطئ في ظنه المخصوص بالشخص صادق في تكفير من يعتقد ما يظن أنه معتقد هذا الشخص وظن الكفر بمسلم ليس بكفر كما أنظن الإسلام بكافر ليس بكفر فمثل هذه الظنون قد تخطئ وتصيب وهو جهل بحال شخص من الأشخاص وليس من شرط دين الرجل أن يعرف إسلام كل مسلم وكفر كل كافر بل ما من شخص يفرض الا ولو جهله لم يضره في دينه بل إذا آمن شخص بالله ورسوله وواظب على العبادات ولم يسمع باسم أبي بكر وعمر ومات قبل السماح مات مسلما فليس الإيمان بهما من أركان الدين حتى يكون الغلط في صفاقهما موجبا للانسلاخ من الدين وعند هذا ينبغي أن يقبض عنان الكلام فإن الغوص في هذه المغاصة

يفضى إلى إشكالات وإثارة تعصبات وربما لا تدعن جميع الأذهان لقبول الحق المؤيد بالبرهان لشدة ما يرسخ فيها من المعتقدات المألوفة التي وقع النشوء عليها والتحق بحكم استمرار الاعتياد بالأخلاق الغريزية التي يعذر إزالتها وبالجملة لقول فيما يوجب الكفر والتبري وما لا يوجب لا يمكن استيفاؤه في أقل من مجلدة وذلك عند إثارة

الاختصار فيه فلنقتصر في هذا الكتاب على الغرض المهم المرتبة الثانية المقالات الموجبة للتكفير وهي أن يعتقد ما ذكرناه ويزيد عليه فيعتقد كفرنا واستباحة أموالنا وسفك دمائنا فهذا يوجب التكفير لا محالة لأنهم عرفوا أننا نعقد أن للعالم صانعا واحدا قادرا عالما مريدا متكلمنا سميعا بصيرا حيا ليس كمثلته شيء وأن رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم صادق في كل ما جاء به من الحشر والنشر والقيامة والجنة والنار وهذه الاعتقادات هي التي تدور عليها صحة الدين فمن رآها كفرا فهو كافر لا محالة فإن أنصاف إلى هذا شيء مما حكى من معتقداتهم من إثبات إلهين وإنكار الحشر والنشر وجود الجنة والنار والقيامة فكل واحد من هذه المعتقدات موجب للتكفير صدر منهم أو من غيرهم فأن قيل لو اعتقد معتقد وحدانية الإله ونفى الشرك ولكنه تصرف في أحوال النشر والحشر

والجنة والنار بطريق التأويل للتفصيل دون إنكار الأصل بل اعترف بأن الطاعة وموافقة الشرع وكف النفس عن الحرامات والهوى سبب يفضي إلى السعادة وأنا لاسترسال على الهوى ومخالفة الشرع فيما أمر ونهى يسوق صاحبه إلى الشقاوة ولكنه زعم أنا لسعادة عبارة عن لذة روحانية تزيد لذتها على اللذة الجسمانية الحاصلة من المطعم والمنكح اللذين تشترك فيهما البهائم وتعالى عنهما رتبة الملكية وإنما تلك السعادة اتصال بالجواهر العقلية الملكية وابتهاج بنيل ذلك الكمال والذات الجسمانية منحرفة بالإضافة إليها وأنا لشقاوة عبارة عن كون الشخص محجوبا

عن ذلك الكمال العظيم محله الرفيع شأنه مع التشوق إليه والشغف به وأن ألم ذلك يستحق معه ألم النار الجسمانية وأن ما ورد في القرآن مثله ضرب لعوام الخلق لما قصر فهمهم عن درك تلك اللذات فانه لو تعدى النبي في ترغيبه وترهيبه إلى ما ألفوه وتشوقوا إليه وفزعوا منه لم تبعث دواعيهم للطلب والهرب فذكر من اللذات أشرفها عندهم وهي المدركات بالحواس من الحور والقصور إذ تحظى بها حاسة البصر ومن المطاعم والمناكح إذ حظى بها القوة الشهوانية وما عند الله لعباده الصالحين خير من جميع ما اعربت عنه العبارات ونهت عليه ولذلك قال تعالى فيما حكى عنه النبي صلى الله عليه وسلم أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكل ما يدرك من الجسمانيات فقد خطر على قلب بشر أو يمكن إخطاره بالقلب وزعم هذا القائل أن المصلحة الداعية إلى التمثيل للذات والآلام بالمالوف منها عند العوام كالمصلحة في الألقاظ الدالة على التشبيه في صفات الله تعالى وأنه لو كشف لهم الغطاء ووصف لهم جلال الله الذي لا تحيط به الصفات والاسماء وقيل لهم صانع العالم موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه ولا هو داخل فيه ولا خارج عنه وأن الجهات محصورة في ست وأنسائر الجهات فارغة منه وليس شاغلا لواحد منها فلا داخل العالم به مشغول ولا خارج العالم عنه مشغول لبادر الخلق إلى انكار وجود فإن عقولهم لا تقوى على التصديق بوجود موجود ترده الاوهام والحواس فذكر لهم ما يشير إلى ضروب التمثيل ليرسخ في نفوسهم التصديق باصل الوجود فيسارعون إلى امتثال الاوامر تعظيما له إلى الانزجار عن المعاصي مهابة منه فيمن هذا منهاجه قلنا اما القول بالهين فكفر صريح لا يتوقف فيه واما هذا فرجما يتوقف فيه الناظر ويقول إذا اعترفوا باصل السعادة والشقاوة وكون الطاعة والمعصية سيلا اليهما فالنزاع في التفصيل كالنزاع في مقادير الثواب والعقاب وذلك لا يوجب تكفيرا فكذلك النزاع في التفصيل والذي نختاره ونقطع به انه لا يجوز التوقف في تكفير من يعتقد شيئا من ذلك لانه تكذيب صريح لصاحب الشرع وجميع كلمات القرآن من اولها إلى اخرها فوصف الجنة والنار لم يتفق ذكره مرة واحدة او مرتين ولا جرى بطريق كناية او توسع وتجاوز بل بالفاظ صريحة لا يتماهى فيها ولا يستتراب وأن صاحب الشرع اراد بها المفهوم من ظاهرها فالمصير إلى ما أشار اليه هذا القائل تكذيب وليس بتاويل فهو كفر صريح لا يتوقف فيه اصلا ولذلك نعلم على القطع انه لو صرح مصرح بانكار الجنة والنار والحور والقصور فيما بين الصحابة لبادروا إلى قتله واعتقدوا ذلك منه تكديبا لله ولرسوله فإن قيل لعلمهم كانوا يفعلون ذلك ويبالغون فيه حسما لباب التصريح به اذ مصلحة العامة تقتضي أن لا يجرى الخطاب معهم الا بما يليق بافهامهم ويؤثر في نفوسهم واثارة دواعيهم و إذا رفعت عن نفوسهم هذه الظواهر وقصرت عقولهم عن درك اللذات العقلية انكروا الاصل وجحدوا الثواب والعقاب وسقط عنهم تمييز الطاعة عن العصيان والكفر عن الايمان قلنا فقد اعترفت باجماع الصحابة على تكفير هذا الرجل وقتله لانه مصرح به ونحن لم نزرده على أن المصرح به كافر نجب قتله وقد وقع الاتفاق عليه وبقي قولكم أن سب تكفيرهم مراعاة مصلحة العوام وهذا وهم وظن محض لا يعنى عن الحق شيئا بل نعلم قطعاً أنهم كانوا يعتقدون ذلك تكديبا لله تعالى ولرسوله وردا لما ورد به الشرع ولم يدفعه العقل فان قيل فهلا سلكتم هذا المسلك في التمثيلات الواردة في صفات الله تعالى من اية الاستواء وحديث النزول ولفظ القدم ووضع الجبار قدمه في النار ولفظ الصورة في قوله عليه السلام أن الله خلق ادم عليه السلام على صورته إلى غير ذلك من اخبار لعلها تزيد على الف وانتم تعلمون أن السلف الصالحين ما كانوا يؤولون هذه الظواهر بل كانوا يجرونها على الظاهر ثم انكم لم تكفروا منكر الظواهر ومؤولها بل اعتقدتم التأويل وصرحتم به قلنا كيف تستتب هذه الموازنة والقرآن مصرح بانه ليس كمثل شئ والاختبار الدالة عليه اكثر من أن تخصصى ونحن نعلم انه لو

صرح مصرح فيما بين الصحابة بأن الله تعالى لا يحويه مكان ولا يحده زمان ولا يماس جسما ولا ينفصل عنه بمسافة مقدره وغير مقدره ولا يعرض له انتقال وجبته وذهاب وحضور وأقول وأنه يستحيل أن يكون من الأقلين والمنتقلين و المتمكنين ألى غير ذلك من نفي صفات التشبيه لرأوا ذلك عين التوحيد و التنزيل ولوأنكر الحور والقصور والأثمار والأشجار والزبانية والنار لعد ذلك من أنواع الكذب والإنكار ولا مساواة بين الدرجتين وقد نبهنا على الفرق في باب الرد عليهم في منذهبهم بوجهين آخرين أحدهما أن الألفاظ الواردة في الحشر والنشر والجنة والنار صريحة لا تأويل لها ولا معدل عنها إلا بتعطيلها وتكذيبها والألفاظ الواردة في مثل الاستواء والصورة وغيرهما كتابات وتوسعات على اللسان تحتل التأويل في وصفه والآخر ان البراهين العقلية يدفع اعتقاد التشبيه والنزول والحركة والتمكن من المكان وتدلل على استحالتها دلالة لا يتمارى فيها ودليل العقل لا يجيل وقوع ما وعد به من الجنة والنار في الآخرة بل القدره الأزلية محيطه بما مسؤليه عليها وهي أمور ممكنه في نفسها ولا تنقاصر القدرة الأزلية عما له نعت الإمكان في ذاته فكيف يشبه هذا بما ورد من صفات الله تعالى ومساق هذا الكلام يتقاضى بث جملة من أسرار الدين أن شرعنا في استقصائها ورغبنا في كشف غطائها وإذ ورد ذلك معترضا في سياق الكلام غير مقصود في نفسه فلنقتصر على هذا القدر الذي انطوى في هذا الفصل ولنشغل بما هو الأهم من مقاصد هذا الكتاب وقد بينا في هذا الفصل من يكفر منهم ومن لا يكفر ومن يضل ومن لا يضل

### الفصل الثاني في أحكام من قضى بكفره منهم

والقول الوجيز فيه أنه يسلك مسلك المرتدين في النظر في الدم والمال و النكاح والذبيحة ونفوذ الأفضية وقضاء العبادات أما الأرواح فلا يسلك بهم مسلك الكافر الأصلي إذ يتخير الإمام في الكافر الأصلي بين أربع خصال بين المن والغداء والاسترقاق والقتل ولا يتخير في حق المرتد بل لا سبيل إلى استرقاقهم ولا إلى قبول الجزية منهم ولا إلى المن والغداء وإنما الواجب قتلهم وتطهير وجه الأرض منهم هذا حكم الذين يحكم بكفرهم من الباطنية وليس يختص جواز قتلهم ولا وجوبه بحالة قتالهم بل نغتلهم ونسفك دماغهم فإنهم مهما اشتغلوا بالقتال جاز قتلهم وأن كانوا من الفرقة الأولى التي لم يحكم فيهم بالكفر وهو أنهم عند القتال يلتحقون بأهل البغي والباغي يقتل ما دام مقبلا على القتال وأن كان مسلما إلا أنه إذا أدبر وولى لم يتبع مدبرهم ولم يوقف على جريهم أما من حكمنا بكفرهم فلا يتوقف في قتلهم إلى تظاهرهم بالقتال وتظاهرهم على النضال فان قيل هل يقتل صبياتهم ونسأؤهم قلنا أما الصبيان فلا فإنه لا يؤخذ الصبي وسأيت حكمهم وأما النسوان فإننا نقتلهم مهما صرحن بالاعتقاد الذي هو كفر على مقتضى ما قررناه فإن المرتدة مقتولة عندنا بعموم قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه نعم للإمام أن يتبع فيه موجب اجتهاده فإن رأى أن يسلك فيهم مسلك أبي حنيفة ويكف عن قتل النساء فالمسألة في محل الاجتهاد ومهما بلغ صبياتهم عرضنا الإسلام عليهم فأن قبلوا قبل إسلامهم وردت السيوف عن رقابهم إلى قربها وأن أصروا على كفرهم متبعين فيه آباءهم مددنا سيوف الحق إلى رقابهم وسلطنا بهم مسلك المرتدين وأما الأموال فحكمها حكم أموال المرتدين فما وقع الظفر به من غير إيجاب الخيل والركاب فهو فيء كمال المرتد فيصرفه إمام الحق على مصارف القبيء على التفصيل الذي اشتمل عليه قوله تعالى ٨٨ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ٨٨ الآية وما استولينا عليه بإيجاب خيل وركاب فلا يبعد أن يسلك به مسلك الغنائم حتى يصرف إلى مصارفها كما اشتمل عليه قوله تعالى ٨٨ واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة ٨٨ الآية وهذا أحد مسالك الفقهاء في المرتدين وهو أولى

ما يقضى به في حق هؤلاء أن كانت الأقاويل مضطربة فيه  
وَمَا يَتَعَلَقُ بِالْمَالِ أَهْمٌ إِذَا مَاتُوا لَا يَتَوَارَثُونَ فَلَا يَرِثُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَلَا يَرِثُونَ مِنَ الْخَقِينِ وَلَا يَرِثُ الْخَقُّ مَا لَهُمْ إِذَا  
كَانَ بَيْنَهُمْ قَرَابَةٌ بَلْ وَلايَةُ الْوَرَاثَةِ مَنْقُطَةٌ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ  
وَأَمَّا أَبْضَاعُ نِسَائِهِمْ فَإِذَا مُحْرَمَةٌ فَكَمَا لَا يَحِلُّ نِكَاحُ مُرْتَدَةٍ لَا يَحِلُّ نِكَاحُ بَاطِنِيَّةٍ مُعْتَقِدَةٍ لَمَّا حَكَمْنَا بِالتَّكْفِيرِ بِسَبَبِهِ مِنَ  
الْمَقَالَاتِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي فَصَلْنَاهَا وَلَوْ كَانَتْ مُتَدِينَةً ثُمَّ تَلَقَّفَتْ مَذْهَبَهُمْ ائْتَسَخَ النِّكَاحُ فِي الْحَالِ أَنْ كَانَ قَبْلَ الْمَسِيحِ  
وَيُوقَفُ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ بَعْدَ الْمَسِيحِ فَانْ عَادَتْ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَانْسَلَخَتْ عَنِ الْمُعْتَقِدِ الْبَاطِلِ قَبْلَ تَصَرُّمِ الْعِدَّةِ  
بِقِضَاءِ مَدَّتْهَا اسْتَمَرَ النِّكَاحُ عَلَى وَجْهِهِ وَأَنْ اَصْرَتْ وَاسْتَمَرَّتْ حَتَّى  
اِقْتَضَتْ الْمُدَّةَ وَتَصَرَّمَتْ الْعِدَّةُ تَبَيَّنَ ائْتَسَاخُ النِّكَاحِ مِنْ وَقْتِ الرُّدَّةِ وَمَهْمَا تَزَوَّجَ الْبَاطِنِيُّ ائْتَحْكُمُ بِكُفْرِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ أَوْ مِنْ أَهْلِ دِينِهِ فَالنِّكَاحُ بَاطِلٌ غَيْرُ مُنْعَقَدٍ بَلْ تَصَرَّفَهُ فِي مَالِهِ بِالْبَيْعِ وَسَائِرِ الْعُقُودِ مُرْدُودٌ فَإِنَّ الَّذِي ائْتَخْتَرَنَاهُ  
فِي الْقِتْوَى ائْتَحْكُمُ بِزَوَالِ مَلِكِ الْمُرْتَدِينَ بِالرُّدَّةِ  
وَيَتَّصِلُ بِتَحْرِيمِ الْمُنَاكِحَةِ تَحْرِيمِ الذَّبَائِحِ فَلَا تَحِلُّ ذَبِيحَةٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ كَمَا لَا تَحِلُّ ذَبِيحَةٌ لِجُوسِي وَالزَّنْدِيقِ فَانْ الذَّبِيحَةُ  
وَالْمُنَاكِحَةُ تَحْتَاضِيَانِ فَهَمَا مُحْرَمَتَانِ فِي حَقِّ سَائِرِ اصْنَافِ الْكُفَّارِ ائْتَالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِأَنَّ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ فِي حَقِّهِمْ لِأَنَّهُمْ  
أَهْلُ كِتَابٍ ائْتَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّ صَادِقٍ ظَاهِرِ الصِّدْقِ مُشْهُورِ الْكِتَابِ وَأَمَّا ائْتَقْضِيَةُ حُكْمِهِمْ فَبَاطِلَةٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ  
وَشَهَادَتُهُمْ مُرْدُودَةٌ فَإِنَّ هَذِهِ أُمُورٌ يَشْتَرُطُ الْإِسْلَامُ فِي جَمِيعِهَا فَمَنْ حَكَمَ بِكُفْرِهِ مِنْ جَمَلَتِهِمْ لَمْ تَصَحَّ مِنْهُ هَذِهِ الْأُمُورُ بَلْ  
لَا تَصَحُّ عِبَادَتُهُمْ وَلَا يَنْعَقَدُ صِيَامُهُمْ وَصَلَاتُهُمْ وَلَا يَتَأَدَّى حُجَّتَهُمْ وَزَكَاتَهُمْ وَمَهْمَا تَابُوا وَتَبَرَّعُوا عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَحَكَمْنَا  
بِصِحَّةِ تَوْبَتِهِمْ وَجَبَ عَلَيْهِمْ قِضَاءُ جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ الَّتِي فَاتَتْ وَالتِّي ائْتَدَيْتْ فِي حَالَةِ الْكُفْرِ كَمَا يَجِبُ ذَلِكَ عَلَى الْمُرْتَدِ  
فَهَذَا هُوَ الْقَدَرُ الَّذِي ائْتَرَدْنَا أَنْ نُنَبِّهَ عَلَيْهِ مِنْ جَمَلَةٍ ائْتَحْكُمِهِمْ فَإِنَّ قِيلَ  
وَلَمَّاذَا حَكَمْتُمْ بِالْحَاقِقِ بِالْمُرْتَدِينَ وَالْمُرْتَدِ مِنَ التَّزَمِ بِالدِّينِ الْحَقِّ وَتَطَوَّقَهُ ثُمَّ نَزَعَ عَنْهُ مَرْتَدًا وَمُنْكَرًا لَهُ وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَلْزَمُوا  
الْحَقَّ قَطُّ بَلْ وَقَعَ نَشْوَاهُمْ عَلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ فَهَلَا ائْتَحْتَمَوْهُمْ بِالْكَافِرِ الْاَصْلِيِّ قَلْنَا مَا ذَكَرْنَاهُ وَاضِحٌ فِي الَّذِينَ ائْتَحْتَلُّوا  
أَدْيَانَهُمْ وَتَحَوَّلُوا إِلَيْهَا مُعْتَقِدِينَ لَهَا بَعْدَ ائْتَقْتَادِ نَقِيضِهَا أَوْ بَعْدَ ائْتَنْفِكَاكَ عَنْهَا وَأَمَّا الَّذِينَ نَشَّوْا عَلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ سَمَاعًا  
مِنْ آبَائِهِمْ فَهَمُّ أَوْلَادِ الْمُرْتَدِينَ لِأَنَّ آبَاءَهُمْ وَأَبَاءَ آبَائِهِمْ لَا يَدُّ أَنْ يَفْرُضَ فِي حَقِّهِمْ تَحَلُّلَ هَذَا الدِّينِ بَعْدَ ائْتَنْفِكَاكَ عَنْهُ  
فَإِنَّهُ لَيْسَ مُعْتَقَدًا يَسْتَنْدُ إِلَى نَبِيِّ وَكِتَابٍ مَنَزَّلٍ كَاعْتِقَادِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بَلْ هِيَ الْبِدْعُ ائْتَحْدَثَتْ مِنْ جِهَةِ طَوَائِفٍ مِنَ  
الْمُلْحَدَةِ وَالرُّنَادِقَةِ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْقَرِيبَةِ الْمَتْرَاخِيَةِ وَحَكْمُ الزَّنْدِيقِ أَيْضًا حَكْمُ الْمُرْتَدِ لَا يَفَارِقُهُ فِي شَيْءٍ أَصْلًا وَانْمَا  
يَبْقَى النَّظَرُ فِي أَوْلَادِ الْمُرْتَدِينَ وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ إِنَّهُمْ أَتْبَاعُ فِي الرُّدَّةِ كَأَوْلَادِ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ وَأَهْلِ الذَّمَّةِ وَعَلَى  
هَذَا فَإِنَّ بَلْغَ طَوْلَبِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا قَتْلَ وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ بِالْجَزِيَّةِ وَلَا الرِّقَّ وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَالْكَفَّارِ الْأَصْلِيِّينَ إِذْ وَلِدُوا عَلَى  
الْكَفْرِ فَإِذَا بَلَّغُوا وَآثَرُوا ائْتَسْتَمَرَّارَ عَلَى كُفْرِ آبَائِهِمْ جَازَ تَقْرِيرُهُمْ بِالْجَزِيَّةِ وَضَرْبِ الرِّقِّ عَلَيْهِمْ وَقِيلَ إِنَّهُ يَحْكُمُ  
بِاسْلَامِهِمْ لِأَنَّ الْمُرْتَدَ مُؤَاخِذَ بَعْلَانِقِ الْإِسْلَامِ فَإِذَا بَلَّغَ سَاكِنًا فَحَكْمُ الْإِسْلَامِ يَسْتَمَرُّ إِلَى أَنْ يَعْضُ عَلَيْهِ الْإِسْلَامُ فَإِنَّ  
نَطَقَ بِهِ فَذَلِكَ وَأَنْ أَظْهَرَ كُفْرَ أَبِيهِ عِنْدَ ذَلِكَ حَكَمْنَا بِرُدَّتِهِ فِي الْحَالِ وَهَذَا هُوَ الْمَخْتَارُ عِنْدَنَا فِي صَبِيانِ الْبَاطِنِيَّةِ فَإِنَّ  
عَلَقَةَ مِنْ عِلَاقَةِ الْإِسْلَامِ كَافِيَةً لِلْحَكْمِ بِاسْلَامِ الصَّبِيانِ وَعَلَقَةُ الْإِسْلَامِ بَاقِيَةٌ عَلَى كُلِّ مُرْتَدٍ فَإِنَّهُ مُؤَاخِذٌ بِأَحْكَامِ  
الْإِسْلَامِ فِي حَالِ رُدَّتِهِ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ وَيَنْصَرَانِهِ  
وَيَمَجْسَانِهِ  
فِيحْكُمُ بِاسْلَامِ هَؤُلَاءِ ثُمَّ إِذَا بَلَّغُوا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ وَجْهِهِ الْحَقِّ وَنَهَوَا عَنْ فِضَائِحِ مَذْهَبِ الْبَاطِنِيَّةِ وَذَلِكَ بِكَشْفِ



للمصغى إليه في أوحى ما يقدر وأسرع ما ينتظر فأنا بى إلا دين آباته فعند ذلك يحكم برده من وقته ويسلك به مسلك المرتدين

### الفصل الثالث في قبول توبتهم وردها

وقد ألقنا هؤلاء بالمرتدين في سائر الأحكام وقبول التوبة من المرتد لا بد منه بل الأول ألا يبادر إلى قتله إلا بعد استتابته وعرض الإسلام عليه وترغيبه فيه وأما توبة الباطنية وكل زنديق مستتر بالكفر يرى النقية دينا ويعتقد النفاق و اظهار خلاف المعتقد عند استشعار الخوف حقا ففي هذا خلاف بين العلماء ذهب ذاهبون إلى قبولها لقوله صلى الله عليه وسلم امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها ولأن الشرع إنما بنى الدين على الظاهر فحن لا نحكم إلا بالظاهر والله يتولى السرائر والدليل عليه أن المكروه إذا اسلم تحت ظلال السيوف وهو خائف على روجه نعلم بقريته حاله انه مضمهر غير ما يظهره فتحكم بإسلامه ولا نلتفت إلى المعلوم بالقرائن من سريرته ويدل عليه أيضا ما روى أن أسامة قتل كافرا فسل عليه السيف بعد أنتلفظ بكلمة الإسلام فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسامة

إنما فعل ذلك فرقا من السيف فقال صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه منيها به على أن البواطن لا تطلع عليها الخلائق وإنما مناط التكليف الأمور الظاهرة ويدل عليه أيضا أن هذا صنف من اصناف الكفار وسائر اصناف الكفار لا يسد عليهم طريق التوبة والرجوع إلى الحق فكذلك هاهنا

وذهب ذاهبون إلى انه لا تقبل توبته وزعموا أن هذا الباب لو فتح لم يمكن حسم ما دقتم وقمع غائلتهم فإن من سر عقيدتهم التدين بالنقية والاستسار بالكفر عند استشعار الخوف فلو سلطنا هذا المسلك لم يعجزوا عن النطق بكلمة الحق و اظهار التوبة عند الظفر بهم فيلهجون بذلك مظهرين ويستهنئون بأهل الحق مضمهرين وأما الخبر فانما ورد في اصناف من الكفار دينهم انه لا يجوز التصريح بما يخالفه وأن من التزام الإسلام ظاهرا صار تاركا للتهود والتصر هذا معتقدهم ولذلك تراهم يقطعون اربا اربا بالسيوف وهم مصرون على كفرهم ولا يسمحون في موافقة المسلمين بكلمة فاما من كان دينه أن النطق بكلمة الإسلام غير ترك لدينه بل دينه أن ذلك عين دينه فكيف نعتقد بتوبته مما هو عين دينه والتصريح به وفاء لشروط دينه كيف يكون تاركا للدين

هذا ما ذكر من الخلاف في قبول توبتهم وقد استقصينا ذلك في كتاب شفاء العليل في اصول الفقه ونحن الآن نقتصر على ذكر ما تختاره في هذه الفرقة التي فيهم الكلام فنقول للنائب من هذه الضلالة أحوال الحالة الاولى أن يتسارع إلى اظهار التوبة واحد منهم من غير قتال ولا ارهاق واضطرار ولكن على سبيل الايتار

والاختيار متبرعا به ابتداء من غير خوف واستشعار هذا ينبغي أن يقطع بقبول توبته فإننا أن نظرنا إلى ظاهر كلمته صدقناها موافقة لعين الإسلام وأن نظرنا إلى سريرته كان الغالب أنما على مطابقة اللسان وموافقته فإننا لم نعرف الآن له باعنا على النقية وإنما المباح عندهم إظهار نقيض المعتقد تقية عند تحقيق الخوف فأما في حالة الاختيار فهو من أفحش الكبائر ويعضد ذلك بأمر كلي وهو أنه لا سبيل إلى حسم باب الرشد عليهم فكم من عامي يتخذ بتخييل باطل ويغتر برأي قائل ثم يتنبه من نفسه أو ينبهه منبه لما هو الحق فيؤثر الرجوع اليه والشروع فيه بعد النزوع عنه فلا سبيل إلى حسم مسلك الرشاد على ذوي الضلال والعناد

الحالة الثانية الذي يسلم تحت ظلال السيوف ولكنه من جملة عوامهم وجهالهم لا من جملة دعائمهم وضالهم فهذا أيضا تقبل توبته فمن لم يكن مترشحا للدعوة فضرر كفره مقصور عليه في نفسه ومهما أظهر الدين احتمال كونه

صادقا في إسراره وإظهاره ولعامي الجاهل يظن أن التلبيس بالأديان والعقائد مثل المواصلات والمعاهدات الاختيارية فيصلها مدة بحكم المصلحة ويقطعها أخرى وباطنه يوافق الظاهر فيما يتعاطاه من التزام وإعراض ولذلك ترى من يسبي من العبيد والإماء من بلاد الكفر إلى دار الإسلام يدينون بدينهم معتقدين وشاكرين لله على ما أتاح لهم من الرشد ورحض عنهم من وضر الكفر والغي ولو سئلوا عن السبب في تبديل الدين وإيثار الحق المبين على الباطل لم يعرفوا له سببا إلا موافقة السادة على وفق مصلحة الحال ثم ذلك يؤثر في باطن عقائدهم كما نرى ونشاهد فإذا عرف أن العمي سريع التقلب فنصدقه في انقلابه إلى الحق كما نصدقه في إضرابه عنه إذا ظهر من معتقده خلاف الحق فإننا بين أن نغضى عن كافر مستسر ولا نقتله بل نتعمى عنه

أو نهجم على قتل مسلم ظاهرا أو باطنا أن كان مضمرا لما يظهر وليس في التغاضي عن كفر كافر ليست له دعوه تنتشر وليس فيه شر يعدى كبير محذور فكم منا على الكفار وأغضينا عنهم ببدل الدينار فليس ذلك ممنوعا أما اقتحام الخطر في قتل من هو مسلم ظاهرا ويحتمل ان يكون مسلما باطنا احتمالا قويا فمحذور الحاله الثالثه أن نظن بواحد من دعائهم ممن يعرف منه أنه يعتقد بطلان مذهبه ولكنه يتحله غير معتقد له ليتوصل إلى استمالة الخلق وصرف وجوههم إلى نفسه طلبا للرياسة وطمعا في حطام الدنيا هذا هو الذي يتقي شره والأمر فيه منوط برأي الإمام ليلاحظ قرائن أحواله وينفرس من ظاهره في باطنه ويستبين أن ما ذكره يكون إذعانا للحق واعترافا به بعد التحقق والكشف أو هو نفاق وتقية وفي قرائن الأحوال ما يدل عليه والأولى ألا يوجب على الإمام قتله لا محالة ولا أن يحرم قتله بل يفوض إلى اجتهاده فأن غلب على ظنه أنه سالك منهج التقية فيما أداه قتله وأن غلب على ظنه أنه تبه للحق وظهر له فساد الأقاويل المزخرفة التي كان يدعو إليها قبل توبته وأغضى عنه في الحال وأن بقيت به ريبة وكل به من يراقب أحواله ويتفقد في بواطن أمره ويحكم فيه بموجب ما يتضح له منه فهذا هو المسلك القصد القريب من الإنصاف والبعيد من التعصب والاعتساف

الفصل الرابع في حيلة الخروج عن إيمانهم وعهودهم إذا عقدوها على المستجيب فإن قال لنا قائل ما قولكم في عهودهم وموائيقهم وأيمانهم المعقودة على المستجيبين هل تنعقد وهل يجوز الحنث فيها أم يجب الحنث أو يجرم وأن حنث الخائف يلزمه بسببه معصية وكفارة أم لا يلزمه وكف من شخص عقد عليه العهد وأكدت عليه اليمين فتطوقه اغترارا بتخيلهم ثم لما انكشف له ضلالهم تمنى افتضاحهم والكشف عن عوراتهم ولكن منعتهم الأيمان المغلظة المؤكدة عليه فالحاجة ماسة إلى تعليم الحيلة في الخروج عن تلك الأيمان فنقول الخلاص من تلك الأيمان ممكن ولها طرق تختلف باختلاف الأحوال والألفاظ

الأول أن يكون الخائف قد تنبه لخطر اليمين وإمكان اشتماله على تلبيس وخداع فذكر في نفسه عقيب ذلك الاستثناء وهو قوله أن شاء الله فلا ينعقد ولا يمتنع عليه الحنث وإذا حنث لم يلزمه بالحنث حكم أصلا وهذا حكم كل يمين أردف بكلمة الاستثناء كقوله والله لأفعلن كذا أن شاء الله وكقوله أن فعلت كذا فزوجتي طالق أن شاء الله وما جرى مجراه

الثاني أن يؤدي في يمينه أمرا وينوي خلاف ما يلتزم منه ويضمر خلاف ما يظهر ويكون الإضمار على وجه يحتمله اللفظ فيدبر بينه وبين الله عز وجل فله أن يخالف ظاهر كلامه ويتبع فيه موجب ضميره ونيته فإن قيل الاعتماد في اليمين على نية المستحل إذ لو عول على نية الخائف واستثنائه لبطلت الأيمان في مجالس القضاة ولم يعجز الخلف

بين أيديهم عن إضمار نية وإسرار استثناء وذلك يؤدي إلى إبطال الحقوق قلنا القياس أن يكون التعويل على نية الخائف واستثنائه فإنه الخالف والخلف عارض عليه اليمين ولكنه حكم باتباع

نية المستحلف مراعاة للحقوق وصيانة لها بحكم الضرورة الداعية إليه وذلك في الحق في التحليف الموافق للشرع وموارد التوقيف فيه فأما المكره ظلما والمخادع عدوانا وغشما فلا ويعتبر أمر الحالف معه في القانون القياسي في الاعتبار بجانب الحالف لأن سبب العدول إلى اعتبار جانب المستحلف شدة الحاجة وأي حاجة بنا إلى تسليط الظلمة على تأكيد اليمين على ضعفاء المسلمين بأنواع الخداع والتليس فيجب الرجوع فيه إلى القانون الثالث أن ينظر إلى لفظ الحلف فإن قال عليك عهد الله وميثاقه وما أخذ على النبيين والصدّيقين من العهود وأن أظهرت السر فأتت بريء من الإسلام والمسلمين أو كافر بالله رب العالمين أو جميع أموالك صدقة لا ينعقد بهذه الألفاظ يمين أصلا فإنه أن قال أن فعلت كذا فأنا بريء من الإسلام ومن الله ورسوله لم تكن هذه يمينًا لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف فليحلف بالله أو فليصمت الحلف بالله أن يقول تالله ووالله وما يجري مجراه وقد استقصينا صريح الإيمان في فن الفقه وهذه الألفاظ ليست من جملتها وكذا قوله على عهد الله وميثاقه وما أخذه الله على النبيين فإنه إذا لم يأخذ الله ميثاقهم وعهده رينعقد ذلك بقول غيره والله تعالى لم يأخذ ميثاقهم على كتمان سر الكفار والضلال ولا هذا العهد مماثل عهد الله فلا يلزم به شيء وكذلك لو قال الإنسان أن فعلت كذا فأموالي صدقة لا يلزمه شيء إلا أن يقول فلله على إن أتصدق بمالي وهو يمين الغضب والجحاح ويخلصه على الرأي المختار كفارة يمين

الرابع أن ينظر إلى المحلوف عليه فإن كان لفظ المخلف فيه ما حكيناه في نسخة عهودهم وهو قولهم تكتم سر ولى الله وتنصره ولا تخالفه فليظهر السر مهما اراد ولا يكون حائنا لانه حلف على كتمان سر ولى الله تعالى وقد كتبه وأما الذي افشاه سر عدو الله وكذا قولهم تنصر اقاربه واتباعه فكل ذلك يرجع إلى ولى الله ولا يرجع إلى من قصده الخلف لانه عدو الله لا وليه فاما إذا عين شخصا بالاشارة او عرفه باسمه الذي يعرف به قال تكتم سرى او قال تكتم سر فلان ولى الله او سر هذا الشخص الذي هو ولى الله فقد قال قائل لا يبحث عند افشاء السر نظرا إلى الصفة واعراضا عن الاشارة وقالوا هو كما لو قال بعثت منك هذه النعجة والمشار اليه رمكة فإنه لا يصح والمختار عندنا أن الحنث يحصل والاشارة المعرفة المعينة التي لا يتطرق اليها الكذب بحال اعلى واغلب من الوصف المذكور كذبا على وجه الفضول مع الاستغناء وليس هذا كما لو قال والله لأشربن ماء هذه الإداوة ولا ماء فيها أن اليمين لا تعقد لانه لا وجود لمتعلق اليمين وكذلك لو ترك الاضافة إلى الاداوة وذكر قوله هذا الماء وأشار باليد لم ينعقد لفقد المتعلق ها هنا ولو اقتصر على قوله لا يفشى سر هذا الشخص او سر زيد انعقد وأن سكت عن قوله انه ولى الله ومهما انعقدت اليمين على هذا الوجه فيباح افشاء السر بل يجب افشاء السر ثم تلزم الكفارة كفارة يمين ويكفيه أن يطعم عشرة مساكين كل مسكين مدا من الطعام فإن عجز عن هذا صام ثلاثة ايام وما اهون الخطب في ذلك ولا حاجة إلى التائق في طلب الحيلة للخلاص

من هذا القدر فانه قريب محتمل ثم لا يعصى بالحنث لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومن حلق أن يزني ولا يصلى وجب عليه الحنث ولزمته الكفارة فهذا جار مجرى ذلك

الخامس إذا ترك الحالف النية والاستثناء وترك الخلف لفظ العهد والميثاق ولفظ ولى الله واتى بإيمان صريحة بالله ويتعلق الطلاق والعتاق في مالميكه الموجودين وزوجاته وفيما سيملك من بعد إلى اخر عمره وعلق بالحنث لزوم مائة حجة وصيام مائة سنة وصلاة الف الف ركعة والتصدق بالف دينار وما جرى هذا الجرى فطريقه في اليمين بالله أن يطعم عشرة مساكين او يصوم عند العجز كما سبق وهذا ايضا يخلصه عن تعليق الصدقة والحج والصيام

والصلاة بالحنث لأن ذلك يمين غضب وحاج لا يلزم الوفاء بوجهه واما تعليق الطلاق والعق فيما سيملك من النساء والعيد والاماء فباطل غير منعقد فيلحنث ولينكح من شاء متى شاء اذ لا طلاق قبل نكاح ولا عتاق قبل ملك وإن كان في ملكه رقيق وخاف من عنقه فطريقه أن يبعه من اهله او من ولده او من صديقه ثم يفشى السر ثم يستعيده إلى ملكه بالشراء او الاستيهاب او بما شاء ولا يعجز احد عن صديق يتق بصدافته وامانته فيبيعه منه ثم يرده عليه مهما اراد واما زوجته إن حلف بطلاقها فيخالعها بدرهم معها او مع اجنبي ويفشى السر ثم يجدد نكاحها فيا لحوق الطلاق بعده فإن قبل إن كان قد

طلق قبل ذلك تطليقتين ولم تق له الا طلقة واحدة وفي الخلع ما يجرمها عليه إلى أن تنكح زوجها غيره فما سبيله قلنا سبيله أن يقول مهما وقع عليك طلاقي فانت طالق قبله ثلاثا فمهما حنث لا يقع طلاقه وهذه هي اليمين الدائرة التي تخلص من الحنث وتمنع وقوع الطلاق فإن قيل فقد اختلف العلماء في ذلك وربما لا يرتضى المتورع اقحام شبهة الطلاق قلنا السائل إن كان مقلدا فعليه تقليد المفتي ومتابعته وعهدة الطلاق يختص بتطوقها المفتي دون المقلد وأن كان المفتي مجتهدا فعليه موجب اجتهاده فإن أدى اجتهاده إلى ذلك لم يمنع وقوع الطلاق فهو مخير بين أن يستبدل بما غيرها أو يسكت عن إفشاء سرهم فيترك معتقدهم وليس في السكوت عن إفشاء ما قالوه موافقة لهم في الدين بل الموافقة في أن يعتقد ما اعتقدوه وأن يعرب عن اعتقاده ويدعو إليه فأن صرف ضلالهم ظاهرا وباطنا فليس يلزمه أن ينطق بما سمعه منهم إذ ليس يتعين حكاية الكفر عن كل كافر فهذه طرق الحيل في الخروج عن اليمين وذهب بعض الحائضين في هذا الفن إلى أن الأيمان الصادرة منهم لا تعتقد بحال وهو كلام يصدر عن قلة البصيرة بالأحكام الفقهية وإنما الموافق لتصرف الفقه وأحكام الشرع الذي ذكرناه والسلام

## الباب التاسع

في إقامة البراهين الشرعية على أن الإمام القائم بالحق الواجب على الخلق طاعته في عصرنا هذا هو الإمام المستظهر بالله حرس الله ضلاله والمقصود من هذا الباب بيان إمامته على وفق الشرع وأنه يجب على كافة علماء الدهر الفتوى على البت والقطع بوجوب طاعته على الخلق ونفوذ أقضيته بمنهج الحق وصحة توليته للولاية وتقليده للقضاة وبراءة ذمة المكلفين عند صرف حقوق الله تعالى إليه وأنه خليفة الله على الخلق وأن طاعته على كافة الخلق فرض فهذا باب يتعين من حيث الدين صرف العناية إلى تحقيقه وإقامة البرهان على منهج الحق وطريقه فإن الذي يسير إليه الكلام أكثر المصنفين في الإمامة يقتضي ألا نعتقد في عصرنا هذا وفي أعصار منقضية خليفة غير مستجمع لشرائط الإمامة متصف بصفاتهم فتبقى الإمامة معطلة لا قائم بها ويبقى التصدي لهامتعديا عن شروط الإمامة غير مستحق لها ولا متصف بها وهذا هجوم عظيم على الأحكام الشرعية وتصريح بتعطيلها وإهمالها وبتداعى إلى التصريح بفساد جميع الولايات وبطلان قضاء القضاة وضياع حقوق الله تعالى وحدوده وإهدار الدماء والفروج والأموال والحكم ببطلان الأنكحة الصادرة من القضاة في اقطار الأرض وبقاء حقوق الله تعالى في ذمم الخلق فإن جميع ذلك لا يتأدى على وفق الشرع إلا إذا صدر استيفاؤها

من القضاة ومصدر القضاة تولية الإمام فإن بطلت الإمامة بطلت التولية وانحلت ولاية القضاة والتحقوا بآحاد الخلق وامتنعت التصرفات في النفوس والدماء والفروج والأموال وانطوى بساط الشرع بالكلية في هذه المهمات العظيمة فالكشف عن فساد كل مذهب يتداعى إلى هذه العظائم من مهمات الدين وفرائضه الا أن تقرير ذلك متنوع وترتيبه مع الاحتراز عن التهدف للاشكالات والاعتراضات متعسر ونحن بتوفيق الله نكشف الغطاء عنه فنقول

ندعى أن الإمام المستظهر بالله حرس الله إمامه هو الإمام الحق الواجب الطاعة فإن طولنا باقامة البرهان عليه تدرجنا في تحقيقه وتلفنا في تفهيمه إلى أن يعترف المستريب فيه بالحق ويلوح له وجه الصواب والصدق ونقول لا بد من امام في كل عصر ولا مترشح للامامة سواه فهو الإمام الحق إذا فهذه نتيجة بنيناها على مقدمتين احدهما قولنا لا بد من الإمام والاخرى قولنا لا يترشح للامامة سواه ففي ايهما النزاع فإن قيل بجم تنكرون على من لا يسلم انه لا بد من امام بل يقول لنا غنية عنه قلنا هذا سؤال اتفقنا نحن والباطنية وسائر اصناف المسلمين على بطلانه فإنهم أجمعوا وتطابقوا على أنه لا بد من إمام وإنما نزاعهم في التعيين لا في الأصل ولم يذهب أحد إلى أن الإمام لا يجب نصبه وأنه يستغنى عنه إلا رجل يعرف بعبد الرحمن بن كيسان ولا يستريب محصل في بطلان مذهبه وفساد معتقده وكأننا نبيه المسترشد بمسكين الاول هو ان ابن كيسان مسوق فيما يدعيه باجماع الامة قاطبة ولقد هجم بما انتحل من المذهب على خرق الاجماع

وتضخ برذيلة العدول عن سنن الاتباع فليلاحظ العصر الاول كيف تسارع الصحابة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نصب الامام وعقد البيعة وكيف اعتقدوا ذلك فرضا محتوما وحقا واجبا على الفور والبدار وكيف اجتنبوا فيه التواني والاستخار حتى تركوا بسبب الاشغال به تجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا انه لو تصرف عليهم لحظة لا امام لهم فرجما هجم عليهم حادثة ملمة وارتكبوا في حادثة عظيمة تشبثت فيها الآراء وتختلف متبوعا مطاعا يجمع شتات الآراء لا نخرم النظام وبطل العصام وتداعت بالانقسام عرى الاحكام فلاجل ذلك اثروا البدار اليه ولم يعرجوا في الحال الا عليه وهذا قاطع في ان نصب الامام امر ضروري في حفظ الإسلام

المسلك الثاني هو ان نقول لا يتمارى متدين في أن الذب عن حوزة الدين والنضال دون بيضته والانتداب لنصرته وحراسته بالمحافظة على نظام امور جند الإسلام وعدته امر ضروري واجب لا بد منه وان النظام لا يستمر على الدوام الا بمرصد يكلا الخلق بالعين الساهرة فمهما شرابت فئة للشوران وكشرت عن ناهها واشرفت على الاستحكام بادر إلى تطفتها وحسم غائلتها فانها لو تركت حتى اذا ثارت اشتغل بتطفتها العوام والطعام والافراد والاحاد لأفضى ذلك الى التعادي والتضاد وصارت الامور شورى وبقي الناس فرضى مهملين سدى متهافتين على ورطات الردى مقتحمين فيه مسالك الهوى ومناهج المنى وعند ذلك تتناقض الارادات وتتنازع الشهوات وتفضي بالاخرة الى استيلاء الرذائل على القضايل وتوثب الطعام علماء الاسلام والامائل وتمتد الأيدي

إلى الأموال والفروج وأصبحت الأيدي السافلة عالية وليس يخفى ما في ذلك من حل عصام الأمور الدينية والدينية فيتين بهذا الناظر البصير أن الإمام ضرورة الخلق لا غنية لهم عنه في دفع الباطل وتقرير الحق فقد ثبتت هذه المقدمة وهي أن الإمام لا بد منه فإن قيل بجم تنكرون على من ينازع في المقدمة الثانية وهي قولكم لا يترشح للإمامة سواه فإن الباطنية يدعون الخلق إلى مترشح لها غير ما اليه دعوتكم فكيف تستنب لكم هذه الدعوى قلنا لا تنكر دعوى بعض المدعين للامامة بغير استحقاق ولكننا نقول اذا بطل ما تدعيه الباطنية تعينت الامامة لم يدعيها وحصل ما نرومه ونبغيه فانه اذا لم يكن بد من امام وفاقا وثبت ان الامامة لا تعدو شخصين وثبت بطلان الامامة في حق واحد لم تبق ريبية في ثبوتها للثاني والمسالك الدالة على ابطال الامامة التي تدعيها الباطنية وترجح الامامة التي ندعيها أكثر من ان تدخل تحت الحصر فلسنا نسلك فيه مسلك الاستقصاء ولكننا نقتصر على دليلين واقعين قاطعين تقرهما كل عين ويشترك في دركهما الفطن والغبي والحنك والصبي والمعاند المنصف والمقتصد والمتعسف

الاول هو أن عصام شرائط صحة العقيدة وسلامة الدين ولقد حكيينا عن مذهب الباطنية وصاحبهم ما اقتضى ادنى درجاته التبديع والتضليل واعلاه التكفير والتبرى وذلك في اثباتهم الهين قديمين على ما اطبق عليه جميع فرقهم والثاني في انكارهم الحشر والنشر والجنة والنار وجملة ما اشتمل عليه

وعد القرآن ووعيده بفنون من التاويلات باطلة وذلك مما نعلم انه لو ذكر شيء منه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة بعده لبادروا إلى حز الرقبة ولم يتماروا انه صريح التكذيب لله ورسوله فمن كذب الله في وحدانيته ولم يصدق بالايات الواردة في التوحيد ولم يصدق بالقيامه والبعث والنشور كيف يصلح ان ينتصب منصب الامامة وان يناط به عرى الاسلام وهذا المسلك يتحققه الناظر اذا تصفح ثم رجع الى مذاهبهم التي ذكرناها في ابطائها فيصح له بمجموع النظيرين ما ذكرناه من اختلال الدين وفساد العقيدة واني يصلح للامامة من فيه مثل هذه الرذيلة

المسلك الثاني ان نسلم جدلا على سبيل التبرع والتقير لمورد هذا السؤال ان صاحب الباطنية صالح للامامة بصفاء الاعتقاد وصحة الدين وحصول سائر الشروط فمسلك الترجيح غير منحسم فان الامامة التي ندعيها اجمع عليها ائمة العصر وعلماء الدهر بل جماهير الخلق واقليم الارض في أقصى المشرق وفي أقصى المغرب حتى تطوق الطاعة له والانقياد لامره كل من على بسيط الارض الاشر ذمة الباطنية ولو جمع قضهم وقضيضهم وصغيرهم وكبيرهم لم يبلغ عددهم عدد اهل بلدة واحدة من متبعي الامامة العباسية فكيف اذا قيسوا باهل ناحية او باهل اقليم او بكافة من على وجه الارض من متحلي الامام افيتمارى المنصف في ان الغلاة من الباطنية على اهل الحق لو جمع منهم الصغير والكبير لم يبلغ عشر العشير من ناصري هذه الدولة القاهرة ومتبعي هذه العصاة الخفة واذا كانت الامامة تقوم بالشوكة وانما تقوى الشوكة بالمظاهرة والمناصرة والكثرة في الاتباع والاشياع وتناصر اهل الاتفاق والاجتماع فهذا اقوى

مسلك من مسالك الترجيح وهذا بعد ان اعطيناهم بطريق المسامحة والتبرع صحة دينهم ووجود شروط الامامة في صاحبهم

فان قيل ليس ينكر منكر كثرة هذه العصاة بالاضافة اليهم ولكن الحق لا يتبع الكثرة فان الحق خفى لا يستقل بدركه إلا الاقلون والباطل جلي يبادر الى الانقياد له الاكثرون وانتم فقد بنيم الترجيح على قيام الشوكة بكثرة الانصار والاشياع وهذا انما يستقيم لو كانت الامامة في اصلها تنعقد باجتماع الخلق على الطاعة فان ذلك لا يرجح عند التجويز والاختلاف بالكثرة وليس الامر كذلك بل الامامة انما تنعقد عند الباطنية بالنص والمنصوص عليه محق بويوع او لم يبايع قل مبايعوه او كثروا والمخالف له مبطل ساعدته دولته فكثير بسببها اتباعه او لم تساعده فمن أي وجه يصح الاستدلال بكثرة الاتباع قلنا انما يستبين وجه دلالة الكثرة من فهم ماخذ الامامة وقد بان انما ليست ماخوذة من النص كما قدرناه في الباب السابع ونبها على حماقة من يدعى تواتر النص من كل واحد منهم على ولده بل بينا جهل من يدعى ذلك في على رضى الله عنه فان ذلك لو كان لاستدل به على ولم يعجز عن اظهاره ولا رضى به فحوا الذي جر العساكر والجنود في زمان معاوية حتى قتل من ابطال الاسلام في تلك المعارك الوف ولم يكثرث بقتلهم فما الذي كان نزع واشياعه عن الاستدلال بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينا ان ذلك يقابله دعوى البكرية في النص على ابي بكر رضى الله عنه ودعوى الروندية

في النص على العباس رضى الله عنه فاذا بطل تلقى الامامة من النص لم يبق الا الاختيار من اهل الاسلام والاتفاق على التقديم والانقياد وعند ذلك يبين انه مهما وقع الاتفاق على نصب واحد كما اتفقوا في بداية امامة العباسية

فمن طمح الى طلبها لنفسه كان باغيا فانهم لو اختلفوا في مبدأ الامر وجب الترجيح بالكثرة في ذلك عند تقابل العدد وتقاربهم فكيف اذا اطبق كل من شرقت عليهم الشمس شارقة وغاربة لم يخالفهم الا فئة معدودة وشرذمة يسيرة لا يؤبه ولا يعاب بهم لشذوذهم بالاضافة الى الخلق الكثير والجم الغفير الذين هم في مقابلتهم ولا عشر العشر من أعشارهم وما هم الا كالحسوة في البحر الزاخر والموج المتلاطم فان قيل وبم تنكرون على من يقول لا ماخذ للإمامة الا لنص او الاختيار فاذا بطل الاختيار ثبت النص ويدل على بطلان الاختيار انه لا يخلو اما ان يعتبر فيه اجماع كافة الخلق او اجماع كافة اهل الحل والعقد من جملة الخلق في جميع أقطار الأرض أو يعتبر إجماع أهل البلد الذي يسكنه الامام ويقدر باجماع عشرة او خمسة او عدد مخصوص او يكفي بمبايعة شخص واحد وباطل ان يعتبر فيه اجماع كافة الخلق في جميع اقطار الارض فان ذلك غير ممكن ولا مقدور لاحد من الائمة ولا فرض ذلك ايضا في الاعصار الخالية للائمة الماضين وباطل ان تعتبر اجماع جميع اهل الحل والعقد في جميع اقطار الارض لان ذلك مما يمتنع او يتعذر تعذرا يفتقر فيه الى انتظار مدة عسلاها تريد على عمر الامام فتبقى الامور

في مدة الانتظار مهملة ولانه لما عقدت البيعة لابي بكر رضى الله عنه لم ينتظر انتشار الاخبار إلى سائر الامصار ولا تواتر كسب البيعة من اقصي الاقطار بل اشتغل بالامامة وخاض في القيام بموجب الزعامة محتكما في اوامره ونواهيته على الخاصة والعامة واذا بطل اشتراط اجماع كافة الخلق وكافة اهل الحل والعقد فالتخصيص بعد ذلك تحكم اذ ليس من يشترط باتفاق أهل بلدة بأولى ممن يكتفي بأهل محلة أو قرية أو لم يشترط اتفاق اهل ناحية او اقليم ومن لا يشترط اجماع اربعين او خمسة او اربعة او اثنين بأولى من غيره من الاعداد وهذه المقدرات قد ذهب إلى التحكم بها ذاهبون بمجرد التشهي من غير مستند فلا يبقى إلا الاكتفاء ببيعة شخص واحد وفي الاشخاص كثرة واحوالهم متعارضة ولا يترجح شخص على شخص الا بالعصمة فيجب ان يكون اذا مولى العهد واحد وليكن ذلك الشخص معصوما وهو معتقدنا وعند هذا لا تنفع الكثرة في المخالفين لذلك الواحد المتميز بخاصية عن غيره فاذا لا معتصم في الكثرة التي تعلقتم بها

قلنا نعم لا ماخذ للإمامة الا النص او الاختيار ونحن نقول مهما بطل النص ثبت الاختيار وقولهم ان الاختيار باطل لانه لا يمكن اعتبار كافة الخلق ولا الاكتفاء بواحد ولا التحكم بتقدير عدد معين بين الواحد والكل فهذا جهل بمذهبنا الذي نختاره وقيم البرهان على صحته والذي نختاره انه يكفي بشخص واحد يعقد البيعة للإمام مهما كان ذلك الواحد مطاعا ذا شوكة لا تطال ومهما كان مال الى جانب

مال بسببه الجماهير ولم يخالفه الا من لا يكرث بمخالفته فالشخص الواحد المتبوع المطاع الموصوف بهذه الصفة اذا بايع كفى اذ في موافقته الجماهير فان لم يحصل هذا الغرض الا لشخصين او ثلاثة فلا بد من اتفاقهم وليس المقصود اعيان المبايعين وانما الغرض قيام شوكة الامام بالاتباع والاشياع وذلك يحصل بكل مسول مطاع ونحن نقول لما بايع عمر ابا بكر رضى الله عنهما انعقدت الامامة له بمجرد بيعته ولكن لتتابع الايدي الى البيعة بسبب مبادرته ولو لم يبايعه غير عمر وبقي كافة الخلق مخالفين او انقسموا اقساما متكافئا لا يتميز فيه غالب عن مغلوب لما انعقدت الامامة فان شرط ابتداء الانعقاد قيام الشوكة وانصراف القلوب الى المشايعة ومطابقة البواطن والظواهر على المبايعة فان المقصود الذي طلبنا له الامام جمع شتات الاراء في مصطدم تعارض الالهواء ولا تتفق الارادات المتنافضة والشهوات المتباينة المتنافرة على متابعة راي واحد الا اذا ظهرت شوكته وعظمت نجدته وترسخت في النفوس رهبته ومهابته ومدار جميع ذلك على الشوكة ولا تقوم الشوكة الا بموافقة الاكثرين من معتبري كل زمان

فاذا بان أن هذا مأخذ الإمامة فليس يتماهى في أن الجهة الشريفة التي نصرها قد صرف الله وجوه كافة الخلق إليها وجبل قلوبهم

على حبها ولذلك قامت الشوكة له في اقطار الارض حتى لو ظهر باغ يظهر خلافا في هذا الجنب الكريم ولو بأقصى الصين او المغرب لبادروا إلى اختطافه وتطهير وجه الارض منه متقربين إلى الله تعالى

وقد لاح لك الآن كيف ترقينا من هذه المعاصرة المظلمة وكيف دفعنا ما أشكل على جميع جماهير النظار من تعيين المقدر في عدد أهل الأختيار إذا لم نعين له عددا بل اكتفينا بشخص واحد يبايع وحكمنا بانعقاد الإمامة عند بيعته لا لتفرد في عينه ولكن لكون النفوس محمولة على متابعة ومبايعة من أذعن هو لطاعته وكان في متابعتة قيام قوة الإمام وشوكتة وانصراف قلوب الخلائق إلى شخص واحد أو شخصين أو ثلاثة على ما تقتضيه الحال في كل عصر ليس أمرا اختياريا يوصل إليه بالحيل البشرية بل هو رزق إلهي يؤتبه الله من يشاء فكانا في الظاهر رددنا تعيين الإمامة إلى اختيار شخص واحد وفي الحقيقة رددناها إلى اختيار الله تعالى ونصبه إلا أنه يظهر اختيار الله عقيب متابعة شخص واحد أو أشخاص وإنما المصحح لعقد الإمامة انصراف قلوب الخلق لطاعته والالتقياد له في امره ونهيه وهذه نعمة وهدية من الله تعالى فاذا أتاحتها لعبد من عباده وصرف إلى محبته وجوه أكثر خلقه وكان ذلك من الله تعالى لطفًا في اختياره لخلافته وتعيينه للاقتداء بأوامره في تفقد عباده وذلك أمر لا يقدر كل البشر على الاحتمال لتحصيله فلينظر الناظر إلى مرتبة القرينين إذا نسيت الباطنية أنفسها إلى أن نصب الإمام عندهم من الله تعالى وعند خصومهم من العباد ثم لم يقدروا على بيان وجه نسبة ذلك إلى الله تعالى إلا بدعوى الاختراع على رسوله في النص على على ودعوى بقاء ذلك في ذريته بقاء كل خلف لكل واحد ودعوى

تنصيبه على أحد أولاده بعد موته إلى ضروب من الدعاوى الباطلة ولما نسبونا إلى أنا نصب الإمام بشهوتنا واختيارنا ونقموا ذلك منا كشفنا لهم بالآخرة أنا لسنا نقدم إلا من قدمه الله فان الإمامة عندنا تنعقد بالشوكة والشوكة تقوم بالمبايعة والمبايعة لا تحصل إلا بصرف الله تعالى القلوب قهرا إلى الطاعة والموالاة وهذا لا يقدر عليه البشر ويدلك عليه انه لو اجمع خلق كثير لا يحصى عددهم على أن يصرفوا وجوه الخلق وعقائدهم عن الموالاة للإمامة العباسية عموما وعن المشايعة للدولة المستظهرية أيدها الله بالدوام خصوصا لافنوا اعمارهم في الحيل والوسائل وهتئة الاسباب والوسائل ولم يحصلوا في اخر الامور الا على الخيبة والحرمان فهذا طريق إقامة البرهان على أن الامام الحق هو أبا العباس أحمد المستظهر بالله حرس الله ظلالة في هذا العصر ولم يبق الاحتمال مطاعن المنكرين في دعواهم اختلال شرائط الإمامة وفوات صفات الأئمة وها نحن نبين وجه الحق فيه في معرض سؤال وجواب

فإن قال قائل ما ذكرتموه من الترجيح وتعيين هذه الجهة الكريمة لمن يستحق الإمامة انما يستتب إذا أظهرتم وجود شرائط الإمامة وصفات الأئمة ولها شروط كثيرة لا تنعقد دون شروطها بل لو تطرق الخلل إلى شرط من شرائطها امتنع انعقادها ففصلوا الشروط وبيئوا تحققها حتى

نسلم لكم ثبوت الإمامة ونبطل مذهب القائلين بأن هذا العصر والأعصار الخالية القريبة كانت خالية عن الإمامة لفقد شروط الإمامة في المترشحين لها

الجواب إن الذي عدده علماء الإسلام من صفات الأئمة وشروط الإمامة تحصرها عشر صفات ست منها خلقية لا تكتسب واربع منها تكتسب أو يفيد الاكتساب فيها مزيدا فأما الست الخلقية فلا شك في حضورها ولا تتصور المجاهدة في وجودها الأولى البلوغ فلا تنعقد الإمامة لصبي لم يبلغ الثانية العقل فلا تنعقد لجنون فإن التكليف ملاك



الأمر وعصامه ولا تكليف على صبي ومجنون الثالثة الحرية فلا تنعقد الإمامة لرقيق فإن منصب الإمامة يستدعي استغراق الأوقات في مهمات الخلق فكيف يتدب لها من هو كالمفقود في حق نفسه الموجود لمالك يتصرف تحت تدبيره وتسخيره كيف وفي اشتراط نسب قريش ما يتضمن هذا الشرط إذ ليس يتصور الرق في نسب قريش بحال من الاحوال الرابعة الذكورية فلا تنعقد الإمامة لامرأة وان اتصفت بجميع خلال الكمال وصفات الاستقلال وكيف تترشح امرأة لمنصب الامامة وليس لها منصب القضاء ولا منصب الشهادة في اكثر الحكومات الخامسة نسب قريش لا بد منه لقوله صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش واعتبار هذا مأخوذ من التوقيف ومن اجماع أهل الاعصار الخالية على أن الإمامة ليست إلا في هذا النسب ولذلك لم يتصد لطلب الامامة غير قرشي في عصر من الاعصار مع شغف الناس بالاستيلاء والاستعلاء وبذلهم

غاية الجهد والطاقة في الترقى إلى منصب العلاء ولذلك لما هم المخالفون بمصر لطلب هذا الامر ادعوا أولاً لانفسهم الاعتراء الى هذا النسب علما منهم بان الخلق متطابقون على اعتقادهم لانهضار الامامة فيهم السادسة سلامة حاسة السمع والبصر اذ لا يتمكن الاعمى والاصم من تدبير نفسه فكيف يتقلد عهدة العالم ولذلك لم يستلحا لمنصب القضاء واذن مصنفون إلى هذا اشتراط السلامة من البرص والجذام والزمانة وقطع الاطراف وسائر العيوب الفاحشة المنفرة وانكره منكرون وقالوا لا حاجة الى وجود السلامة من هذه الامراض فان التكفل بامور الخلق والقيام بمصالحهم لا تستدعيها ولم يرد من الشارع توقيف وتعبد فيها وليس من غرضنا بيان الصحيح من المذهبين وانما المقصود ان هذه الصفات الست غريزية لا يمكن اكتسابها وهي بجمليتها حاضرة حاصلة فلا تتور منها شبهة المعاندة أما الصفات الاربع المكتسبة وهي النجدة والكفاية والعلم والورع فقد اتفقوا على اعتبارها ونحن نبين وجود القدر المشروط لصحة الامامة في الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ثبت الله دولته وان امامته على وفق الشرع وانه يجب على كل مفت من علماء الدهر ان يفني على القطع بوجوب طاعته على الخلق ونفوذ اقصيته بالحق وبصحة توليته للولاية وتقليده للقضاء و صرف حقوق الله اليه ليصرفها إلى مصارفها وبوجهها إلى مظانها ومواقعها وتكلم في هذه الصفات الاربع على الترتيب

القول في الصفة الأولى وهي النجدة فنقول مراد الائمة بالنجدة ظهور الشوكة وموفر العدة والاستظهار بالجنود وعقد الالوية والبنود والاستمكان بتضافر الاشياء والاتباع من قمع الغاة والطغاة ومجاهدة الكفرة والعتاة وتطفئة نائرة الفتن وحسم مواد الخن قبل أن يستظهر شررها وينتشر ضررها هذا هو المراد بالنجدة وهي حاصلة لهذه الجهة المقدسة فالشوكة في عصرنا هذا من اصناف الخلاق للترك وقد اسعدهم الله تعالى بمولاته ومحبتة حتى انهم يتقربون الى الله بنصرته وقمع اعداء دولته ويتدينون باعتقاد خلافته وامامته ووجوب طاعته كما يتدينون بوجوب اوامر الله وبتصديق رسله في رسالته فهذه نجدة لم يثبت مثلها لغيره فكيف يتماهى في نجدته

فإن قيل كيف تحصل نجدته بهم وانا نراهم يتجهجون على مخالفة اوامره ونواهيهم ويعدون الحدود المرسومة لهم فيه وانما تحصل الشوكة بمن يتردد تحت الطاعة على حسب الاستطاعة وهؤلاء في حركاتهم لا يترددون الا خلف شهواتهم واذا هاج لهم غضب أو حركتهم شهوة أو أوغر صدورهم ضغينة لم يبالوا بالاتباع ولم يعرفوا الا الرجوع الى ما جبلوا عليه من طابع السباع فكيف تقوم الشوكة بهم قلنا هذا سؤال في غاية الركافة فإن الطاعة المشروطة في حق الخلق لقيام شوكة الامام لا تريد على الطاعة المشروطة على الارقاء والعييد في حق ساداتهم ولا على الطاعة المفروضة على المكلفين لله ورسوله واحوال العبيد في طاعة سيدهم واحوال العباد في طاعة ربهم لا تنفك عن الانقسام إلى موافقة ومخالفة فلما انقسم المكلفون إلى

المطيعين والعصاة ولم ينسلخوا به عن اهاب الاسلام ولا انسلوا به عن ربقتة ما داموا معتقدين ان الطاعة لله مفروضة وان المخالفة محرمة ومكروهة فهذا حال الجد في الطاعة لصاحب الامر فانهم وان خالفوا امرا من الاوامر الواجبة الطاعة اعتقدوا المخالفة اساءة والموافقة حسنة ولذلك تراهم لا يغيرون العقيدة عن الموالاتة ولو قطعوا اربا وما من شخص يقدر مخالفتة في أمر من الأمور إلا وهو بعينه إذا انتهى إلى العتبة الشريفة صفح الأرض خاضعا وعفر خده في التراب متواضعا ووقف ووقف أذل العبيد على بابه وانتفض ماتلا على رجلية عند سماع خطابه ولو نبغت نابغة في طرف من أطراف الأرض على معاداة هذه الدولة الزاهرة لم يكن فيهم أحد إلا ويرى النضال دون حوزتها جهادا في سبيل الله نازلا منزلة جهاد الكفار فأية طاعة في عالم الله تزيد على هذه الطاعة و أية شوكة في الدنيا تقابل هذه الشوكة وليت شعري لم لا يتذكر الباطنية عند إيراد هذا السؤال ما جرى لعلني رضي الله عنه من اضطراب الاحوال وتخلف أشياعه عنه في القتال ومخالفتهم لاستصوابه في أكثر الأقوال والأفعال حتى كان لا تفك خطبة من خطبه عن شكائتهم في الإعراض عنه والاستبداد برأيهم حتى كان يقول

لا رأى لمن لا يطاع فاذا كانت تقوم شوكتة باتباع الاكثر من اتباعه من انتصاب من انتصب لمخالفتة فكيف لا تقوم الشوكة في زماننا هذا والحال على ما ذكرنا فان قيل كان علي رضي الله عنه يتولى الامر بنفسه وياشر الحروب ويتبرج للخلق ولا يحتاج عنهم قلنا ومن الذي شرط في الإمامة مباشرة الأمور وتعاطيها بنفسه نعم لا حرج عليه لو باشر بنفسه فاذا استغنى بجنوده وأتباعه عن المقاساة للحرب بنفسه جاز له الاقتصار على مجرد الرأي والتدبير إذا روجع في الأمور القريبة منه ومن قطره والتفويض إلى ذوي الرأي الموثوق بصيرتهم في الأمور البعيدة عنه وهذا الآن في عصرنا مستغنى عنه فقد سخر الله رجال العالم وأبطالهم لموالاتة هذه الحضرة وطاعتها حتى تبدوا في أقطار الدنيا كما نشاهد ونرى فليس وراء هذه الشوكة أمر يشترط وجوده لصحة الإمامة فإن قيل وما بالكم تنظرون إلى هؤلاء ولا تنظرون إلى جنود المخالفين وهم أيضا مستظهريين بشوكة على مخالفة هذه الشوكة قلنا مهما كانت الكثرة من هذا الجانب لم تقدر مخالفة المخالفين أفتري لم لم ينظر الباطني إلى شوكة معاوية وعدته ومقاومته لعلى بجنوده وأنصاره فكيف لم يشترط في صحة الإمامة أن تصفو له جوانب الدنيا عن قذى المخالفة ولو شرط هذا في الإمامة لم تنعقد الإمامة لأحد قط من مبدأ الامر إلى زماننا هذا فقد اتضح أن المشروط من هذه الصفة موجود وزيادة

القول في الصفة الثانية وهي الكفاية ومعناها التهدي لحق المصالح في معضلات الأمور والاطلاع على المسلك المقصود عند تعارض الشرور كالعقل الذي يميز الخير عن الشر وينصف به الجمهور وإنما العزيز المعون عقل يعرف خير الخيرين وشر الشريرين وذلك أيضا في الأمور العاجلة وهي هينة قريبة وإنما الملتبس عواقب الأمور المخطرة ولن يسقل بها إلا مسدد للتوفيق من جهة الله تعالى ونحن نقول إن هذه الصفة حاصلة فإن أسبابها متوافرة فإنها مهما حصل من غريزة العقل وانفك عن العته والخبيل كان الوصول إلى درك عواقب الأمور بطريق الظن والحدس مبنيا على ركنين أحدهما الفكر والتدبير و شرطه الفطنة والذكاء وهذه خصلة تميز فيها المنصور إمامته والمفروض طاعته عن النظراء بمزيد النفاذ والمضاء حتى صار أكابر العقلاء يتعجبون في معضلات الوقائع من رأيه الصائب وعقله الثاقب وتفطنه للدقائق يشذ عن درك الخنكين من ذوي التجارب وهذه صفة غريزية وهي من الله تحفة وهدية والركن الثاني الاستضاءة بخاطر ذوى البصائر واستطلاع رأى اولى التجارب على طريق المشاورة وهي الخصلة التي امر الله بها نبيه إذ قال وشاورهم في الامر ثم شرطه أن يكون المستشار مميذا بين المراتب عارفا للمناصب معولا على رأى من يوثق بدهائه وكفايته ومضائه وصرامته وشفقته وديانته وهذا هو الركن الاعظم في تدبير الامور فان الاستبداد بالرأى وان كان من ذوى البصائر مذموم ومخنور وقد وفق الله الإمام

بتفويض مقاليد أمره إلى وزيره الذي لم يقطع ثوب الوزارة الا على قده حتى استظهر بآرائه السديدة في نواب الزمان ومعضلات الحدثان ومرعاة مصالح الخلق في حفظ نظام الدين والملك وهو الجامع للصفات التي شرطها الشرع والعقل في المدبر والمشير من متانة الدين ونقاية الرأى وممارسة الخطوب ومقاساة الشدائد في طوارق الايام ورزانة العقل والعطف على الخلق والتلطف بالرعية وبمجموع هذين الامرين يفهم مطلوب الكفاية فان مقصودها اقامة تناظم الامور الدينية والدنيوية وهذه قضية يستدل على وجودها بمشاهدة الاحوال والافعال فلينظر المنصف كيف عاجل معضلات الزمان بحسن رايه لما استأثر الله بروح الامام المقتدى وامتنع كافة الخلق بالامامة الزاهرة المستظهيرية وقد وافق وفاته احداق العساكر بمدينة السلام وازدحام اصناف الجند على حافنها والزمان زمان الفترة والدنيا طافحة بالخن متموجة بالفتن والسيوف مسلولة في اقطار الارض والاضطراب عام في سائر البلاد لا يسكن فيها اوار الحرب ولا تفك عن الطعن والضرب وامتدت اطماع الجند الى الذخائر ففغروا أفواههم نحو الخزائن وكان يتداعى إلى تغيير الضمائر وثور الاحقاد والضغائن فلم يزل بدهائه وذكائه وحسن نظره ورايه مراعي لنظام الامر مترددا بين اللطف والعنف حتى انعقدت البيعة وانتشرت الطاعة واذعنت الرقاب واتسقت الاسباب وانطقت الفتن الثائرة وظل ظل الخلافة بحسن تديره وبرأى وزيره ممدودا واصبح لواء النصر بحسن مساعيه معقودا وطريق الفساد بهيبته مسدودا واضحت الرعايا في رعايته وادعة وصارت عين الحوادث بحسن كلاءته عن مديته السلام هاجعة فليت شعري هل تكسب مثل هذه العظام الا بكمال الكفاية ونباهة الحزم والهداية وهل يستدل على كفاية الملوك بشيء سوى انتظام التدبير وحسن الراى في اختيار المشير والوزير فليس يعتبر في صحة الامامة صفة الكفاية الا ما يسر الله سبحانه له اضعاف ذلك فليقطع بوجود هذه الشريطة ايضا مضمومة إلى سائر الشرائط

### القول في الصفة الثالثة وهي الورع

وهذه هي اعز الصفات واجلها واولاها بالرعايات واجدرها وهو وصف ذاتي لا يمكن استعارته ولا الوصول إلى تحصيله من جهة الغير اما النجدة فتحصيلها من الغير لا محالة والهداية وان اعتمدت على غزارة العقل فقوانلها يمكن فيها الاستعارة بطريق المراجعة والاستشارة والعلم ايضا يمكنه تحصيله بالاستفتاء واستطلاع رأى العلماء والورع هو الاساس والاصل وعليه يدور الامر كله ولا يغني فيه ورع الغير وهو رأس المال ومصدر جملة الخصال ولو احتل هذا والعباد بالله لم يبق معتصم في تحقيق الامامة فالحمد لله الذي زين احوال الامام الحق المنصور امامته بالورع والتقوى حتى اوفى فيه على الغية القصوى فتميز بمتانة الدين وصفاء العقل واليقين في جماهير الخلفاء حتى ظهر

من أحواله منذ تجمل صدر الخلافة بجماله من إفاضة الخيرات والعطف على الرعايا وذوى الحاجات وقطع العمارات التي كانت العادة جارية بالمواظبة عليها كل ذلك اضرابا عن عمارة الدنيا واكبابا على ما ظهر من عمارة الدين هذا مع ما ظهر من سيرته في خاصة حالته من لبس الثياب الحشنة واجتناب الترفه والدعة والمواظبة على العبادات ومهاجرة الشهوات واللذات استحقاقا لرخارف الدنيا وتوقيا من ورطات الهوى والنفات الى حسن الماب في العقبى فهو على التحقيق الشاب الذي نشأ في عبادة الله هذا كله في عنفوان السن وغرة من الشباب وبداية الامر بينه العقلاء لما سينتهي اليه الحال اذا قارب سن الكمال

إن الهلال اذا رايت نموه ايقنت أن سيصير بدرا كاملا والله تعالى يمدد باطول الاعمار وينشر اعلامه في اقاصي الديار

فان قال قائل كيف تجاسرت على دعوى التقوى والورع ومن شرطه التجرد عن الاموال حتى لا ياخذ قيراطا الا من حله ولا يدعه الا في مظنة استحقاقه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وليس يتم الورع بالمواظبة على الفرائض واجتناب الموبقات والكبائر بل عماد هذا الامر العدل واجتناب الظلم في طرفي الاعطاء والاخذ فان ادعيتهم حصول هذا الشرط نفرت القلوب عن التصديق وان اعترفتم باختلال الامر فيه انخرم ما ادعيتموه من حصول الورع والتقوى فلنا هذا السؤال نكسر اولا سورته ثم ننبه على سر هو منتهى الانصاف فنقول ان صدر الاعتراض عن باطني فلعله لو راجع صاحبه الذي يواليه واستقرى ما شاهده من هذه الاحوال فيه افتضح في دعواه وكان الحياء خيرا له مما يورده ويديه وان صدر السؤال عن احد علماء العصر الذين يعتقدون خلو الزمان عن الامام لفقد شرطه

فيقال له هون على نفسك فان دعوى وجود هذا الشريط غير مستبعدة فان الاموال المنصبة الى الخزانة المعمورة اربعة اصناف الصنف الاول ارتفاع المستغلات وهي ماخوذة من اموال موروثه له والصنف الثاني اموال الجزية وهي من اطيب ما يؤخذ والصنف الثالث اموال التركات ولم يعهد منه قط الى الان الطمع في تركة تعين لاستحقاقها وارث ومن لا وارث له فمنصبه بيت المال الصنف الرابع اموال الخراج الماخوذة من ارض العراق ومنه الشافعي وطوائف من العلماء أن أرض العراق وقف وهي من عبادان الى الموصل طولا ومن القادسية الى حلوان عرضا انما وقفها عمر رضى الله عنه على المسلمين ليكون جميع خراجها منصبا الى بيت المال ومصالح المسلمين فهذه هي الاموال الماخوذة واخذها جائز ويبقى النظر في مصارفها وهي مع اختلاف جهاتها اربع جهات وفيها تنحصر مصالح الاسلام والمسلمين الجهة الاولى المرتزة من جند الاسلام اذ لا بد من كفايتهم واكثرهم في هذا العصر مكفيون بشروقتهم واستظهارهم ومقتدرون على كفاية غيرهم ومع ذلك فقد امدهم الراى الشريف النبوي في هذه الايام مدة مقام العسكر بمدينة السلام باموال اسفرغ فيها الخزانة وافاض عليهم من ضروب التشريفات والانعام ما يخلد ذكره على مكر الايام والاعوام الجهة الثانية علماء الدين وفقهاء المسلمين القائمون بعلوم الشريعة فانهم حراس الدين بالدليل والبرهان كما ان الجنود حراسه بالسيف والسنان وما من واحد منهم الا وهو مكفى من جهته برسم وادار ومخصوص بانعام واثار والمستحق لهم ايضا على بيت المال قدر الكفاية وهو مبذول لكل من يتشبه باهل العلم فضلا عن يتلحى بتحقيقه الجهة الثالثة محايج الخلق الذين قصرت بهم ضرورة الحال وطوارق الزمان عن اكتساب قدر الكفاية وليس ينتهى اليه الخبر في حاجة الا سدها

ولا يرتفع اليه قصد ذي فاقة الا تداركها ومواظبته على الصدقات في نوب متواليات في السر والعلانية كافية جميع الحاجات

الجهة الرابعة المصالح العامة من عمارة الرباطات والقناطر والمساجد والمدارس فيصرف لا محالة الى هذه الجهة عند الحاجة قدر من بيت مال المسلمين فلا ترى هذه المواضع في أيامه إلا معمورة وملحوظة بالتعاهد من القوام بما والمتكفلين لها وهذا وجه الدخل والخرج

ونحتم الكلام بما يقطع مادة الخصام وتبين فيه غاية الانصاف فنقول لا يظن ظان انا نشترط في الامامة العصمة فان العلماء اختلفوا في حصولها للانبياء والاكثر على أنهم لم يعصموا من الصغائر ولو اعتبرت العصمة من كل زلة لتعدت الولايات وانزلت القضاة وبطلت الامامة وكيف يحكم باشتراط التقى من كل معصية والاستمرار على سمت التقوى من غير عدول ومعلوم ان الجبلات متقاضية للذات والطباع محرضة على نيل الشهوات والتكاليف يتضمنها من العناء ما يتقاعد عن احتمالها الاقوياء ووساوس الشيطان وهو اجس النفس مستحثة على حب العاجلة

واستحقاق الاجلة والجملة الانسانية بالسوء امارة والتقوى في ارجوحة الهوى يغلب تارة ويعجز تارة والشيطان ليس يفتر عن الوسوس والزلزلات تكاد تجرى على الانفاس فكيف يتخلص البشر عن اقتحام محظور والورط في محظور ولذلك قال الشافعي رضى الله عنه في شرط عدالة الشهادة لا يعرف احد بمحض الطاعة حتى لا يتضمخ بمعصية ولا أحد بمحض المعصية حتى لا يقدم على طاعة ولا ينفك احد عن تخليط ولكن من غلبت الطاعات في حقه المعاصي وكانت تسووه سيئته وتسره حسنته فهو مقبول الشهادة ولسنا نشترط في عدالة القضاء الا ما نشترطه في الشهادة ولا نشترط في الامامة الا ما نشترطه

في القضاء وهذا ذكرناه اذا لم يلاح او الخ ملح ولازم اللدد في تصوير امر من الامور لا يوافق ظاهر الشرع واراوته الطعن في الامامة والقده فيها عرف ان ذلك غير قادح في اصل الامامة بحال من الاحوال

### القول في الصفة الرابعة وهي العلم

فان قال قائل اتفق راي العلماء على أن الامامة لا تنعقد الا لمن نال رتبة الاجتهاد والفتوى في علوم الشرع ولا يمكنكم دعوى وجود هذه الشريطة ولو ادعيتم أن ذلك لا يشترط كان انسلا عن وفاق العلماء قاطبة فما رأيكم في هذه الصفة

قلنا لو ذهب ذاهب إلى أن بلوغ درجة الاجتهاد لا يشترط في الامامة لم يكن في كلامه الا الاعزاب عن العلماء الماضين والا فليس فيه ما يخالف مقتضى الدليل وسياق النظر فان الشروط التي تدعى للامامة شرعا لا بد من دليل يدل عليها والدليل اما نص من صاحب الشرع واما النظر في المصلحة التي طلبت الامامة لها ولم يرد النص من شرائط الامامة في شيء الا في النسب اذ قال أن الائمة من قريش فاما ما عداه فانما اخذ من الضرورة والحاجة الماسة في مقصود الامامة اليها فهذا كما شرطنا العقل والحرية وسلامة الحواس والهداية والتجدة والورع فان هذه الامور لو قدر عدمها لم ينتظم امر الامامة بحال من الاحوال وليست رتبة الاجتهاد مما لا بد منه في الامامة ضرورة بل الورع الداعي الى مراجعة اهل العلم فيه كاف فاذا كان المقصود ترتيب الامامة على وفق الشرع فإى فرق بين ان يعرف حكم الشرع بنظره او يعرفه باتباع افضل اهل زمانه واذا جاز للمجتهد ان يعول على قول واحد ويروى له حديثا فيحكم به اماما كان او قاضيا فما المانع من ان يحكم بما يتفق عليه العلماء في كل واقعة وان اختلف فيتبع فيه قوله الافضل الاعلم ولم لا يكون مكتملا بافضل اهل الزمان مقصود العلم كما كمل باقوى اهل الزمان مقصود الشوكة وبادهى اهل الزمان وأكفاهم رأيا ونظرا مقصود الكفاية فلا تزال دولته محفوفة بملك من الملوك قوى يمدده بشوكته وكاف من كفاة الزمان يتصدى لوزارته فيمده برايه وهدايته وعالم مقدم في العلوم يفيض ما يلوح من قضايا الشرع في كل واقعة إلى حضرته هذا لو قال به قائل لكان مستمدا من قواطع الادلة والبراهين التي يجوز استعمالها في مظان القطع واليقين فكيف في مواقع الظن والتخمين واكثر مسائل الامامة واحكامها مسائل فقهية ظنية يحكم فيها بموجب الراى الاغلب وما ذكرته مسلك واضح فيه ولكنى لا اوتر الاعزاب عن الماضين ولا الانحراف عن جادة الائمة المقرضين فان الافراد بالراى والانسلال عن موافقة الجماهير لا ينفك عن اثاره نفرة القلوب لكنى استميت مسلكا مقتبسا من كلام الائمة المذكورين واقول اختلف الناس في ان اهل الاختيار لو عقلوا عقد البيعة للمفضول واعرضوا عن الافضل هل تنعقد الامامة مع الاتفاق على ان تقديم الافضل عند القدرة واجب متعين ثم ذهب الاكثرون إلى انها اذا عقدت للمفضول مع حضور الافضل انعقدت ولم يجز خلعه لسبب الافضل وانا من هذا انشئ واقول أن رددناها في مبدا التولية بين مجتهد في علوم الشرع وبين متقاصر عنها فيتعين تقديم المجتهد

لان اتباع الناظر علم نفسه له مزية رتبة على اتباع علم غيره بالتقليد والمزايا لا سبيل إلى إهمالها مع القدرة على مراعاتها أما إذا انعقدت الإمامة بالبيعة أو تولية العهد لمنك عن رتبة الاجتهاد وقامت له شوكة واذعت له الرقاب ومالت إليه القلوب فان خلا الزمان عن قرشي مجتهد يستجمع

جميع الشروط وجب الاستمرار على الامامة المعقودة ان قامت له الشوكة وهذا حكم زماننا وان قدر ضربا للمثل حضور قرشي مجتهد مستجمع للورع والكفاية وجميع شرائط الامامة واحتاج المسلمون في خلع الاول إلى تعرض لاثارة فتن واضطراب امور لم يجز لهم خلعه والاستبدال به بل تجب عليهم الطاعة له والحكم بنفوذ ولايته وصحة إمامته لأننا نعلم بأن العلم مزية روعيت في الإمامة تحسينا للأمر وتحصيلا لمزيد المصلحة في الاستقلال بالنظر والاستغناء عن التقليد وان الثمرة المطلوبة من الإمامة تطفئة الفتن الثائرة في تفرق الآراء المتنافرة فكيف يستجيز العقل تحريك الفتنة وتشويش نظام الأمور وتفويت أصل المصلحة في الحال تشوفا إلى مزيد دقيقة في الفرق بين النظر والتقليد وعند هذا ينبغي أن يقيس الانسان ما ينال الخلق بسبب عدول الإمام عن النظر إلى تقليد الأئمة بما ينالهم لو تعرضوا لخلعه واستبداله أو حكموا إمامته غير منعقدة وإذا أحسن إيراد هذه المقالة علم أن التفاوت بين اتباع الشرع نظرا واتباعه تقليدا قريب هين وانه لا يجوز أن تخرم بسببه قواعد الإمامة وهذا تقدير تسامحنا به من وجهين أحدهما تقدير قرشي مجتهد مستجمع الصفات متصد لطلب الإمامة وهذا لا وجود له في عصرنا والثاني تقدير اقتدار الخلق على الاستبدال بالإمام والتصرف فيه بالخلع والانتقال وهذا محال في زماننا إذ لو أجمع أهل الدهر وتألبوا على أن يصرفوا الوجوه والقلوب عن الحضرة المقدسة المستظهيرية لم يجدوا إليها سبيلا فيتعين على كافة علماء العصر الفتوى بصحة هذه الإمامة وانعقادها بالشرع ولكن بعد هذا شرطان أحدهما أن لا يضي كل قضية مشكلة إلا بعد استتاج قرائح العلماء والاستظهار بهم وأن يختار لتقليده عند التباس الأمر واختلاف الكلمة أفضل أهل الزمان واغزرهم علما وقلما تنفك مدينة السلام عن شخص يعترف له بالتقدم في علم الشرع فلا بد من تعرف الشرع في الوقائع منه لينوب ذلك عن

الاجتهاد والثاني أن يسعى لتحصيل العلم وحيازة رتبة الاستقلال بعلوم الشرع فإن الإمامة وان كانت صحيحة منعقدة في الحال فخطاب الله تعالى قائم بايجاب العلم وافتراض تحصيله وإذا ساعدت القدرة عليه لم يكن للتواني فيه عذر لا سيما والسن سن التحصيل وريعان الشباب معين على الغرض والقدر الواجب تحصيله شرعا إذا صرف إليه الهمة الشريفة حصل في قدر يسير من الزمان ولا يليق تطلب غايات الكمال إلا بالحضرة المقدسة الشريفة النبوية المحقوقة بالعر والجلال

وإذا اتضح في هذا الباب بهذه البراهين اللائحة أن مقتضى أمر الله أن الإمام الحق للمستظهر بالله هو المتعين لخلافة الله فما أجدر هذه النعمة أن تقابل بالشكر وإنما الشكر بالعلم والعمل وباللواظبة على ما أودعته في الباب الآخر من الكتاب وعلى الجملة فشكر هذه النعمة ألا يرضى أمير المؤمنين أن يكون لله على وجه الأرض عبد أعبد وأشكر منه كما أن الله تعالى لم يرض أن يكون له على وجه الأرض عبد أعز واکرم من أمير المؤمنين فهذا هو الشكر الموازي لهذه النعمة والله ولي التوفيق نمنه ولطفه

الباب العاشر في الوظائف الدينية التي بالمواظبة عليها يدوم استحقاق الإمامة ومن فرائض الدين على امير المؤمنين زاده الله توفيقا المداومة على مطالعة هذا الباب والاستقصاء على تأمله وتصفحه ومطالبة النفس الكريمة حتى تستمر عليه فإن ساعد التوفيق للمجاهدة في الاقتدار على وظيفة من هذه الوظائف ولو في سنة فهي السعادة القصوى وهذه الوظائف بعضها علمية وبعضها عملية فتقدم العلمية فإن العلم هو الأصل والعمل فرع له إذ العلوم لا حصر

لها ولكننا نذكر اربعة أمورهن أمهات وأصول

الأول أن يعرف أن الإنسان في هذا العالم لم خلق وإلى أي مقصد وجه ولأي مطلب رشح وليس يخفى على ذي بصيرة أن هذه الدار ليست دار مقر وإمهاهي دار ممر والناس فيها على صورة المسافرين ومبدأ سفرهم بطون أمهاتهم والدار الآخرة مقصد سفرهم وزمان الحياة مقدار المسافة وسنوه منازلها و شهره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطاه ويصار بهم عبر السفينة براكبها ولكل شخص عند الله عمر مقدر لا يزيد ولا ينقص ولهذا قال عيسى صلوات الله عليه وسلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وقد دعى الخلق الى لقاء الله في دار السلام وسعادة الأبد فقال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام وهذا السفر لا يفضى إلى المقصد إلا بزيادة وهو التقوى ولذلك قال تعالى

وتزودوا فإن خير الزاد التقوى فمن لم يتزود في دنياه لآخرته بالمواظبة على العبادة فسير جمع منه عند الموت ما اغتر من جسده وماله فيتحسر حيث لا يغنيه التحسر ويقول ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ويقول هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فحينئذ لا ينفع نفوسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وهذا الإنسان من وجه آخر في دنياه حارث وعمله حرثه ودينه محترثه ووقت الموت وقت حصاده ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الدنيا مزوعة الآخرة وإنما البذر هو العمر فمن انقضت عليه نفس من انفاسه ولم يعبد الله فيه بطاعة فهو مغبون لضياح ذلك النفس فإنه لا يعود قط ومثال الإنسان في عمره مثال رجل كان يبيع الثلج وقت الصيف ولم تكن له بضاعة سواه فكان ينادي ويقول ارحموا من رأس ماله ينوب فرأس مال الإنسان عمره الذي هو وقت طاعته وانه ليذوب على الدوام فكلما زاد سنه نقص بقية عمره فزيادته نقصانه على التحقيق ومن لم ينتهز في انفاسه حتى يقتنص بها الطاعات كلها كان مغبونا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون فكل من صرف عمره إلى دنياه فقد خاب سعيه وضاع عمله كما قال تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم الآيات ومن عمل لآخرته فهو الذي أنجح سعيه كما قال تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا الوظيفة الثانية أنه مهما عرف أن زاد السفر إلى الآخرة التقوى فليعلم أن التقوى محلها ومنبعها القلب لقوله صلى الله عليه وسلم التقوى

ها هنا وأشار إلى صدره وينبغي أن يكون الاجتهاد في إصلاح القلب أولا إذ صلاح الجوارح تابع له لقوله صلى الله عليه وسلم إن في بدن ابن آدم لبضعة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وإصلاح القلب شرطه تقدم تطهيره عليه وطهارته في أن يطهر عن حب الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وهذا هو الداء الذي أعجز الخلق ومن ظن أنه يقدر على الجمع بين التمتع في الدنيا والحرص على ترتيب أسبابها وبين سعادة الآخرة فهو مغرور كمن يطمع في الجمع بين الماء والنار لقوله أمير المؤمنين رضي الله عنه الدنيا والآخرة ضربتان مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى نعم لو كان الإنسان يشتغل بالدنيا لأجل الدين لا لأجل شهوته كمن يصرف عمره إلى تدبير مصالح الخلق شفقة عليهم أو يصرف بعض أوقاته إلى كسب القوت ونيته في كسب القوت إلى أن يتقوى بتناوله على الطاعة والتقوى فهذا من عين الدين وعلى هذا المنهاج جرى حرص الأنبياء والخلفاء الراشدين في أمور الدنيا ومهما ثبت أن الزاد هو التقوى وأن التقوى شرطها خلو القلب عن حب الدنيا فليكن الجهد في تخليته عن حبها وطريقه أن يعرف الإنسان عيب الدنيا وآفتها ويعرف شرف السعادة في الدار الآخرة وزينتها ويعلم أن في مراعاة الدنيا الحفيرة فوت الآخرة الخطيرة وأقل آفات الدنيا

وهي مستيقنة لكل عاقل وجاهل أنها منقضية على القرب وسعادة الآخرة لا آخر لها هذا إذا سلمت الدنيا صافية عن الشوائب والأقذاء خالية عن المؤذيات والمكدرات وهيئات هيهات فلم يسلم أحد في الدنيا من طول الأذى ومقاساة الشدائد ومهما عرف تصرم الدنيا وتأبد السعادة في العقبى فليتأمل أنه لو شغف إنسان بشخص واستهتر به وصار لا يطيق فراقه وخير بين أن يعجل لقاءه

ليلة واحدة بين أن يصبر عنه تلك الليلة مجاهدا نفسه ثم يخلى بينه وبينه ألف ليلة فكيف لا يسهل عليه الصبر ليلة واحدة لتوقع التلذذ بمشاهدته ألف ليلة ولو استعجل تلك الليلة وعرض نفسه لعناء المفارقة ألف ليلة لعد سفيها خارجا عن حزب العقلاء فالدنيا معشوقة كلفنا الصبر عنها مدة يسيرة ووعدنا أضعاف هذه اللذات مدة لا آخر لها وترك الألف بالواحد ليس من العقل واختيار الألف على الواحد المعجل ليس بمعتذر على العاقل وعند هذا ينبغي أن يقيس الانسان أقصى مدة مقامه في الدنيا وهي مائة سنة مثلا ومدة مقامه في الآخرة ولا آخر لها بل لو طلبنا مثلا لطول مدة الأبد لعجزنا عنه إلا أن نقول لو قدرنا الدنيا كلها إلى منتهى السموات ممتلئة بالذرة وقدرنا طائرا يأخذ بمنقاره في كل ألف سنة حبة واحدة فلا يزال يعود حتى لا يبقى من الذرة حبة واحدة فننقضي هذه المدة وقد بقي من الذرة اضعافها فكيف لا يقدر العاقل إذا حقق على نفسه هذا الامر على أن يستحقق الدنيا ويتجرد لله تعالى هذا لو قد قدر بقاء العمر مائة سنة وقدرت الدنيا صافية عن الاقذاء فكيف الموت بالمرصاد في كل لحظة والدنيا غير صافية من ضروب التعب والعناء وهذا امر ينبغي أن يطول التأمل فيه حتى يترسخ في القلب ومنه تبعث التقوى وما لم يظهر للانسان حقارة الدنيا لا يتصور منه أن يسعى للدار الاخرى وينبغي أن يستعان على معرفة ذلك بالاعتبار بمن سلف من أبناء الدنيا كيف تعبوا فيها ثم ارتحلوا عنها بغير طائل ولم تصحهم إلا الحسرة والندامة ولقد صدق من قال من الشعراء حيث قال أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا وهذه حال لذات الدنيا الوظيفية الثالثة أن معنى خلافة الله على الخلق اصلاح الخلق ولن يقدر على اصلاح اهل الدنيا من لا يقدر على اصلاح اهل بلده ولن يقدر على اصلاح اهل البلد من لا يقدر على اصلاح اهل منزله ولا يقدر على اصلاح نفسه ومن لا

يقدر على اصلاح نفسه فينبغي أن تقع البداية باصلاح القلب وسياسة النفس ومن لم يصلح نفسه وطمع في اصلاح غيره كان مغرور كما قال الله تعالى أأأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وفي الحديث ان الله تعالى قال لعيسى بن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ومثال من عجز عن اصلاح نفسه وطمع في اصلاح غيره مثال الاعمى اذا اراد يهدي العميان وذلك لا يستتب له قط وانما يقدر على اصلاح النفس بمعرفة النفس ومثل معرفة الانسان في بدنه كمثل وال في بلده وجوارحه وحواسه واطرافه بمنزلة صناع وعملة والشرع له كمشير ناصح ووزير مدبر والشهوة فيه كعبد سوء جالب للميرة والطعام والعصب له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للانسان بصورة الناصح وفي نصحة ديب العقرب فهو يعارض الوزير في تدييره ولا يغفل ساعة من منازعته ومعارضته فكان الوالى في مملكته متى استشار في تدييراته وزيره دون هذا العبد السوء الخبيث وادب صاحب شرطته وجعله مؤتمرا لوزيره وسلطه على هذا العبد الخبيث واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا لا سائسا ومدبرا لا مدبرا استقام امر بلده وكذا النفس متى استعانت في تدييراتها بالشرع والعقل وادبت الحمية والغضب حتى لا يهتاج الا باشارة الشرع والعقل وسلطته على الشهوة واستتب أمرها والا فسدت واتبعت الهوى ولذات الدنيا كما قال الله تعالى ولا تتبع الهوى الآية وقال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وقال أخلد الى الارض واتبع هواه فمثلته كمثل الكلب وقال تعالى في مدح من عصاها وأما من



خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى الأية وعلى الجملة فينبغي ان يكون العبد طول عمره في مجاهدة غضبه وشهوته ومتشمرًا لمخالفتها كما يتشمر لمخالفة أعدائه فأنهما عدوان كما قال صلى الله عليه وسلم أعدى عدو نفسك التي بين جنبيك ومثال من اشغل بالتلذذ عند الشهوات والانتقام عند الغضب مثل رجل فارس صياد له فرس و كلب غفل عن صيده واشغل بتعهد فرسه وطعمة كلبه وضيع فيه جميع وقته فإن شهوة الانسان كفرسه وغضبه ككلبه فإن كان الفارس حاذقًا والفرس مروصًا والكلب مؤدبًا ومعلمًا فهو قمين بإدراك حاجته من الصيد ومتى كان الفارس أخرق وفرسه جهوحًا أو حرونا و كلبه عقورًا فلا فرسه يبيعت تحتته منقادًا ولا كلبه يسترسل بإشارته مطيعًا فهو قمين أن يعطب فضلًا أن يدرك ما طلب ومهما جاهد الإنسان فيها هواه فله ثلاثة أحوال الأول أن يغلبه الهوى فيتبعه ويعرض عن الشرع كما قال تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه الثاني أن يغلبه فيقهره مرة ويقهره الهوى أخرى فله أجر المجاهدين وهو المرد بقوله صلى الله عليه وسلم جاهلوا هواكم كما تجاهدو أعداءكم الثالث أن يغلب هواه ككثير من الأنبياء وصفوه الأولياء لقوله صلى الله عليه وسلم ما من أحد إلا وله شيطان وإن الله قد أعانني على شيطاني حتى ملكته وعلى الجملة فالشيطان يتسلط على الإنسان بحسب وجوده الهوى فيه وإنما مثلت الشهوة بالفرس والغضب بالكلب لأنه لولاها لما تصورت العبادة المؤدية إلى السعادة الآخرة فإن الإنسان يحتاج في عبادته إلى بدنه ولا قيام إلا بالقوت ولا يقدر على الاقتيات إلا بشهوة وهو محتاج إلى أن يحرس نفسه عن الهلكات بدفعها ولا يدفع المؤذى إلا بداعية الغضب فكأنهما خادمان لبقاء البدن والبدن مركب النفس وبواسطتها يصل إلى العبادة والعبادة طريقه إلى النجاة

الوظيفة الرابعة أن يعرف أن الإنسان مركب من صفات ملكية

وصفات بهيمية فهو حيران بين الملك والبهيمة فمشابته للملك بالعلم والعبادة والعفة والعدالة والصفات الحمودة ومشابته للبهائم بالشهوة والغضب والحقد والصفات المذمومة فمن صرف همته إلى العلم والعمل والعبادة فخلق أن يلحق بالملائكة فيسمى ملكًا وربانيا كما قال تعالى إن هذا إلا ملك كريم ومن صرف همته إلى إتياع الشهوات واللذات البدنية يأكل البهائم فخلق أن يلحق بالبهائم فيصير إما غمرا كثور وإما شرها كخنزير وإما ضرعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كتمر أو ذا روغان ونفاق كتعلب أو يجمع ذلك فيصير كشيطان مريد وعلى ذلك دل قوله تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وقال كالأنعام بل هم أضل وقال إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وهذه الصفات الذميمة تجتمع في الآدمي في هذا العالم وهو في صورة الإنسان فتكون الصفة باطنة والصورة ظاهرة وفي الآخرة تتحد الصورة والصفات فيصور كل شخص بصفته التي كانت غالبية عليه في حياته فمن غلب عليه الشر حشر في صورة خنزير ومن غلب عليه الغضب حشر في صورة سبع ومن غلب عليه الحمق حشر في صورة حمار ومن غلب عليه التكبر حشر بصورة نمر وهكذا جميع الصفات ومن غلب عليه العلم والعمل واستولى بهما على هذه الصفات حشر في صورة الملائكة والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

وهذه الوظائف التي ذكرناها علمية يجب التأمل فيها حتى تتمثل في القلب فتكون نصب العين في كل لحظة وإنما ترسخ هذه العلوم في النفس إذا أكدت بالعمل كما سنذكره في الوظائف العملية بعد القول في الوظائف العملية وهي كثيرة أولاها وهي من الأمور الكلية أن كل من تولى عملا على المسلمين فينبغي أن يحكم نفسه في كل قضية ييرمها فما لا يرتضيه لنفسه لا يرتضيه لغيره فالمؤمنون كنفس واحدة فقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليدركه موته وهو مؤمن بالله

واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه وروى أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصبح وهمه غير الله تعالى فليس من الله في شيء ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس من المسلمين ومنها أن يكون والى الأمر متعطشا إلى نصيحة العلماء ومتبجحا بها إذا سمعها وشاكرا عليها فقد روى أن أبا عبيدة ومعاذنا كتبنا إلى عمر رضي الله عنهم أما بعد فإننا عهدناك وشأن نفسك لك مهم وأصبحت وقد وليت بأمر هذه الأمة أسودها وأحمرها يجلس بين يديك الشريف والوضيع والصديق والعدو ولكل حصته من العدل فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر وأنا نحذرك مما حذرت الأمم قبلك يوم تعنو فيه الوجوه وتجب فيه القلوب وتقطع فيه الحجة لعز ملك قهرهم جبروته والخلق داخرون له ينتظرون قضاءه ويخافون عقابه وانه ذكر لنا أنه سيأتي على الناس زمان يكون اخوان العلانية أعداء السريرة فانا نعوذ بالله ان ينزل كتابنا من قبلك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا وإنا كتبنا اليك نصيحة والسلام فكاتبتهما بجوابه وذكر في آخر ما كتب إنكما كتبتما الى نصيحة فتعهداني منكما بكتاب فإني لا غنى بي عنكما والسلام عليكم

ومنها ألا يستحقر الوالى انتظار ارباب الحاجات ووقوفهم بالباب في لحظة واحدة فان الاهتمام بأمر المسلمين أهم له وأعود عليه مما هو متشاغل به من نوافل العبادات فضلا عن اتباع الشهوات فقد روى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه جلس يوما للناس فلما انتصف النهار ضجر ومل فقال للناس مكانكم حتى أعود اليكم فدخل يستريح ساعة فجاء ابنه عبد الملك فاستأذن فدخل عليه فقال يا أمير المؤمنين ما سبب دخولك قال أردت ان استريح ساعة فقال أأمنت أن يأتيك الموت ورعيتك على الباب ينتظرونك وانت محتجب عنهم فقال عمر صدقت فقام من ساعته وخرج الى الناس

ومنها أن يترك الوالى للأمر الترفه والتلذذ بالشهوات في المأكولات والملبوسات فقد روى أن عمر رضى الله عنه كتب الى سلمان الفارسي يستريه فلما قدم عليه سلمان تلقاه في أصحابه فالتزمه وضمه إليه وصار الى المدينة فلما خلا به عمر قال له يا أخي هل بلغك مني ما تكرهه فقال لا قال عزمت عليك إن كان بلغك مني ما تكرهه ألا أخبرتني فقال لولا ما عزمت على أولا ما أخبرتك بلغني أنك تجمع بين السم والحم على مائدتك وبلغني أن لك حلتين حلة تلبسها مع أهلك وحلة تخرج فيها إلى الناس فقال عمر هل بلغك غير هذا فقال لا فقال أما هذان فقد كفتيهما فلا أعود إليهما ومنها أن يعلم والى الأمر أن العبادة تيسر للولاة مالا ييسر لآحاد الرعايا فلتغتنم الولاية لتعبد الله بها وذلك بالتواضع والعدل والنصح للمسلمين والشفقة عليهم فقد روى عن أبي بكر رضى الله عنه وهو على المنبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالى العدل المتواضع ظل الله ورحمه في أرضه فمن نصحه في نفسه وفي عباد الله حشره الله تعالى في وقده يوم لا ظل إلا ظله وفي غشه في نفسه وفي عباد الله خذله الله تعالى يوم القيامة ويرفع للوالى العدل

المتواضع في كل يوم وليلة عمل ستين صديقا كلهم عبد مجتهد في نفسه فهذه رتبة عظيمة لا تسلم في كل عصر إلا لواحد وإنما تنال هذه الرتبة بالعدل والتواضع وقد روى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة يظلمهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج من حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعت امرأه ذات حسب وجمال إلى نفسها فقال أني أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه فهذه سبع لا يتصور اجتماعها إلا في أمير المؤمنين وإنما يقدر غيره من الخلق على أحادها دون مجموعها فليجتهد في نيل رتبة لم تدخر إلا له ولن يقوم بها سواه فقد روى أيضا أبو سعيد الخدرى أنه

قال إن أحب العباد إلى الله تعالى وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وإن أبغض الناس إلى الله وأشدّهم عذابا يوم القيامة إمام جائر وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يرد الله لهم دعوة الإمام العادل والصائم حتى يفطر والمظلوم يقول الله وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي لأنتصرن لك ولو بعد حين وقد روى عبد الله بن مسعود أنه قال صلى الله عليه وسلم عدل ساعة خير من عبادة سنة وإنما قامت السموات والأرض بالعدل وقد روى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفس محمد بيده إن الوالي العدل ليرفع الله له كل يوم مثل عمل رعيته وصلواته في اليوم تعدل تسعين ألف صلاة

وروى ابن عباس أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال الاسلام والسلطان أخوان توأمان لا يصلح أحدهما إلا بصاحبه فالاسلام أس والسلطان حارس فما لا أس له منهدم وما لا حارس له ضائع وقد روى أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد أفضل منزلة عند الله من إمام إن قال صدق وإن حكم عدل وإن استرحم رحم والقصد من رواية هذه الأخبار التنبيه على عظم قدر الإمامة وأنها إذا ترتبت بالعدل كانت أعلى العبادات وإنما يعرف العدل من الظلم بالشرع فليكن دين الله وشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفزع والمرجع في كل ورد وصدر وتفصيل العدل مما يطول ولعل الوظائف التي تأتي يشتمل عليه طرف منها

ومنها أن يكون الرفق في جميع الأمور أغلب من الغلظة وأن يوصل كل مستحق إلى حقه فقد روت عائشة رضی الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أيما وال ولي فلانا ورفق به رفق به يوم القيامة وروت عائشة أيضا أنه قال اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به ولمن شفق عليهم فأشفق عليهم هذا دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه يستجاب لا محالة وقد روى عن زيد بن ثابت أنه قال عند النبي صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الإمامة فقال صلى الله عليه وسلم نعم الشيء الإمامة لمن أخذها بحقها وحلها وبس الشيء الإمارة لمن أخذها بغير حقها فتكون حسرة عليه يوم القيامة وكل أمير عدل عن الشرع في أحكامه فقد أخذ إمارة بغير حقها وروى أبو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن بني إسرائيل كان يسوسهم الأنبياء عليهم السلام فكلما هلك نبي قام بني مكانه وإنه لا نبي بعدي وإنه يكون بعدي خلفاء قبل يا رسول الله ما تأمرنا فيهم قال اعطوهم حقهم واسألوا الله تعالى حقكم

فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم هو قد حكى أن هشام ابن عبد الملك قال لأبي حازم وكان من مشايخ الدين كيف الحاجة من هذا الأمر يعني من الإمارة قال ألا تأخذ الدرهم إلا من حله ولا تضعه إلا في حقه قال ومن يطيق ذلك قال من طلب الجنة وهرب من النار

ومنها أن يكون أهم المقاصد عنده تحصيل مرضاه الخلق ومحبتهم بطريق يوافق الشرع ولا يخالفه فقد روى عوف بن مالك عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن خيار أئمتكم الذين تحبونهم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنوهم ويلعنوكم قبيلا رسول الله أفلا ننابنهم قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة إلا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معاصي الله تعالى فليكره ما أتى من معاصي الله تعالى ولا ينزع يدا عن طاعة الله وقد روى عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خليفتي على الناس السمع والطاعة ما استرحموا فرحموا وحكموا فعدلوا وعاهلوا فوفوا ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ومنها أن يعلم أن رضا الخلق لا يحسن تحصيله إلا في موافقة الشرع وأن طاعة الإمام لا تجب على الخلق إلا إذا دعاهم إلى موافقة الشرع كما روى عن محمد بن علي أنه قال إني لا علم قبيلتين تعبدان من دون الله قالوا من هم قال بنو هاشم وبنو أمية أما والله ما نصبوهم ليسجدوا لهم ولا ليصلوا لهم ولكن أطعوهم واتبعوهم على ما

أمدوهم والطاعة عبادة وقد روى ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تسخطن الله برضا أحد من خلقه ولا تقرىوا إلى أحد

من الخلق بتباعد من الله إن الله تعالى ليس بينه وبين أحد من خلقه قرابة يعظمهم بها ولا يصرف عن أحد شرا إلا بطاعته واتباع مرضاته واجتناب سخطه وإن الله تعالى يعصم من أطاعه ولا يعصم من عصاه ولا يجد الهارب منه مهربا وقد روى عمر بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وأمر عليهم رجلا من أصحابه فأمر ذلك الرجل عبد الله بن حذافة وكان ذا دعاية فاوحد ناراً وقال أستم سامعين مطيعين لأمركم قالوا بلى قال عزمت عليكم إلا وقعتم فيها ثم قال إنما كنت ألعب معكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أمركم من الأمراء بشيء من معصية الله فلا تطيعوه وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه صعد المنبر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة أيام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس انكم ولستم بمخبركم ولستم بخبركم فإن أحسنتم فأعينوني وإن ضعفت أو عدلت عن الحق فقوموني ولا تخافوا في الله أحداً إن أكيس الكيس التقى وإن أحق الحقم القهقور ثم إنى أخبركم أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول في الغار إن الصدق أمانة وإن الكذب خيانة ألا إن الضعيف منكم القوي عندنا حتى يعطي الحق غير متعنت ولا مقهور والقوي هو الضعيف عندنا حتى نأخذ منه الحق طائعا أو كارها ثم قال أطيعونا ما أطعنا الله ورسوله فإذا عصينا الله ورسوله فلا طاعة لنا عليكم فقوموا إلى صلاتكم رحمكم الله وقد روى عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة أنه قال انتهيت إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه وهو جالس في ظل الكعبة والناس حوله مجتمعون فسمعت يقول قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه لم يكن شيء إلا كان حقا على الله أن يدل أمته على ما يعلمه خير لهم وينذرهم ما يعلمه شر لهم وإن أمتكم هذه جعلت عاقبتها في أولها و إلى آخرها سيصيبهم بلاء وأمور يكرهونها وتجيء سنه ألفين فيقول المؤمن هذه هذه ثم تنكشف فمن سره منكم أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلتدركه موته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يجب أن يؤتي إليه ومن تابع إماما وأعطاه صفة قلبه وثمره فؤاده فليعطه ما استطاع فقلت أناشدك الله أنت سمعته من رسول الله قال سمعت أذناي ووعى قلبي فقلت هذا ابن عمك يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل وإن قيل أفسنا فقال قال الله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الآية قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس رأسه فقال أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله

فهذه الأحاديث يتبين أن الطاعة واجبة للأئمة ولكن في طاعة الله لا في معصيته

ومنها أن يعرف أن خطر الإمامة عظيم كما أن فوائدها في الدنيا والآخرة عظيمة وأما إن روعيت على وجهها فهي سعادة وإن لم تراعى على وجهها فهي شقاوة ليس فوقها شقاوة فقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقبل وفي البيت رجال من قريش فأخذ بعضهم بالبواب ثم قال الأئمة من قريش ما قاموا فيكم بثلاث ما إن استرحوا رحوا وإن حكموا عدلوا وإن قالوا أوفوا ومن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا إلا الصدق والعدل القريضة وهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم الخطر في أمر يتهيأ إلى ألا يقبل بسببه فريضة ولا نافلة وقد روى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال من حكم بين اثنين فجار وظلم فلعنة الله على الظالمين وقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة الإمام الكذاب الشيخ الزاني والعائل المزهو وروى الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يفتح عليكم مشارق الأرض ومغاربها وعمالها كلهم في النار إلا من اتقى الله تعالى وأدى الأمانة وقد روى

عن الحسن أنه قال عاد عبید الله بن الحسن معقلا في مرضه الذي قبض فيه فقال له معقل إني محدثك بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه يقول ما من عبد يستر عنه الله تعالى رعيته يموت يوم يموت غاشيا لرعيته إلا حرم الله تعالى عليه الجنة وروى زياد بن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ولى من أمر المسلمين شيئا ولم يحطهم بالنصيحة كما يحوط على أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وقد حكى عن سفيان الثوري أنه عاتب رجلا من إخوانه قد كان هم أن يتلبس بشيء من أمر الولاية فقال يا أبا عبد الله إن على عيالا فقال له لأن تجعل في عنقك محلاة تسأل على الأبواب خير لك من أن تدخل في شيء من أمور الناس وقد روى معقل بن يسار عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال رجلان من أمي لا تناهما شفاعتي إمام ظلوم غشوم وغال في الدين مارق منه وروى أبو سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم قال أشد الناس عذابا يوم القيامة إمام جائر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خمسة غضب الله تعالى عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا وإلا فمأواهم في الآخرة النار أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع المظالم عنهم وزعيم قوم يطيعونه فلا يسوي بين الضعيف والقوي ويتكلم بالهوى ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمور دينهم ولا يبالي ما أخذوا من دينهم وما تركوا ورجل استأجر أجرا فيستعمله ولا يوفيه أجره ورجل ظلم امرأة مهرها وقد روى أن عمر بن الخطاب خرج في جنازة ليصلي عليها فلما وضعت فإذا برجل قد سبق إلى الصلاة ثم لما وضع الرجل في قبره تقدم الرجل فوضع يده على التراب وقال اللهم إن تعذبه فربما عصاك وإن ترجمه فإنه فقير إلى رحمتك طوبى لك إن لم تكن أميرا أو عريفا أو كاتباً أو شرطيا أو جابيا قال ثم ذهب الرجل فلم يقدر عليه فأخبر عمر به فقال لعله الخضر صلى الله عليه وسلم وروى عن مالك بن دينار أنه قال قرأت في بعض الكتب ما من مظلوم دعا بقلب محترق إلا لم تنته دعوته حتى تصعد بين يدي الله فتنزل العقوبة على من ظلمه أو استطاع أن يأخذ له فلم يأخذ له وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للأمرء ويل للعرفاء ويل للأمناء ليمتنين قوم يوم القيامة أن ذوائبهم كانت معلقة بالثرى يتدلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملا وروى أبو بريدة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يؤمر رجل على عشرة فما فوقهم إلا جرى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه فإن كان محسنا فك عنه غله وإن كان مسيئا زيد غلا إلى غله

وهذا الخطر ثابت في أن يفرق الأمير بين نفسه وبين رعيته في الترفه بالمباحات فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم بدر في الظل فنزل جبريل فقال يا محمد أنت في الظل وأصحابك في الشمس وروى عن عمر رضی الله عنه أنه قال ويل لديان أهل الأرض من ديان أهل السماء يوم يلقونه إلا من أمر بالعدل وقضى بالحق ولم يقض بهوى ولا قرابة ولا رهبة ولا رغبة ولكن جعل كتاب الله مرآة بين عينيه وأقل الأمور حاجة الإمام إلى تخويف بحكم السياسة وقد روى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نظر إلى مؤمن نظرة يخيفه بها في غير حق أخافه الله تعالى بها يوم القيامة وروى أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالولادة يوم القيامة فيقول الرب تعالى أنتم كنتم رعاة غنمي وخزان أرضي فيقول لهم ما حملكم على أن جلدتم فوق ما أمرتم فيقول أي رب غضبت لك فيقول أينبغي لك أن تكون أشد غضبا مني ويقول

للآخر ما حملك على أن جلدت دون ما أمرت فيقول أي رب رحمته فيقول أينبغي لك أن تكون أرحم مني خلوا المقصر عن أمري والزائد على أمري فسلوا بهما أركان جهنم وبهذا الحديث يتبين أنه لا ينبغي أن نفرح إلا إلى الشرع وأنه لا شيء أهم للأئمة من معرفة أحكام الشرع وروى عن حذيفة أنه قال ما أنا بمش على وال خيرا عادلهم وجائرهم فليل له لم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولادة يوم القيامة عادلهم

وجائزهم فيقفون على الصراط فيوحى الله تعالى إلى الصراط فيزحف بهم زحفه يبقى جائر في حكمه ولا مرتش في قضائه ولا ممكن سمعه لأحد الخصمين مالم يمكن للأخر إلا زالت قدماه سبعين عاما في جهنم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج متنكرا يطوف في الافاق يسأل داود فيهم فتعرض له جبريل صلى الله عليه وسلم على صورة آدمي فسأله عن سيرته فقال جبريل نعم الرجل داود ونعم السيرة سيرته غير أنه يأكل من بيت مال المسلمين ولا يأكل من كد يده فرجع باكيا متضرعا إلى محرابه يسأل ربه تعالى أن يعلمه صنعة يأكل منها فعلمه صنعة الدروع وألان له الحديد فذلك قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم

هذا خطر الإمامة وفيها احاديث كثيرة يطول إحصاؤها وهذا القدر كاف للبصير المعبر وعلى الجملة فيكفي من معرفة خطرها سيرة عمر رضى الله عنه فإنه كان يتجسس ويتعسس ليلا ليعرف أحوال الناس وكان يقول لو تركت حربته على ضفة الفرات لم بطلا بالهنا فأنا المسؤل عنها يوم القيامة ومع ذلك فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال دعوت الله تعالى اثنتي عشرة سنة اللهم أربي عمر بن

الخطاب في منامي فرأيت بعد اثني عشرة سنة كأنما اغتسل واشتمل بالازار فقلت يا أمير المؤمنين كيف وجدت الله تعالى قال يا أبا عبد الله كم منذ فارقتكم قلت منذ اثنتي عشرة سنة قال كنت في الحساب الى الآن ولقد كادت تنزل سريري لولا اني وجدت ربا رحيفا فهذه حال عمر ولم يملك من الدنيا سوى درة فليعتبر به

وقد حكى عن يزيد جرد بن شهر يار آخر ملوك العجم أنه بعث رسولا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأمره أن ينظر في شمائله فلما دخل المدينة قال أين ملككم قالوا ليس لنا ملك لنا أمير خرج برا فخرج الرجل في أثره فوجده نائما في الشمس ودرته تحت راسه وقد عرق جنبه حتى ابتلت منه الأرض فلما رآه على حالته قال عدلت فأمنت

فمتمت وصاحبنا جار فخاف فسهر أشهد أن الدين دينكم ولولا أني رسول لأسلمت وسأعود ياذن الله تعالى ومنها أن يكون الوالي متعظشا إلى نصيحة علماء الدين متعظا بمواعظ الخلفاء الراشدين ومتصفحا في مواعظ مشايخ الدين للامراء المقرضين ونحن نورد الآن بعض تلك المواعظ فإنه قد روى ان عمر بن الخطاب كتب إلى ابي موسى الاشعري أما بعد فإن أسعد الرعاة عند الله من سعدت به رعيته وإن اشقى الرعاة عند الله من شقيت به رعيته وإياك أن ترتع فترتع عمالك فيكون مثلك عند الله مثل بهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فترتع فيها تبغي في ذلك السمن وإنما حفها في سمنها وإنما قال ذلك لأن الوالي مأخوذ بظلم عماله وظلم جميع حواشيه فكل ذلك في جريدته وينسب اليه وقد روى انه أنزل في العرارة على موسى عليه السلام انه ليس على الامام من ظلم العامل وجوره مالم يبلغه ذلك من ظلمه وجوره فاذا بلغه فاقره شركه في ظلمه وجوره

وقد روى ان شقيق البلخي دخل على هارون الرشيد فقال له أنت شقيق الزاهد فقال له أما شقيق فنعم واما الزاهد فيقال فقال له عطني فقال له إن الله تعالى أنزلك منزلة الصديق وهو يطلب منك الصدق كما تطلبه منه وأنزلك منزلة الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق والباطل كما تطلبه منه وأنزلك منزلة ذي النورين وهو يطلب منك الحياء والكرامة كما تطلبه منه وأنزلك منزلة علي بن أبي طالب وهو يطلب منك العلم كما تطلبه منه ثم سكت فقال له زدني قال نعم ان لله دارا سماها جهنم وجعلك بوابا لها واعطاك بيت مال المسلمين وسيقا قاطعا وسوطا موجعا وامرك ان ترد الخلق من هذه الدار بهذه الثلاث فمن أتاك من أهل الحاجة فاعطه من هذا البيت ومن تقدم على نهي الله فأوجعه بهذا السوط ومن قتل نفسا بغير حق فاقتله بهذا السيف بأمر ولي المقتول فإنك إن لم تفعل ذلك فأنت السابق والخلق تابع لك إلى النار قال زدني قال نعم أنت العين والعمال الأتغار إن صفت العين لم يصر كدر الأتغار وإن كدرت العين لم يرج صفاء الأتغار وقد حكى أن هارون الرشيد قصد الفضيل بن عياض ليلا مع العباس

في داره فلما وصل إلى بابه سمع قراءته وهو يقرأ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فقال هارون للعباس إن انتفعنا بشيء فهذا فدق العباس الباب وقال أجب أمير المؤمنين قال وما يعمل عندي أمير المؤمنين فقال أجب إمامك ففتح الباب وأطفأ سراجيه وجلس في وسط البيت في الظلمة فجعل هارون يطوف حتى وقعت عليه يده فقال آه من يد ما أليتها إن نجت من عذاب الله يوم القيامة فجلس وقال يا أمير المؤمنين استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فإنك تحتاج أن تتقدم مع كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة فجعل هارون يبكي فقال العباس اسكت فقد قتلت أمير المؤمنين فقال يا هامان تقتله أنت وأصحابك وتقول لي أنت قتلته فقال هارون ما سماك هامان إلا وجعلني فرعون فقال له هارون هذا مهر والدي ألف دينار تقبلها مني فقال يا أمير المؤمنين لا جزاك الله إلا جزاءك أقول لك ردها على من أخذتها منه وتقول لي خذها أنت فقام وخرج وقد حكى عن محمد بن كعب القرظي أنه قال عمر بن عبد العزيز صف لي العدل فقال يا أمير المؤمنين كن لصغير المسلمين أباً وللكبير منهم ابناً وللمثل أخاً وعاقب كل واحد منهم بقدر ذنبه على قدر جسمه وإياك أن تضرب بغضبك سوطاً واحداً فتدخل النار وقد حكى عن الحسن أنه كتب إلى عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن الهول الأعظم ومقطعات الأمور كلهن أمامك لم تقطع منهن شيئاً فلذلك فاعدد ومن شرها فاهرب والسلام عليك وقد حكى أن بعض الزهاد دخل على بعض الخلفاء فقال له عظمي فقال له يا أمير المؤمنين كنت أسافر الصين فقدمتها مدة وقد أصيب ملكها

بسمعه فبكى بكاء شديداً وقال أما إني لست أبكي على البلية النازلة ولكني أبكي لمظلوم على الباب يصرخ فلا يؤذن له ولا أسمع صوته ولكني إن ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب نادوا في الناس لا يلبس أحد ثوباً أحمر إلا منتظماً ثم كان يركب الفيل في فمارة حتى يرى حمرة بباب المظلومين فهذا يا أمير المؤمنين مشترك بالله تعالى غلبت عليه رأفته ورحمته على المشركين وأنت مؤمن بالله تعالى من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم كيف لا تغلب رأفتك بالمؤمنين وحكى أيضاً أن سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياماً فأرشد إلى أبي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا أبا حام ما لنا نكره الموت ونحب الحياة فقال لأنكم خربتم آخرتكم وعمرتم الدنيا فكبرهتم أن تنقلوا من العمران إلى الخراب فقال يا أبا حازم كيف القدوم على الله تعالى غداً فقال يا أمير المؤمنين أما الحسن فكالمغائب يقدم على أهله وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي عند الله غداً قال أبو حازم اعرض عملك على كتاب الله تعالى حيث يقول إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا أبا حازم أي عباد الله أكرم قال أهل المروءة والتقى قال أي الأعمال أفضل قال أداء القرائن مع اجتناب الحرام قال فأأي الدعاء اسمع قال دعاء الحسن إليه للمحسنين قال فأأي الصدقة أزكى

قال صدقة على السائل الناس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى قال فأأي القول اعدل قال قول الحق عند من يخاف ويرجو قال فأأي المؤمنين أكيس قال رجل عمل بطاعة الله تعالى وذكر الناس عليها قال فأأي المؤمنين أفسق قال رجل أخطأ في هوى أحبه وهو ظالم باع آخرته بدنياه غيره قال سليمان فما تقول فيما نحن فيه فقال يا أمير المؤمنين أو تعفيني قال لا ولكن نصيحة تلقيها إلي قال يا أمير المؤمنين إن آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا أحد حتى قتلوا وقد قتلوا قتلته عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بنس ما قلت قال أبو حازم إن الله تعالى أخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتبونه فقال كيف لنا أن نصلح هذا الفساد فقال أن تأخذه من حله وتضعه في حقه فقال ادع لي قال أبو حازم

اللهم إن كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وإن كان عدوك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى فقال سليمان أو صني قال أو صيك وأوجز عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نمك أو يفقدك حيث أمرك وقد حكى عن أبي قلابة أنه دخل على عمر بن عبد العزيز فقال له يا أبا قلابة عطني فقال يا أمير المؤمنين إنه لم يبق من لدن آدم صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا خليفة غيرك قال له زدني قال أنت أول خليفة يموت قال زدني قال إذا كان الله معك فمن تخاف وإذا كان عليك فمن ترجو قال حسبي

وحكى عن سليمان بن عبد الملك أنه تفكر يوماً فقال كيف تكون حالي وقد ترفهت في هذه الدنيا فأرسل إلى أبي حازم وقال تبعث إلى بذلك الذي تظن عليه بالعشاء فأنفذ إليه شيئاً من النخالة المقلية قال أبل هذا بالماء فأفطر به فهو طعامي فبكى سليمان وعمل ذلك في قلبه وصام ثلاثة أيام ما ذاق شيئاً حتى فرغ بطنه من مأكولاته ثم أفطر في اليوم الثالث بتلك النخالة فقضى أن قارب أهله تلك الليلة فولد له عبد العزيز بن سليمان ومن عبد العزيز عمر فهو واحد زمانه وذلك من بركة تلك النية الصادقة وحكى أنه قيل لعمر بن عبد العزيز ما كان بدء توبتك قال أردت ضرب غلام فقال لي يا عمر اذكر ليلة صحبتها يوم القيامة وحكى أن زاهداً كتب إلى عمر بن عبد العزيز وقال في كتابه اعتصم بالله يا عمر اعتصم الغريق بما ينجيه من الغرق وليكن دعاءك دعاء المنقطع المشرف على المهلكة فانك قد أصبحت عظيم الحاجة شديد الاشراف على المعاطب وقد حكى عن هارون الرشيد أنه قال للفضيل عطني قال بلغني أن عمر بن عبد العزيز شكى إليه بغض عماله فكتب إليه يا أخي اذكر سهر أهل النار في النار مع خلود الأبد بعد النعيم والظلال فإن ذلك يطرد بك إلى ربك نائماً ويقظان وإياك أن يتصرف بك من عند الله فتكون آخر العهد منقطع الرجاء فلما قرأ الكتاب قدم على عمر فقال له ما أقدمك قال خلع قلبي كتابك لا وليت ولاية حتى ألقى الله تعالى وقد حكى عن إبراهيم بن عبد الله

الخراساني أنه قال حججت مع أبي سنة حج الرشيد فإذا نحن بالرشيد وهو واقف حاسر حاف على الحصاء وقد رفع يديه وهو يرتعد ويكي ويقول يا رب أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنب وأنت العواد إلى المغفرة اغفر لي فقال لي يا بني انظر إلى جبار الأرض كيف يتضرع إلى جبار السماء وحكى أنه دخل رجل على عبد الملك بن مروان وكان يوصف بحسن العقل والأدب فقال له عطني فقال يا أمير المؤمنين إن للناس في القيامة جولة لا ينجو من غصص مرارتها ومعاناة الردى فيها إلا من أَرْضَى الله بسخط نفسه قال فبكى عبد الملك ابن مروان ثم قال لا جرم لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت أبداً وحكى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لأبي حازم عطني قال أضطجع ثم اجعل الموت عند راسك ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن فلعل الساعة قريبة وحكى أن أعرابياً دخل على سليمان بن عبد الملك فقال له تكلم يا أعرابي فقال يا أمير المؤمنين إني لمكلمك بكلام فاحتمله وإن كرهته

فإن وراءه ما تحب أن قبلته فقال يا أعرابي إنا لنجود بسعة الاحتمال على من نرجو نصحه ونأمن غشه فقال الأعرابي إنه قد تكفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دينهم بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك حرب للاحرة سلم للدنيا فلا تأمنهم على ما امتحنك الله عليه فإنهم لن بألوا في الامانة تضييعاً وفي الامنة خسفاً وعسفاً وانت مسؤل عما اجترحوه وليسوا بمسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دينهم بفساد آخرتك فإن أعظم الناس غيبنا من باع آخرته بدنياه غيره فقال سليمان أما أنك يا أعرابي قد سللت لسانك وهو اقطع من سيفك قال أجل يا أمير المؤمنين ولكن عليك لا لك وقد حكى أن صالح بن بشير دخل على المهدي وجلس معه على الفراش فقال له المهدي عطني قال أليس قد جلس هذا المجلس أبوك وعمك قبلك قال نعم قال فكانت لهم



أعمال ترحلهم بما النجاة من الله تعالى قال نعم قال وأعمال تخاف عليهم بما الملكة قال نعم قال فانظر ما رجوت لهم فأته وما خفت عليهم فاجتنبه قال قد أبلغت وأوجزت وقد حكى أن أبا بكره دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم أنك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تأتي عليك لا ترداد من الدنيا إلا بعدا ومن الآخرة إلا قريبا وعلى أثرك طالب لا تفوته وقد نصب لك علم لا تجوزه فما أسرع ما يبلغ العلم وما أقرب ما يلحق بك الطالب وما نحن فيه زائل والذي نحن صائرون إليه باق أن خيرا فخير وإن شرا فشر ومنها أن تكون العادة الغالبة على والي الأمر العفو والحلم وحسن الخلق وكظم الغيظ مع القدرة فقد حكى أنه حمل إلى أبي جعفر رجل قد جنى جناية فأمر بقتله فقال المبارك بن فضالة وكان حاضرا يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قال سمعت الحسن رحمه الله يقول إذا كان يوم القيامة جمع الناس في صعيد واحد فيقوم مناد ينادي من له عند الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفا فقال خلوا عنه وحكى عن عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم أنه قال ليحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم إذا قيل لك ما فيك فأحدث لله شكرا وإذا قيل ما ليس فيك فأحدث لله شكرا أعظم منه إذ تيسرت لك حسنة لم يكن لك فيها عمل وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وحكى أن رجلا أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن خادمي يسيء ويظلم أفأضربه قال تعفو عنه كل يوم سبعين مرة وروى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين قال قلت بلى يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وروى عن عمر بن عبيد الله أنه قال ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان اذا غضب لم يخرج غضبه إلى الباطل واذا رضى لم يخرج رضاه عن الحق واذا قدر لم يأخذ ما ليس له وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لا يغرنك خلق امرئ حتى يغضب ولا دينه حتى يطمع فانظر على أي جنبه يقع وقد روى عن علي بن الحسين رضى الله عنهما انه خرج من المسجد فلقيه رجل فسبه فتارت إليه العبيد والموالي فقال علي ابن الحسين مهلا عن الرجل ثم اقبل عليه وقال ما ستر عنك من امرنا لكثير الك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل ورجع إلى نفسه فألقى إليه خميسة كانت عليه وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول أشهد انك من أولاد الرسل وقد روى عنه ايضا انه دعا مملوكا له مرتين فلم يجبه ثم اجابه في الثالثة فقال له اما سمعت صوتي قال بلى قال فما بالك لم تجبني قال أمنتك قال الحمد لله الذي جعل مملوكي بحيث يأمني وقد حكى أنه جاء غلام لأبي ذر بشاة له قد كسر رجلها فقال له أبو ذر من كسر رجل هذه الشاة قال أنا قال ولم فعلت ذلك قال عمدا لأغضبك فتصبرني فتأثم قال أبو ذر لأغيطان من حصك على غيظي فأعتقه وروى عنه أنه شتمه رجل فقال يا هذا إن بيني وبين الجنة عقبة فإن أنا جزتها فوالله ما أبالي بقولك وإن قصرت دونها فأنا أهل لأشر مما قلت وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا يعدن بشيء من عمله من لم تكن فيه تقوى تحجزه عن معاصي الله أو حلم يكفه عن السفه أو خلق يعيش به في الناس وثلاث من كان فيه واحدة منهن زوج من الحور العين رجل أوتمن على أمانة خفية شهية فأداها من مخافة الله تعالى ورجل عفا عن قاتله ورجل قرأ قل هو الله أحد في دبر كل صلاة وثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن أكن خصمه أخصمه رجل أستأجر أجيرا فظلمه ولم يوفه أجره ورجل حلف بي ثم غدر ورجل باع حرا وأكل ثمنه ومن كفل ثلاثة أيتام كان كالذي قام ليله وصام نهاره وعدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله وكنت أنا وهو في الجنة كهاتين وأشار إلى السبابة والوسطى وقد روى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الرجل المسلم

ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم وإنه ليكتب جباراً وما يهلك إلا أهل بيته وروى ابن عباس عن علي رضي الله عنهما أنه قال أو صابني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زوجني فاطمة رضي الله عنها خصوصاً دون غيري فكان مما أو صابني به أن قال يا علي لا تعضب وإذا غضبت فاقعد واذكر قدرة الله تعالى على العباد وحلمه عنهم وإذا قيل لك اتق الله فاترك غضبك عنك وأرجع بحلمك وقد روى ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله وروى أن إبليس اللعين ظهر لموسى صلى الله عليه وسلم فقال له يا موسى إنك الليلة تناجى ربك ولى إليك حاجة فاقضها وأنا أعلمك خصالاً ثلاثاً فيهن الدنيا والآخرة فقال له موسى ما هذه الخصال قال إياك والحدة فإني ألعب بالرجل الحديد كما تلعب الصبيان بالكرة يا موسى إياك والنساء فإني لم أنصب قط فخاً أثبت في نفسي من فخ انصبه بامرأة يا موسى إياك والشح فإني أفسد على الشحيح الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من كظم غيظاً وهو يقدر على إفثاده ماله الله إيماناً وأماناً ومن وضع ثوب جهال تواضعاً لله وهو يقدر عليه كساه الله تعالى حلة الكرامة وحكي أن ذا القرنين لقي ملكاً من الملائكة فقال له علمني عملاً

أزداد به إيماناً ويقينا فقال لا تعضب فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم إذا غضب وإذا غضبت فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة وإياك والعجلة فإنك إذا عجلت أخطأت حظك وكن سهلاً لنا للقریب والبعید ولا تكن جباراً عنيداً وقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الويل لمن يغضب وينسى غضب الله تعالى عباد الله إياكم والغضب والظلم فإن عقوبتهما شديدة ومن غضب في غير ذات الله جاء يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه وروى أبو هريرة أيضاً أن رجلاً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تعضب ولك الجنة قال زدني قال استغفر الله تعالى دبر صلاة العصر سبعين مرة يغفر الله لك ذنب سبعين سنة ليس لي ذنوب سبعين سنة قال فلا تمك قال ولا لأمي قال فلا إبيك قال ولا لأبي قال فلا إخوانك وقد روى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم قسماً فقال رجل من الأنصار هذه قسمة ما أريد بها وجه الله قال ابن مسعود يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخبرته فأحمر وجهه وقال رحمة الله على موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر وهذا القدر الذي روى من الآثار والأخبار وسير الخلفاء وأئمة الأعصار كاف للمتعظ به وللمصغي إليه في تهذيب الأخلاق ومعرفة وظائف الخلافة فالعامل به مستغن عن المزيد والله ولي التوفيق تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين الطاهرين وقع الفراغ منه يوم السبت لسبعة عشر يوماً خلعت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وستماية